

موهنداس كرمشاند غاندي

المهاتما غاندي
قصة مقاومة للاحتلال والظلم خلدها التاريخ

أكثر شخصيات القرن العشرين أهمية وغموضاً

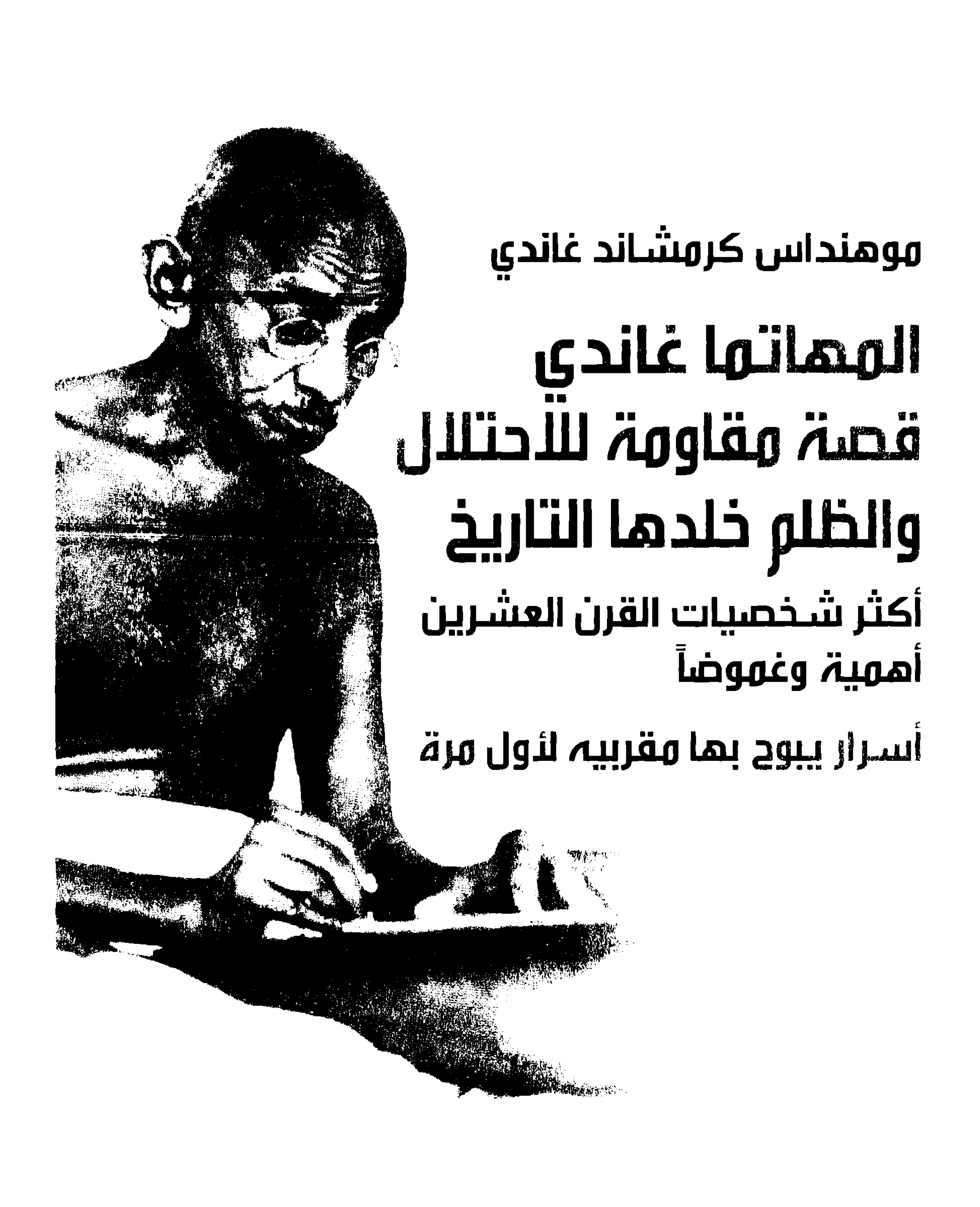
أسرار يبوح بها مقربيه لأول مرة

دراسة وإعداد
صلاح أبو دية



دار ابن النفيس

الطبعة الأولى



موهنداس كرمشاند غاندي

المهاتما غاندي
قصة مقاومة للاحتلال والظلم خلدها التاريخ

أكثر شخصيات القرن العشرين أهمية وغموضاً

أسرار يبوح بها مقربيه لأول مرة



دار ابن النفيس للدعاية والنشر والتوزيع
ص ب :3111 حولي -32032 الكويت
هاتف وفاكس : 0096597914680 - 0096550775525
email:salahabudayah@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر وكل اقتباس أو تقليد أو تزييف أو إعادة طبع الكتاب أو نشره عبر وسائل الانترنت المختلفة دون إذن خطي من الناشر يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الطبعة الأولى - 2016

رقم الإيداع: 19484- 2016
الترقيم الدولي: 9789775051455

3

المقدمة:

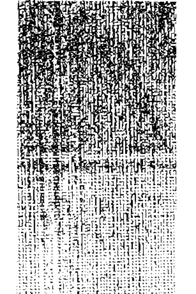
تعتبر حياة الزعماء والسياسيين مادة ثرية للكتابة والأدب، فالأحداث والنقلات سواء الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية يصبح لها مذاق خاص إذا كانت تتعلق بشخصية شهيرة، لذلك ليس من الغريب أبدا أن نجد عشرات الكتب التي تتناول حياة الزعيم الهندي والسياسي البارز المهاتما غاندي.

ذلك الرجل الذى استطاع التأثير ليس فقط في حياة ثلاث دول عمل فيها بشكل مباشر «جنوب أفريقيا- الهند- باكستان» لكن أيضا التأثير بأفكاره الرائدة حول المقاومة السلمية للاستبداد من خلال فكرة العصيان المدني الشامل والمعروفة باسم «ساتياجراها»، والتي جعلته ملهماً لحركات الحقوق المدنية والسياسية في العالم.

أثَّر غاندي في حياتي وفي حياةِ مئات الملايين، كان المُخلّص الهندي المنتظرَ الذي جعل الإمبراطوريةَ البريطانيةَ تجثو على ركبتيّها، الناشط الذي علَّم العالمَ طريقةً جديدةً لصنعِ التاريخ، كان الشخصَ ذا الرؤيةِ المستقبليةِ الذي طالب بعالمٍ بدون تمييزٍ عرقيٍ أو ديني، الشهيد الذي في عام 1948 عن عمراً يناهز 79 سقط صريعاً إثر رصاصةٍ قاتلةٍ.



يُبجل العالمُ غاندي بصفتهِ أباً للصراعِ السلمي، لم يشعرْ أنه كان زعيماً لهم أو أنه تفهَّم المخاوفَ التي كانت تثور عندهم بشأن دولةِ الهندِ المستقلةِ التي يُهيمنُ عليها الهندوسُ، وفي النهايةِ كانوا ضمن الملايين الذين رحلوا إلى الدولةِ الجديدةِ باكستان لم تكن حياة غاندي كما تبدو نظن أننا نعرفُ صاحبِ الفكر المستنير في الزي التقليدي.



حضارة شبه القارة الهندية



قبل الحديث عن غاندي لابد من إعطاء لمحة سريعة عن الهند.

الهند أكبر دولة ديمقراطية في القارة الآسيوية، ونظامها مستقر على التقاليد الديمقراطية.. وهي ذات مستوى تقني متطور..



قرأت فـي مجلة العربي الكويتية العدد 543 شباط 2004 قولاً للرئيس الأميركي السـابق بل كلينتون وهـو على رأس الحكم: «حـين يتصل عميل بشـركة مايكروسـوفت طلباً للمسـاعدة فـي أمـر يتعلق ببرنامج كمبيوتـر فغالبـاً مـا يجد نفسـه يتحـدث إلى خبير هندي وليس أميركيا»- (صفحة 49 مـن العـدد المذكور).

مسـاحة الهنـد 3800000 كم مربـع (ثلاثـة مـلايـين وثمانمائة ألـف كيلـو متـر مربـع) فمسـاحتها تسـاوي مسـاحة أوروبـا كلهـا عدا روسـيا، ومناخها يضم كل الفصـول فـي وقـت واحـد، وفـيها أعلـى المرتفعـات فـي العالـم، وأيضـاً فـيها أخفـض المنخفضات.

والهنـد كما يقـال هـي مختصـر العالـم، وفـي الهنـد تعايـش بـين المدنيـة والتخلف، وفيها كل الثراء والفقر، وكل الجمال وكل البشاعة، فكأن تلك البـلاد هـي موجـز تناقضـات العالـم، منـذ شـهر آب 1999 تجـاوز سـكان الهنـد المليـار نسـمة (أي سـدس سـكان العالـم) أي ثلاثـة أضعـاف سـكان الوطن العربي بأجمعه (سكان العالم عام 2002/ 6133000000) العرب 375000000 وهـي ثانـي دولـة بعـد الصـين، وأعتقـد أنهـا خـلال عامـين أو ثلاثـة سـتصبح أول دولـة فـي العالـم بالنسـبة لعـدد السـكان فقد قـرأت مؤخـراً أن عـدد سـكانها بلغ مليار ومئتي مليون شـخص، والسـبب كمـا هـو واضـح أن الصـين تقـوم بضبط النسـل بشـكل صـارم، وليـس كذلـك فـي الهنـد..

أكثـر مـن نصـف سـكان الهنـد أميّـون.. وثلـث سـكانها تحـت خـط الفقـر.

أمـا بالنسـبة للديانـات فـي الهنـد فـيصعب إعطـاء رقم موحـد حـول عـددهـا النهائـي.

وقد اختلف بشأنها الباحثون.. فمنهم من يرى أن في الهند ما يزيد عن 150 ديانة ومذهباً ومنهم من يضاعف هذا الرقم.

وكذلك الأمر بالنسبة للُغات الهنود فعددها ما يزيد عن الـ200 لغة، وفيها 17 لغة رسمية (معنى رسمية أي تتعامل بها الدوائر الحكومية)، وبسبب تجاوز اللغات واللهجات يضطر الهنود إلى اعتماد اللغة الإنكليزية كأداة تنسيقية في التعبير والتفاهم، وقد أسفر الخليط الديني في الهند (واللغوي أيضاً) إلى تغييب الوحدة الوطنية واضمحلال الانسجام السياسي بين الأديان فهناك الآلاف العديدة من المعابد، وفيها معها ملايين السحرة والثعابين والبقر السائب وأيضاً أطنان البخور والبهار.

وفيما يلي أهم عناصر التشكيلة الدينية في الهند:

(إذا اعتبرنا عدد السكان حوالي المليار)

الهندوس أو الهندوك حوالي 735 مليون.

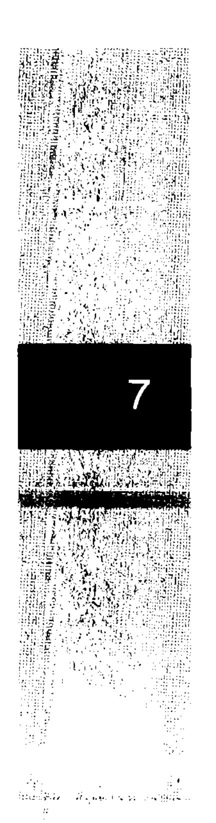
المسلمون 18 بالمئة (خمس السكان تقريباً) حوالي 180 مليون، أما المسلمون في الصين فعددهم 20 مليون.

التاميل حوالي 65 مليون.

السيخ 2 بالمئة حوالي: 20 مليون (معظمهم في إقليم البنجاب).



تمتد جذور الشبه القارة الهندية في أعماق التاريخ، حيث كانت مركزا للثقافة والفن والعلم في غابر الأزمان ومختلف الأدوار وخير دليل على ذلك بقايا مدينة موهنجودارو التي إكتشفت إثر الحفر الأثري



فـي عـام 1922. أظهـرت هـذه الحفاريات بأنـه كان هنـاك حضارة عريقة راقيـة فـي منطقـة هندوسـتان قبـل ثـلاث آلاف سـنة قبـل الميـلاد، وبعدمـا هاجـم محمـود عزنـوي الـى هنـد أصبحـت موضـع دخـول المهاجمين واحدا تلـو الآخـر، وألحقـوا الدمـار بالشـعب الهنـدي وهـذه المنطقـة العظيمـة. وكان عهـد المغـول عهـدا ذهبيـا بالنسـبة الـى الهنـد، غيـر أن بعدهـم حدث الخلاف والشجار فـي أمـر الإمبـراطـورية وانقسمت المنطقة وتحولت الى مناطق مختلفـة يستولي عليهـا أميـر أو ملـك وزالـت قـدرة المغول وخـارت قواهـم، وبـدأ الإسـتعمار الإنجليـزي يظهـر منـذ ذلـك الوقـت.

و أمـا عـن الحـكام المسـلمين فقـد حكمـوا فـيها أكثـر مـن خمسـة قـرون (مـن أواخـر القـرن الثانـي عشـر الـى بدايـات القـرن الثامـن عشـر)، ولكنـه فـي نهاية المطاف استحوذت الإمبراطورية البريطانية على هذه المنطقة فـي أواسـط القـرن الثامـن عشـر الـى أواسـط القـرن العشـرين. ونظـرة خاطفـة الـى هـذه المنطقـة توضّـح لنـا مـا تبقـي فـيها مـن الآثـار الإنكليزية كالقبـور ومختلـف التماثيـل كتمثـال هـاردنيـج وتمثـال ملكـة فـيكتوريا.

شركة الهند الشرقية بداية الاستعمار البريطاني في آسيا

أمـرت الدولـة البريطانيـة فـي 31 دسـمبر عـام 1600 الميلادي بغيـة ديمومـة سياسـاتها الاسـتعمارية فـي آسـيا بإنشـاء شـركة الهنـد الشـرقية

The British East India Company وفـي عام 1686 أصـدر مـدراء الشـركة إعلانـا بأنـه عزمـت الشـركة أن تؤسس فـي هندوسـتان مستعمرة للبريطانيا لجميع أدوار المسـتقبل. حيـث أن جميـع التجـار والمـلاح البريطانيـين

الذين كانوا يتجارون في قارة آسيا كان لابد لهم من الانضمام والالتحاق الى هذه الشركة، ومن هذا المنطلق كان دور الشركة دورا كبيرا أسودا للقارة الهندية وشعبها المكافح.

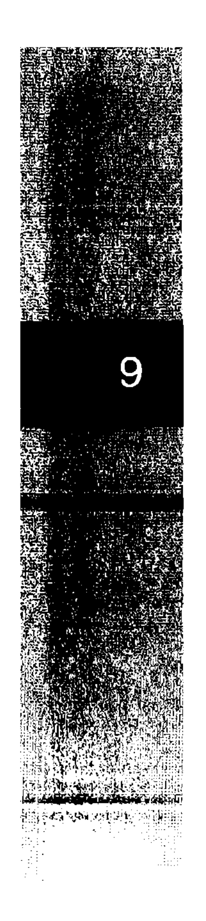
السرقة والقحط والتجويع ثمر الاستعمار البريطاني على الهند

بعد أن تأسست شركة الهند الشرقية وبعد ترسيخ جذور السلطة البريطانية الاستعمارية في الهند على مختلف مناطق آسيا، كان يتم القيام بجميع الأعمال الاستعمارية والعلاقات السلطوية للدولة البريطانية مع الشعوب الآسيوية الضعيفة عن طريق هذه الشركة. ويعتبر هذا العصر عصر السرقة من الشعب الهندي باسم العلاقات الاقتصادية والسياسية والتجارية.

يذكر صاحب كتاب «هولوكاست ويكتورياي متأخر» مايك ديويس قصص مختلفة عن القحط والتجويع الذيْنِ حدثتا للشعب الهندي، حيث أنه توفي ما زهاء 12 الى 29 مليون هندي إثر السياسات البريطانية المتعسفة.

كما أنه تم زج الكثير من الشعب الهندي في السجون وكان طعامهم اليومي أقل بكثير من طعام سجون بوخنوالد (مخيم السجون وأسرى الحرب النازي في بولندا عند الحرب العالمية الثانية) وفي عام 1877 وفقا للإحصائيات الرسمية كانت عدد الوفاة في السجون 94 بالمائة من جميع السجناء.

كما أنه في تلك الآونة المستصعبة كانت الدولة البريطانية تقوم بإصدار قسم كبير من الغلة والحنطة مما أفضى الى حدوث المجاعة والقحط الشديدين في البلاد وفي الولايات الواقعة في الشمال الغربي



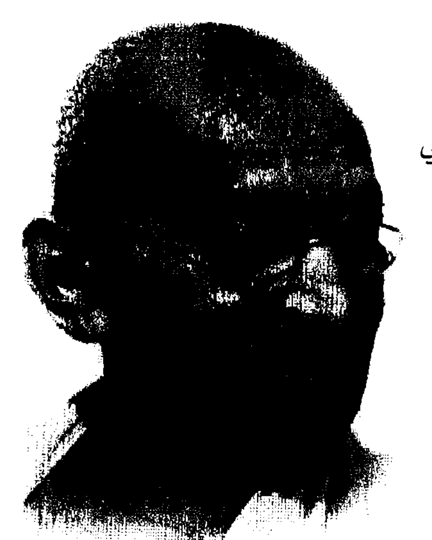
الهندي كولايات أودة وبنجاب (باكستان وقت احتلال الهند لم تكن تنفصل عن الهند بعد)، حيث حصدت هاتين الولايتين أكبر مقدار من الحنطة والغلة، بينما أن 25 مليون نسمة لاقوا حتفهم جراء القحط والمجاعة الشديدة وقتذاك..

بالمناسبة: كلكتا هي عاصمة ولاية البنغال، وكانت بين عامي 1774 و1911 (أي لمدة 137 سنة) عاصمة الهند البريطانية، كلكتا هذه سماها سكانها الأوائل (باريس الشرق)، وصفها جواهر لال نهرو بأنها «ميدنة الكوابي»، «مدينة القصور» انقلبت إلى «مدينة الأكواخ».

وفي كلكتا هذه نبت واشتهرت الأم تيريزا (سميت كلكتاوية مع أنها ألبانية) حيث عاشت في صميم البؤس حوالي نصف قرن وساهمت بشكل رائع ومثير للإعجاب بتخفيف المعاناة وقد نالت القداسة نتيجة لتضحياتها بزمن قياسي خلافاً للمألوف (توفيت عام 1997 وطوبت قديسة في 19/10/2003 أي بعد وفاتها بحوالي 6 سنوات).

وأختم هذه اللمحة عن الهند بأن الهند نالت استقلالها في 15 آب 1947.

ذكرى سنوية:



تتزامن بعض التواريخ والمناسبات العالميّة فتبدو في الظّاهر متنافرة، ولكن بعد التّمحيص وتقليب النّظر فيها نجد بينها من الوشائج ما يقربّها إلى بعضها البعض، بشكل أو بآخر؛ فالثّاني من أكتوبر/ تشرين الأول من كل سنة يوافق، في الأيّام الدّولية والعالميّة

التـي أقرّتهـا الأمم المتحـدة، اليـوم الدولـيّ للاّعنف، احتفاءً بميلاد المهاتما غانـدي صاحـب فلسـفة اللاّعنـف، والـذي ولـد يـوم الثانـي مـن أكتوبـر 1869. يتزامـن مـع هـذه الذكـرى العالميّـة موعـد الخامـس مـن أكتوبـر مـن كلّ عـام، والـذي يوافـق الاحتفـال السـنويّ بيـوم المعلّـم العالمـيّ. فـإذا كان غانـدي هـو «المعلّـم» فهـل يصبـح كل معلّـم «غانـدي»؟

غانـدي هـو ذلـك السياسـي الهنـدي، «المهاتمـا» أو «الـروح العظيمـة»، وأبـو الأمة أو «البابو» كما يحلو للهنود تسميته، نحت تاريخ ميلاده فـي الذاكرة الإنسـانية فأصبـح يـوم 2 أكتوبـر مـن كل سـنة عطلـةً وطنيـةً يحتفـل بهـا الهنـود، ويومـاً دوليـاً للاّعنـف. أسّـس غانـدي مـا عـرف فـي عالـم السياسـة بـ» المقاومة السلمية» أو «فلسـفة اللاعنف» (السـاتياغراهـا)، وهـي مجموعة مـن المبـادئ السـامية تتلخّـص فـي الشـجاعة والحقيقـة واللاّعنـف، وهـي تهـدف آنـذاك إلـى إلحـاق الهزيمـة بالمحتلّ عـن طريـق الوعـي الكامـل والعميـق بالخطـر المحـدق وتكويـن قـوّة قـادرة علـى مواجهـة هـذا الخطـر باللاّعنـف. حقّاً إنّه زعيم «المقاومة السلميّة»، وعاشق الحقيقة، وصاحب مقولـة «يتجـاوز حبّـي للاّعنـف حبّـي لأيّ شـيء آخـر دنيـوي، أو يتجـاوز هـذه الدنيـا، لأنـه يعـادل حبّـي للحقيقـة التـي هـي بالنسـبة إلـيّ رديـفُ اللاّعنـف الـذي بوسـعي عـن طريقـه فقـط بلـوغ الحقيقـة».

أمّـا المعلّم فمهمـا كتبـوا فـيه فلن يوفوه حقّـه، ومهمـا تصاغـر شـأنه فـي نظـر الجاهلين ومهمـا وصموه بنعوت دنيئة وقلّلوا مـن قيمتـه، فلـن يسـتطيعوا تغييـر صورتـه فـي الوجـدان الإنسـانيّ ولا فـي عقـول العالمـين والعارفـين: فلـه يبقـى فضـل إخراجنـا مـن الظلمـات إلـى النـور ولـه، لـه وحـده، الفضـل كلّ الفضـل، فـي بنـاء كيـان الطفـل حيـن يشـمله برعايتـه وعنايتـه قصـد تعليمـه وتربيتـه وتدريبـه وتأهيلـه للحيـاة كمـا يجـب أن يكـون. فالـوزارات تخطّـط وترسـم



السياسات وتوفر الإمكانيات المادية والبشرية والوسائل التعليمية من أجل إنجاح عمل المعلّم في المدارس، وبذلك يكون المعلّم مؤتمناً على الأجيال القادمة.

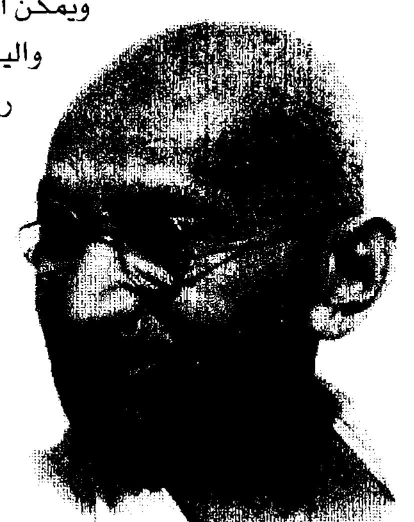
إنّ المعلّم مثلُه مثلُ غاندي؛ عاشق للحقيقة؛ والحقيقة هنا هي المتعلّم. نعم هي حقيقتنا المستقبليّة في هذا العالم الذي تطغى فيه اليوم لغة الدمار والعنف. إنّ أملنا معقودٌ في طفل المستقبل أن يعشق حقيقة نادت بها الديانات السماوية وردّدها غاندي، أن يتبنّى فلسفة اللاّعنف في معالجة الأمور. وهذه الفلسفة يتربّى عليها الطفل في المدارس حيث يشتبك مع الواقع المدرسيّ في الصفّ مع المعلّم والأصدقاء وفي ساحات المدرسة، وفي طابور المقصف وفي ملعب الرياضة، وفي حنفيات مياه الشرب وفي قاعة مصادر التعلم وفي المختبرات وغيرها من الفضاءات المدرسية التي تخلق بين المتعلمين نزوعاً إلى العدوان والاستقواء على بعضهم بعضاً، فيلتجئون إلى العنف اللفظي الذي قد يتجاوز مداه فيصير عنفاً جسدياً.

نعم السلام يُبنى في المدارس وعلى أيدي المعلمين والمعلمات، والسلام والتسامح والديمقراطية والتربية على المواطنة تترسّخ في سلوك طلابنا ولا نريدها مجرّد معارف تنتهي بانتهاء الدرس والامتحان يفرغها المتعلم في ورقة الامتحان لينصرف بعد ذلك إلى سلوك العنف وممارسات بعيدة كل البعد عن الحقيقة التي يجب أن نعشقها مع غاندي ألا وهي السلام والتعايش في هذا الإطار. قال المهاتما: «إذا أردنا أن نعلِّم السلام الحقيقي في العالم وأن نشنَّ حرباً حقيقيةً على الحرب، علينا أن نبدأ بالأطفال»، وهو ما يستدعي بالضرورة توفير تعليم شامل من أجل السلام والنمو الذاتيّ».

ويبقى غاندي وتبقى معه القيم التي حملها وتبناها: اللاعنف والتسامح والسلام والحب والحرية وقبول جميع الناس مع اختلافاتهم ودياناتهم وطوائفهم... كذلك يبقى المعلّم نبراساً في ظلام الأمم. نعم، يبقى المعلّم عاشقاً للحقيقة يعلّم الطفل السلام والتعايش والمسامحة لأنها صفة الأقوياء، فالعالم اليوم ما عاد يتسع للكراهية والتباغض. إننا في العالم كما لو كنّا في قرية يطلّ كلّ منا على الآخر، فما بالك بأبناء الوطن الواحد: ما عادت تحتملنا الخصومات ولا عادت تتسع لنا الفتن والحروب الداخلية ولا الخارجية. نعم، نحن في حاجةٍ إلى قلب المعلّم كي يعلّمنا بصدق نبضه، الحبّ «فأينما يتواجد الحب... تتواجد الحياة» كما قال غاندي.

إنّ التعريف بتجارب إنسانية وشخصيات سعت إلى نبذ العنف والتأسيس لثقافة الحوار والمساواة من أجل بناء مجتمعات ديمقراطية وبلوغ الحقيقة، واجبٌ على المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية خصوصاً في ظلّ فورة الدمار العالمية الراهنة، وتجربة غاندي تجربة استثنائية لمناضل استثنائي على كل المدارس والمدرّسين أن يعرّفوا به وبموروثه الإنساني في إطار الانفتاح على التجارب العالميّة والاستفادة منها من أجل بناء مجتمعات ديمقراطيّة وبلوغ الحقيقة باعتبارها غاية الإنسان الأولى.

ويمكن أن يتحوّل هذا التزامن الاعتباطي بين ذكرى يوم المعلم واليوم العالمي للاّعنف إلى يوم واحد حتّى يتذكّر المعلم أن رسالته هي السلام وأنه «ليس هنالك طريق للسلام، بل أن السلام هو الطريق» على حدّ تعبير غاندي.



تعرّضت كثير من الشعوب عبر التاريخ إلى تسلط دول استعمارية طمعت في خيراتها وثرواتها، ومن بين تلك الشعوب الشعب الهندي الذي ذاق مرارة الاحتلال والاستعمار البريطاني ولعقود طويلة، وقد



كافح الشعب الهندي هذا الاستعمار ببسالة وكان من أبرز رموز المقاومة السليمة رجل بسيط يسمى المهاتما غاندي؟ فمن هو المهاتما غاندي؟ وما هي أبرز جوانب حياته؟، وكيف كانت وفاته؟.

من هو المهاتما غاندي؟

رجل في غاية الضعف والهزل والضآلة، له وجه كأنه صبغ من البرونز، حليق شعر الرأس الأبيض حتى الجذور.. تبرز عظمتا خدّه في حدة.. ويوشك فمه الواسع أن يخلو من الأسنان.. أنفه ضخم وأذناه كبيرتان، بينما عيناه البنيتان تشعان طيب قلب يحيط جسده الضئيل بثوب غليظ لا يكاد يخفي ذراعيه وساقيه العاريتين!!.

هذا الرجل يقول عنه التاريخ:



(إنه تجرد عن المنافع وسعى للرقي بأنصاره وأعوانه إلى مرتبة فوق مرتبة التباغض الحيواني والأنانية الكريهة فلم يكن في نفسه مكان لغير المحبة والسلام).

الشهير باسم المهاتما غاندي، وكلمة المهاتما تعني الروح العظيمة، فيعتبر غاندي الاب الروحي لحركة

الاستقلال الهندية، فقد قضى المهاتما غاندي 20 عاما في جنوب افريقيا يعمل على مكافحة التمييز والتعصب في المعاملة، كما انه اسس حركته الخاصة ضد حكم البريطانيين التي اسماها ساتياغراها، ولكنها كانت حركة غير عنيفة احتجاجا علي الظلم، اثناء تواجده في الهند، كانت حياة غاندي مليئة بالبساطة والفضائل التي جعلته محبوب من الشعب وطريقة لبسه البسيطة جعلته قريب منهم.

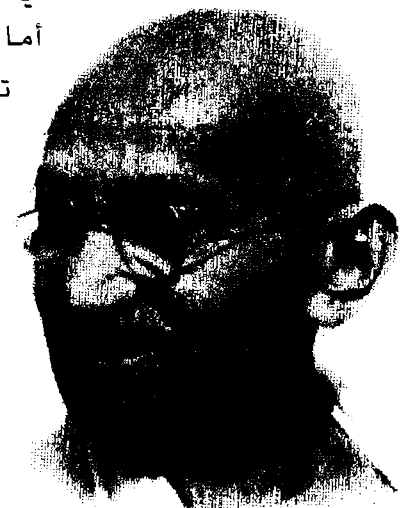
قضى المهاتما غاندي معظم سنوات حياته الباقية يعمل بجد لإزالة الحكم البريطاني من الهند ولتحسين حياة الطبقات الفقيرة في الهند، ونجد ان العديد من قادة الحقوق المدنية، قد سلكوا نفس منهج غاندي ومفهومه للاحتجاج الغير عنيف، مثل المناضل مارتن لوثر كينج، فلكل منهم كان له نموذجه المناضل الخاص.

اسمه الثلاثي: موهانداس كاراماشاند غاندي واختصاراً مهندس كرمشند غاندي وينادى موهان تحبباً أو تخفيفاً والده كرمشند، وكنيته غاندي وتعني العطار في لغة الهنود.

والاسم الذي اشتهر به هو اسم الأسرة (غاندي) وختمت بـ جي فقالوا غاندي أي السيد غاندي وسماه الأطفال بابو أي الأب تحبباً، أما لقب المهاتما فقد لقبه به شاعر الهند طاغور والمهاتما تعني النفس السامية أو الروح العظمى.

ويوجد كتاب ألفه عباس محمود العقاد بعنوان: المهاتما غاندي روح عظيم.

تنتمي أسرته إلى طبقة الفيشية ثالثة الطبقات الهندوسية الأربع الأساسية هي:



1 - البراهمة أي الكهنة

2 - الكشائرية أي رجال الحرب

3 - الفايسة أو الفيشية أي رجال التجارة.

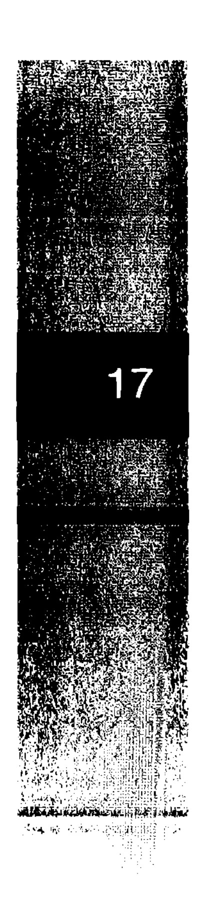
4 - والسودرا أي الفلاحين

وهذه الطبقات تتفرع أيضاً إلى طبقات عديدة وأكثرها تفرعاً الطبقة الرابعة وهي السودرا أي الفلاحين وتأتي في أدناها طبقة المنبوذين التي ناضل غاندي كثيراً لتحريرها من لعنة المنبوذية، والمبدأ الذي اتخذه غاندي يسمى (أهمسا) وأهمسا تعني: ألا يُنزِل أحد الأذى بكائن حيّ

الميلاد والنشأة:

ولد موهندس كرمشاند غاندي الملقب بـ«المهاتما» (أي صاحب النفس العظيمة أو القديس) في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول 1869 في بور بندر بمقاطعة غوجارات الهندية من عائلة محافظة لها باع طويل في العمل السياسي، حيث شغل جده ومن بعده والده منصب رئيس وزراء إمارة بور بندر، كما كان للعائلة مشاريعها التجارية المشهورة. وقضى طفولة عادية.

كان المهاتما غاندي هو الطفل الاخير لوالده (كرمشاند غاندي)، ووالدته (بوتيلباي) كانت الزوجة الرابعة لأبيه، وخلال نشأته، كان غاندي خجول، ويتحدث بلطف، وكان مجرد طالب عادي في المدرسة، وعلي الرغم من انه كان طفل مطيع الا انه جرب اكل اللحوم، والتدخين، وسرق بكميات بسيطة، ولكنه اعرب عن اسفه في وقت لاحق، وفي سن 13 عاما، تزوج المهاتما غاندي من كاستوربا، وانجبت كاستوربا لغاندي اربعة اولاد، وظلت تدعمه في حياته حتى توفت عام 1944.



الجزء الأول

غاندي وسيرةُ الزعيمِ الثائرِ

لكن ماذا عن المحامي النبيل؟

نعرفُ عن غاندي النباتي، لكن ماذا عن غاندي الذي كان يشتهي اللحم؟ نعرفه المسالم، لكن ماذا عن غاندي الذي كان يؤمن بالجهاد؟ نريد أن نكتشف بنفسنا غاندي الحقيقي، الرجل وراء المهاتما الإنسان وراء التناقضات.. هذا هو الرجلُ الذي في سنواتِ حياته الأخيرة، قال إن الناسَ لم يعودوا ينصتون إليه مفضلا أن يلتفتوا إلى صورته، نود أن نعرف المزيد عما كان يقوله وما إذا كان علينا أن ننصت إليه اليوم.

رحلة مع غاندي

مومباي:



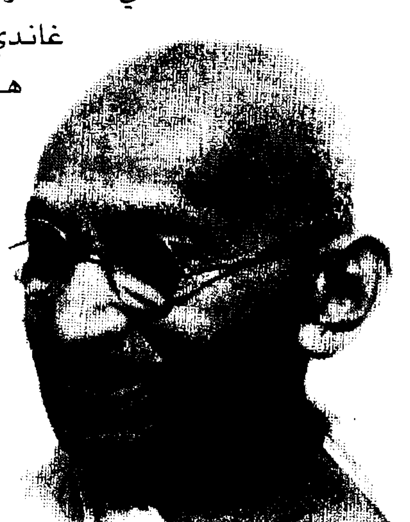
مومباي مدينةٌ حديثةٌ بشكلٍ فوضوي، ذات طبع غربي في أقصى طرف اقتصاد الهندِ المزدهر حيث تبدوُ الطبقة المتوسطة المتحدثة بالإنجليزية التي تعيشُ فيها متأقلمةً بشكلٍ متزايدٍ مع الديانة العالمية الجديدة الاستهلاكية، ماذا كان سيكونُ رأي غاندي في كل هذا يا تُرى؟ هل لا يزال هناك مكانٌ لرسالته الروحانية المسالمة غير الماديةِ في مومباي الحديثة؟

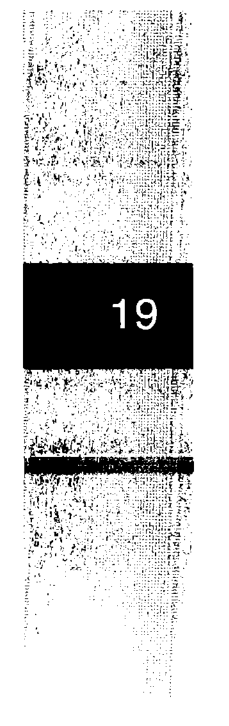
إنـه جـزءٌ مـن التاريـخ، نحـن فخـورون بـه وهـذه هـي نهايتـه، أريـدُ أن أكونَ ثريّـاً، أريد أن أكَوّنَ ثـروةً، أريـد أن أكونَ ناجحـاً ولا أعـرف إذا كان غانـدي يؤيـد هـذا.

لكن أينمـا تذهـب فـي هـذه المدينـةِ تشـعرُ وكأن غانـدي ينظـر إليك مـن الأعلـى مـن التماثيـل والصـور والنقـود والشـوارع والأبنيـة التـي تحمـلُ اسـمه، تبـدو الهنـد وكأنهـا تربطهـا بهـذا الزعيـمِ السـابقِ عَلاقـةُ حـب وكراهيـة، لمـاذا؟

لمعرفة المزيدِ عن القائد الملهم الهندي الذي كان يعظ بالحقيقة واللاعنف نتجـه نحـو الشـمال الغربـي إلـى بوربنـدر فـي ولايـة غوجـارت حيـث وُلـد موهانـداس كرمشـاند غانـدي فـي الثانـي مـن أكتوبـر تشـرين الأول من عامٍ 1869 وُلـد فـي هنـد مختلفـةٍ تمامـاً عـن هنـد اليـوم، بـلادٍ خنعـت تمامـاً للإمبراطوريـة البريطانيـة ولـم يكـن ميناء الصيـد المزدهر بوربندر اسـتثناء لذلـكِ لا يـزال مسـقط رأس غانـدي قائمـاً، مفاجـأة أن نكتشـف أن قائـد جماهيـر الهنـد فـي المسـتقبل قـد وُلـد فـيٍ عائلـة مـن الطبقـة المتوسـطة ميسـورة الحـال، كان والـده موظفـاً حكوميّـاً كبيـراً يعمـل لـدى الحكومـة..

فـي هـذه الغرفـة، فـي هـذا المكان الـذي يحمـل الصليب المعكوف وُلـد غانـدي، هـذه هـي البقعـة التـي وُلـد فـيها المهاتمـا غانـدي، وهـذه هـي الغرفـة التـي بـدأت فـيها حياتـه غيـر العادية.. فـي هـذه الغـرف الجميلة لا توجد إشـارةٌ حقيقيةٌ على أنها شـهدت السـنوات التأسيسـية لزعيم الهنـد الروحي والسياسـي البارز، فقـط عندمـا تدخـل إلـى سـاحة الـدار المجاورة لنصـب غانـدي التذكاري الضخـم تبـرز أهميـة هـذه السـنوات الأولـى بشـكلٍ أوضـح خاصـة الكلمتـين المحفورتـين فـي الرخـام أسـفلَ صورتـه.. الكلمتان همـا (أهمسـا) وتعنـي





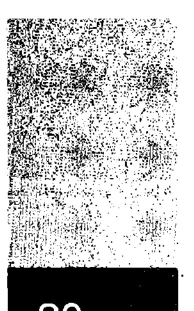
اللاعنف و(ساتيا) وتعني الحقيقة. تُشكل أهمسا جزءاً أساسيّاً من الفلسفة النباتية الهندوسية مثل عدم استخدام العنف مع الحيوانات، لكنها أساسية أيضاً في ديانة هندية أخرى، الجينية يضع الكاهن الجينيون الذين لابد أنه رآهم في شوارع بوربندر أقنعة على وجههم كي يتجنبوا استنشاق حتى أدق الكائنات وأذيتها، التقيتُ بأحد الكهان الجينيين المحليين الذي أخبرني أن التزامه باللاعنف يعتمدُ على حق جميعِ الكائناتِ في الوجود على قدم المساواة وأن هذا الالتزام يمتد حتى إلى الحقوق المتساوية لجميع الدِيانات.

كانت والدة غاندي التي كانت منجذبة للجينية هي أول من عرفت ابنها بفكرة اللاعنف طريقاً للمساواة الروحية والاجتماعية.

ساتيا أو الحقيقة هي مبدأ آخرٌ من مبادئ غاندي، بذرةٌ أيضاً زُرعت في سنواتهِ المبكرة، كتب غاندي نفسه أنه شاهد مسرحية متنقلة عن الهرست شاندر إنها قصة الملك الصادق الذي يرفض أن يحيد عن طريق الحقيقة لكنه يدفع الثمن غالياً عليه أن يرحل عن مملكته وقصوره، الأسوأ من هذا يخسر زوجته وابنه ومكافأة له على إخلاصه تمنح الآلهة الملك مكاناً في النعيم مع عائلته وكل رعاياه، كتب غاندي في مذكراته أن المسرحية أثرت فيه بعمق وستظل فكرة الحقيقة كطريق للخلاص الأبدي معه طوال حياته.

ولاية غوجارد:

إن تراث غاندي جلي في بلدته وتكريماً لأشهر أبنائها نجد ولاية غوجارد بأكملها نباتية وخالية من الكحوليات رغم أن هذا بالنسبة لبعض السكان لا يعد كافياً.



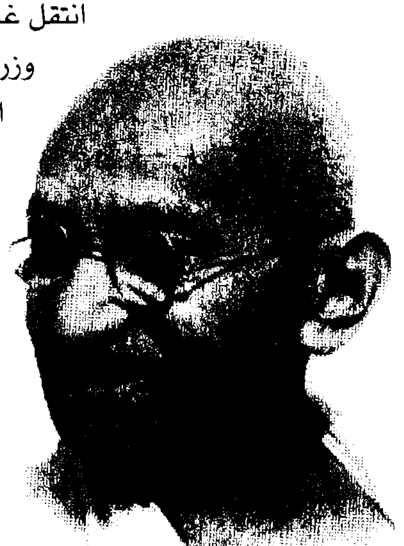


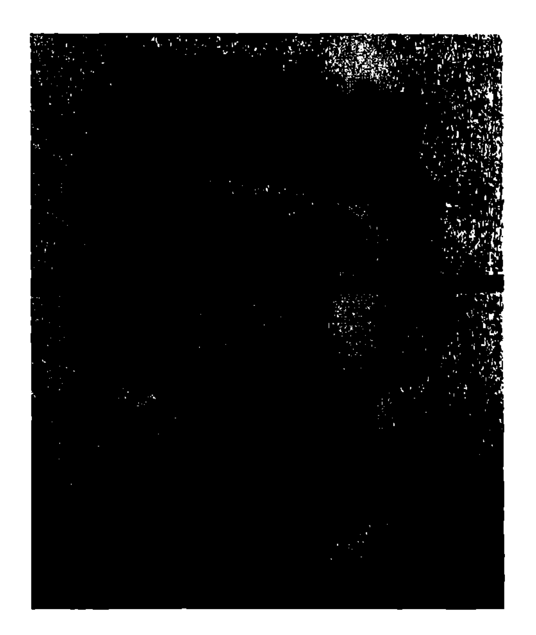
سألت الكاهن: لماذا يفعل هذا؟ فقال لي ليس فقط تخليداً لذكرى غاندي، ولكن أيضاً كي يتذكره الناس في بوربندر والعالم أجمع.

لم تظهر على التلميذ الصغير علامات تدل على أنه سيصبح الرجلَ الخير أو المحارب من أجل الحرية في المستقبل، كان أفقه محدوداً مثل أغلبية الأولاد في سنه لكنني أتساءل لو أن غاندي كان سيصبح رجلا عظيماً بدون روح المغامرة التي تستنشقها في ميناء مثل بوربندر لاشك أن غاندي كان يُشاهد السفن تأتي وتذهب من هنا طوال طفولته ولابد أنه كان يتساءل ما هي البضاعة التي كانت تجلبها؟ وكان يتساءل عن وجهة السفن الراحلة؟ كان ابن الميناء ولابد أن البحر كان يجري في دمائه وكولد صغير يُراقب هذه المياه لابد أنه كان يتساءل عن الأماكن التي توجد وراءها وأنه فكر في الرحلاتِ التي قد ينطلق فيها في حياته في تلك المرحلة كان علي المغامرة أن تنتظر حيث كان التعليم هو أهم شيء وبدأ عنصرٌ جديدٌ في تكوين غاندي يُشكل روحه المتمردة.

الانتقال الى رتش كوت:

انتقل غاندي مع عائلته هنا إلى رتش كوت حيث كان والده رئيس وزراء الولاية وفي عام 1880 في سن الحادية عشرة نجح في اختبار الالتحاق بهذه المدرسة الثانوية حيث تلقى تعليمه باللغة الإنجليزية، كان طالباً متوسطاً لكنه يعترف في مذكراته أنه كان من السهل تشتيت ذهنه في مرحلة المراهقة المبكرة يمكن هنا أن نُرجع السبب لهذا لزواجه في سن الثالثة عشرة، كان اسمها كاستوربا ابنة أحد الجيران من بور بندر لم يكن من الغريب





أن يتزوجَ الأولادُ في مثل هذه السن لكن يبدو أن غاندي كان يشعرُ بالغيرة الشديدة متسائلا عما كانت تفعله زوجته، بينما كان هو عالقاً في المدرسة لكن ما يثير اهتمامي هو أسلوب غاندي المتحدي تجاه السلطة والتقاليد يعترف بشرب الكحول والسرقة والأكثر دهشة بأكل اللحوم كان يرى أنا نظام أبناء وطنه الغذائي النباتي قد جعلهم ضعفاء وأن تناول اللحوم هو السبيل الوحيد لطرد المحتلين البريطانيين وفق لأوشا كانت مانكو الذي يرعى منزل غاندي هنا في رتش كود لم يكن هذا تصرفاً غريباً منه؛ تعرفين في طفولته المبكرة كان ولداً سيئاً للغاية تناول اللحم، احتسى النبيذ وكانت له علاقات بالنساء، لقد سرق الذهب من جيب والده كل هذه الرذائل ظهرت بينما كان يعيش هنا، هذا لا يعني أن المراهق غاندي كان عديم الضمير على العكس من هذا حمله قسمه على قول الحقيقة دائماً بأن يعترف بجرائمه لوالده الذي كما كتب غاندي كان يبكي في صمت كانت هناك علامات أخرى على آن غاندي كان متمرداً صاحب ضمير في سنواته الأخيرة في المدرسة الثانوية وقع والده صريع المرض كان غاندي يسهر بجوار فراشه لكنه تسلل ذات ليلة خارج غرفة والده المريض كي يمارس الجنس



مـع زوجتـه الحامـل وقـد توفـي والـده أثنـاء غيابـه لقد تـرك هـذا أثراً بليغاً في نفسه سجله فيما بعد فـي مذكراته.

(شـعرت بخـذي وبـؤسٍ عميقـيْن ذهبت إلى غرفة والـدي وأدركت أنـه لـو لـم تعـم الغريـزة الحيوانيـة بصيرتي لمات بين ذراعي)

كان فـي السادسـة عشرة، بعد عدة أشهر الطفل الذي كانت تحمله كاستوربا توفـي خـلال أيام مـن والدتـه، رأى غانـدي الأمـر علـى أنه عقـاب إلهي على تخليـه عـن والـده فـي لحظـة وفاتـه شـكلت تلـك الواقعـة آراءه عـن الجنـس وزوجتـه وحتـى عـن عيوبـه الشـخصية، لكـن كل هـذا يكمـن فـي المستقبل البعيـد كان على غانـدي أولا أن يرحـل عـن رتش كوت.



بعـد عاميْن من وفاة والده وفـي سن الثامنة عشـرة تخرَّج غاندي من المدرسة وانطلق فـي الحياة شعر أنه يختنق فـي المنزل وكان يريد مهرباً، طفل مختلف يبحث عن مكان يتكيف فيه وفر له أحد أصدقاء العائلة هـذا المـكان، اقتـرح على غانـدي أن يذهـب إلـى إنجلتـرا كي يتدرب ليصبح محاميا كانت هـذه هـي الفرصـة لتعلـم تفاصيـل الإمبراطوريـة، الفرصـة لمواجهـة

البريطانيـين فـي لعبتهم كانت والدته مترددة فـي أن تدعـه يذهـب، لجأت إلى دينها كي يرشدها، أعطته قلادة من الخرز المصنوع من شجرة التولسي المقدسة سوف تحميه القلادة بينما هو بعيدٌ عن الوطن ثم طلبت من كاهن جاني أن يشهد الثلاثة وعود التي أرادت أن يقطعها ابنه على نفسه

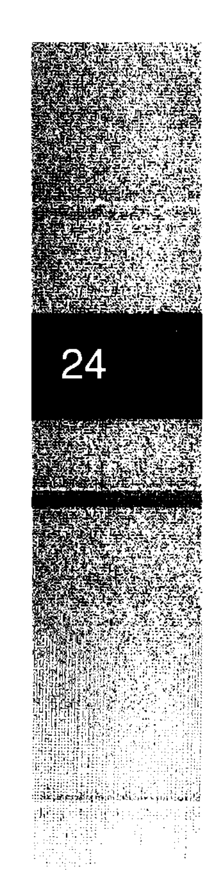
(شهد على إجراءات القسم وأقسمت على ألا ألمس النبيذ والنساء واللحم بعد أن فرغت من هذا أعطتني والدتي الإذن بالسفر).

الرحيل من رتش كوت الى مومباي ومنها الى لندن:

أخيراً استطاع غاندي أن يرحل عن رتش كوت إلى مومباي، لكن قبل الرحيل كان أمام المحامي الطموح أن يتغلب على عقباته الأخيرة.. أمره زعماء طائفة طبقة التجار بالحضور أمامهم ورفضوا إعطاءه الإذن بالسفر إلى الخارج وإذا أصر على عبور المياه المظلمة إلى إنجلترا سوف يعتبر منبوذاً من ديانته، ورغم كل هذا سافر غاندي، غادر بومباي في الرابعة من سبتمبر أيلول في عام 1888 قبل شهرٍ من عيد ميلاده التاسع عشر.



المسيح الهندي المنتظر قد اختار تقدمه الشخصي على دينه عبر هذه المياه المظلمة منبوذاً، لكن على عكس كل توقعاته استيقظ في لندن الشاب غاندي بشرارة روحانيه لم يتمكن بلده نفسه من أن يشعلها، وهو يقترب من رصيف ميناء تلبوري لم يكن يشعر بالندم، بل بالطموح فقط ما أن وطئت قدماه الشاطئ ببدلته من الكتان الأبيض كان أقصى طموحه أن يتعرفَ على



إنجلترا بالتجربةِ وأن يجعلَ من نفسه نبيلاً إنجليزيّاً كان متأهباً لأن يمتص كل ما لدى لندن أن تقدمه له.

كان شابّاً خجولاً بعد الشيء ولهذا السبب صوَّر نفسه كنبيلٍ إنجليزي شاب ارتدى ملابس الطبقة الراقية في تلك الفترة ملابس غريبة للغاية.

غاندي المحامي:

المكان الذي أصبح فيه غاندي محامي هو معاهد أنيرتمبل للمحاماة، لم يكن يمكنك ممارسة المحاماة في ذلك الوقت في أي مكانٍ في الإمبراطورية البريطانية ما لم تكن مسجلاً في أحد معاهد المحاماة في لندن. يمكنك أن ترى وصوله هنا في 1888 وفي السادس من نوفمبر قبلت عضويته في المعاهد مقابل مبلغ يغطي دراسته طوال ثلاث سنوات، كانت الرسوم ما قيمته مائة وأربعين جنيهاً وأحد عشر شلناً وخمسة بنسات.

تركت الفترة التي قضاها في أنيرتمبل أثراً لا يمكن محوه على غاندي ليس فقط بسبب دراسته لكن بسبب ما كان يأكله، فقد كان عليه أن يتناول العشاء هنا كي يستوفي الشروط، كان أحد شروط القبول في نقابة المحامين تناول 24 وجبة عشاء في العام درس هنا لمدة ثلاث سنوات لابد أن الأمر كان شاقّاً عليه وهو نباتي.

حسناً بالتأكيد لأنه كان قد تعهَّد لوالدته بأن يبتعد عن الكحوليات، وأن يبتعد عن اللحم وأعتقد أنه كان هناك شعورٌ عام في لندن الملوثة في منتصف العصر



الفيكتوري بأنه لا يمكنك أن تعيش بلا كحوليات أو لحم، في الواقع كان غاندي يواجه خطر الاضمحلال كان يعيش على الكرنب المسلوق في سلطة طعام المعاهد وخبز ومربى في سكنه. لم يكن نباتيّاً عن اقتناع، لكنه كان قد قطع وعداً لوالدته.

ومن هذه الأشياء البسيطة يتحول التاريخ لقد كان لقراره بالوفاء بوعده عواقب عظيمة، ومن هنا بدأت عملية التحول من نبيلٍ في العصر الفيكتوري إلى مصلح، مما ربطه بغوجارات من جديد وأعطت تلك المفاهيم من الطفولة عن اللاعنف والحقيقة أطباعا لديه أن هناك هدفاً جديداً.

أتظن أن طالباً أجنبيا في لندن في أواخر العصر الفيكتوري قد يواجه صعوبات في العثور على دار ضيف لنباتيين، لكن بالنظر إلي هذه الخريطة كان هناك عدد من الأماكن تلبي احتياجات غاندي الغذائية الخاصة، وإن اكتشاف هذه الأماكن لنباتيين لا شك في أنها أفادته لكن أهميتها الحقيقية كانت تتعلق بصحوة غاندي السياسي لأنه في تلك الفترة كانت مطاعم النباتيين تقع في قلب حياة حركة الإصلاح العصرية وأنشطتها في لندن.

تيرستيلم سترمادت هو مؤلف تاريخ المبدأ النباتي كانت هناك عدة مطاعم لنباتيين في هذه المنطقة في الفترة التي كان يعيش فيه هنا تشير السجلات إلى وجود أربعة وثلاثين مطعماً في لندن في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، ما زالت تُعتبر غريبة الأطوار ومتطرفة، لكن هناك مجموعةً من المصلحين السياسيين المشاركين في حركة النباتيين يرونها مفتاحاً في الواقع لإصلاح الطبيعة البشرية والسلوك البشري كانوا يعتبرون تناول اللحوم والدماء طريقة يدخل بها العنف والعدوان إلى الجسم البشري..

إذا صار الجميع نباتيين، هل سنحصل تلقائياً على مجتمع أرقى هذا صحيح، هذا شيء التقطه غاندي في لندن من معاصريه من المصلحين الاجتماعيين الراديكاليين، وهذه الأفكار أصبحت مركزيةً بالنسبة للطريقة التي ننظر إليه بها اليوم بحيث نتساءل كيف كانت لتكون أفكاره لو لم يلتق بهذه المجموعة في لندن، نعم تحديداً نعرف أنه قبل أن يأتي إلى لندن كان في الواقع مقتنعاً بأن تناول اللحوم كان المفتاح لجعل الهنود أقوياء وأنها كانت الطريقة لطرد البريطانيين من بلاده على العكس تماماً أصبح هو المبدأ بحلول الوقت لمغادرته لندن كان مقتنعاً أن المذهب النباتي هو المفتاح وأن اللاعنف هو الأسلوب لطرد البريطانيين من الهند.

استفاد غاندي من لندن أكثر مما كان يتوقع لقد فهم المذهب النباتي في سياقٍ اجتماعي وسياسي وأخلاقي وكيف أنه مرتبطٌ بشكلٍ وثيق بأهمسا أو اللاعنف.

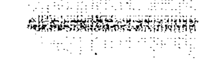
لكن كان لدى لندن المزيد لتقدمه كان هنا حيث اكتسب غاندي فهماً جديداً وأكثر عمقاً عن المبدأ الذي تعلمه في طفولته ساتيا أو الحقيقة ولقد جاء من مصدرٍ

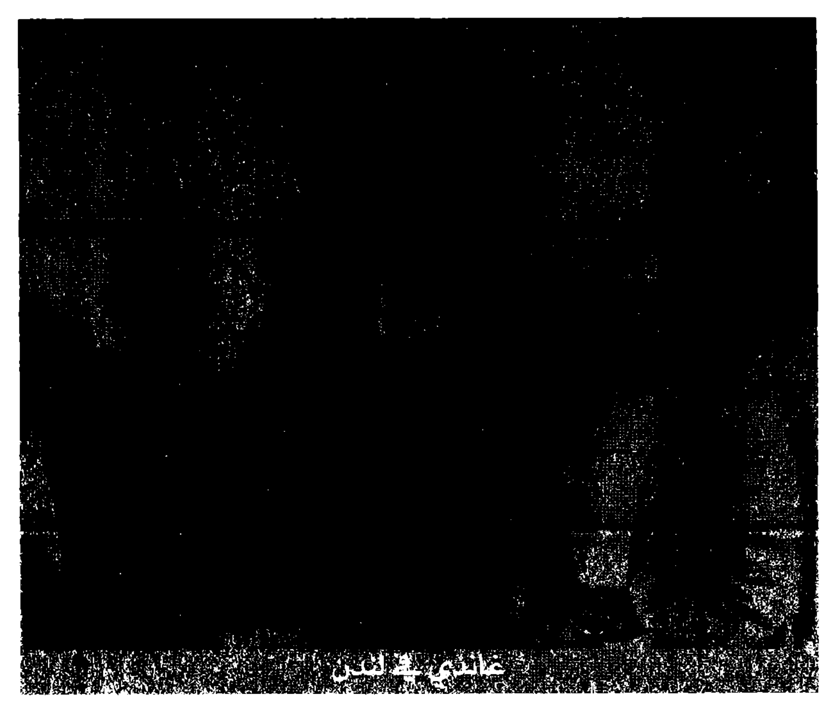




ديني غير متوقع أصبح غاندي عضواً فعالاً في جمعية النباتيين يسهم بمقالات في مجلتها، ولقد قدمه هذا إلى كل ما هو رائع وعظيم في مجتمع لندن حيث تعرَّف على رواد المصلحين والأفكار الدينية الجديدة آن ذاك.

وفي ملتقى غاندي المفضل في غرب لندن تقول: كاثرينا تردرك الخبيرة في التأثيرات التي حددت توجهه أخبرتنا عن حركةٍ كانت تجذب اهتماماً كبيراً في لندن أثناء وجود غاندي وهي جمعية الثيو الصوفية ومؤسستها مدام بلافاتسكي كانت ترى أن جميع الديانات في العالم كانت هي بالأساس نسخاً مختلفةً من ديانةٍ واحدةٍ أساسية ضمنية، الديانة الخالدة الفلسفة الخالدة وضرب هذاً على وترٍ حسَّاس في غاندي كان منجذباً تماماً للفكرة لأنه كان يمكنه أن يرى أن الهندوسية كان ينظر إليها بجدية جعلته يفكر أن الديانات تخصب بعضها البعض على ما أظن كانت مدام بلافاتكسي قد اقتبست أفكاراً من المسيحية والهندوسية ومن كل مكان لكن بالأخص من المسيحية والهندوسية وبدأ غاندي يرى كيف يُمكن للشخص التعبير عن أفكارٍ دينيةٍ بطرقٍ مختلفة.





غاندي في لندن

كما حدث مع المذهب النباتي كان غاندي يُعيد اكتشاف تراثه من خلال عيون غربية أثار هذا تعطشاً للمعرفة الروحية للحقيقة المطلقة، وهنا قرأ نصين تاريخيين من الكتب المقدسة المسيحية والهندوسية وهي عظة الجبل والبهافجات بيتى



مذكوراً في مذكراته أن النصين الشهيرين يتحدثان عن الشيء ذاته فهما يتحدثان عن إنكار الذات كطريق للتحرر، وأعتقد أن فكرة إنكار الذات كطريق للخلاص كانت بالتأكيد مفتاحاً في فهم كلٍّ مِن تطوره الديني ووسائله السياسية (حاول عقلي الشاب أن يوحد تعاليم الجيته وتعاليم عظة الجبل لقد جذبتني بشدة فكرة إنكار الذات كأسمى أشكال الدين).

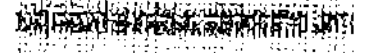
وفـي كتاباتـه يبـدو غانـدي كأنـه يصـرف النظـر عـن أيـام دراسـته كفتـرةٍ تمهيديـةٍ تسـبق الفتـرة التـي بـدأت فيـها حياتـه حقـاً لكـن كانـت هنـاك بـذورٌ ذرعـت هنـا فـي لنـدن سـوف يكـون لهـا تأثيـرٌ هائـلٌ علـى تفكيـره وأفعالـه لاحقـاً فـي حياتـه.

بعـد ثـلاث سـنوات لـه فـي لنـدن حصـل غانـدي علـى إجـازة ممارسـة المحامـاة أصبـح الشـاب مـن موربنـدر محاميـا نبيـلاً ولكنـه أصبـح أكثـر مـن هـذا شـخصاً يُنـادى بالمثاليـة ويبـدأ بـإدراك مصيـره كقـوة للخيـر.

العودة الى الوطن: مصيرٌ كاد أن يهرب من بين يديْه عند عودته إلى وطنه

عـاد غانـدي إلـى الهنـد فـي يوليـو تمـوز عـام 1891 فـي سـن الثانيـة والعشـرين مفعمـاً بأفكـارٍ عـن تحقيـق التحـول الروحانـي والسياسـي فـي بلـده لكـن لـم يـدم تفاؤلـه وبهجتـه بعودتـه إلـى الوطـن طويـلاً مـا أن رفـت سـفينته فـي مومبـاي تلقـى خبـر وفـاة والدتـه أخبـره أشـقاءه أن أمنيـة والدتـه الأخيـرة كانـت أن يقبـل مـن جديـد فـي طائفتـه ذهـب فـي رحلـة حـج يسـتحم فـي الميـاه المقدسـة كـي يزيـل عـن نفسـه وسـمت عبـوره الميـاه المظلمـة عـاد إلـى رتـش كـوت كـي يواجـه كبـار الطائفـة لكنهـم أبلغـوا غانـدي أنـه سـيظل منبـوذاً إلـى الأبـد، كانـت صدمـة لآمالـه فـي آن ينتمـي مـن جديـد.

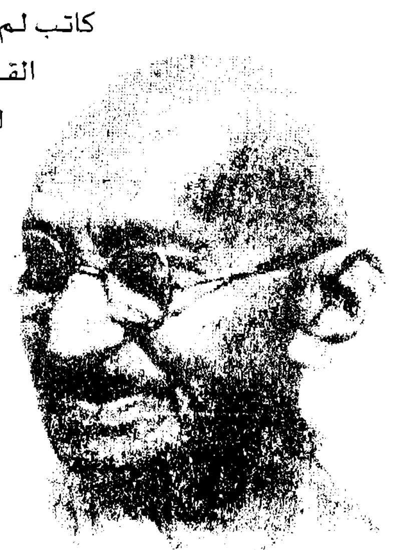
علـى الصعيـد المهنـي كانـت هنـاك أخبـار سـيئة كذلـك كان شـقيقه قـد تـورط فـي بعـض التعامـلات المشـبوهة وتولـى غانـدي الدفـاع عنـه أمـام الوكيـل السياسـي البريطانـي؛ لمعرفتـه بـأحـكام القانـون الإنجليـزي.





لابد أن غاندي المحامي شعر بالثقة لكن الاجتماع كان كارثة سرعان ما حذر الوكيل المحامي المؤهل حديثاً بتجنب الموضوع، لكن غاندي لم يفهم التلميح طلب منه أن يرحل لكنه أصر على أن يتم استدعاء خادم كي يطرده بالقوة، كانت مهانةً كاملة له على الصعيدين السياسي والمهني.

ضعفت الحادثة من عزلته في ذلك الوقت كانت أمامه فرصة ضئيلة لأن يثقل خبرته في مهنته في بلدته، لذا عندما جاءه عرضٌ من مكتب محاماة في جنوب إفريقيا وهي وظيفة أعلى قليلاً من درجة كاتب لم يكن لديه أي اختيار كان عليه أن يقبلها، وقد غير هذا القرار مسار حياته ومرة أخرى رحل غاندي عن الهند، كان لديه متسع من الوقت للتفكير خلال رحلته الطويلة لكن على عكس المرة السابقة التي رحل فيها عندما كان مليئاً بالأمل والطموح بشأن السفر إلي إنجلترا، كان يرحل هذه المرة بعد أن ذاق مرارة كل من الخسارة والفشل في الوطن كانت نقطة فشل بلا شك لم يكن من الواضح كيف كان سيمكنه أن ينعش مستقبله



القانوني ولا علامة على إمكانيات هذا الشاب الذي سوف يعرفه العالم أجمع ذات يوم.

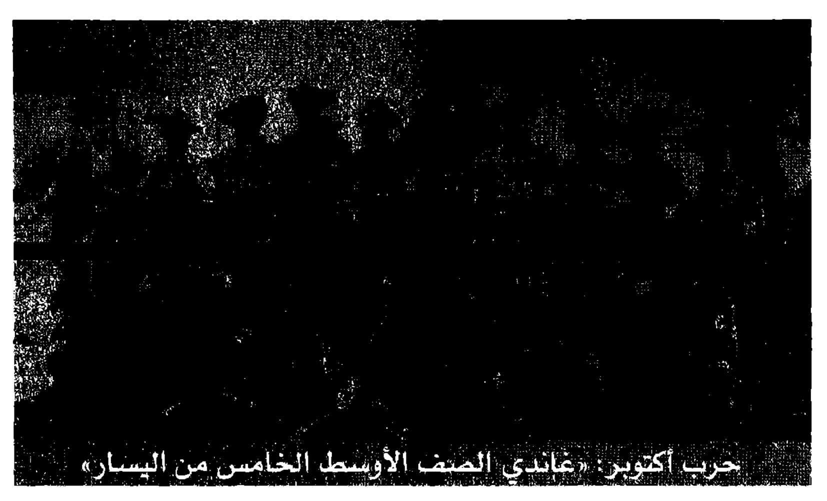
كان غاندي في الرابعة والعشرين أبحر إلى ميناء دوربان منبوذاً فاشلا مطروداً من كل من دياناته ومهانته التي اختارها ولكنه سيغادر جنوب إفريقيا بعد إحدى وعشرين سنة وشهرته العالمية واسعة بحيث تجعله يعود إلى الهند كمنقذها سوف يكون تحولا مشهوداً لكن أريد أن أعرف كيف؟

من جميع النواحي لم يكن من الممكن أن تكون بداية غاندي في جنوب إفريقيا أسوأ من ذلك يخطو بقدميْه على رصيف دوربان بعد أن أمعن التفكير ثانية في شأن ملابسه لبس معطفا طويلا على الطراز الأوروبي وعمامة من تصميمه كانت أجنحته كنبيل إنجليزي قد قصت ولقد جعله هذا الأمر يفكر كمحامي شاب تدرب وتهذب في لندن لكن بالتأكيد وربما بتحدٍّ هندي.

جنوب افريقيا:

تفتخر جنوب إفريقيا اليوم بأكبر مجتمع هندي خارج آسيا، كثيرون منهم ينحدرون من أسر العمال الذين جاءوا إلى هنا عبيداً في مزارع السكر والسكك الحديدية ومناجم الفحم في خدمة الإمبراطورية البريطانية، والبعض الآخر ينحدر من عائلات التجار التي كانت تكسب رزقها من التجارة بين القارتين.

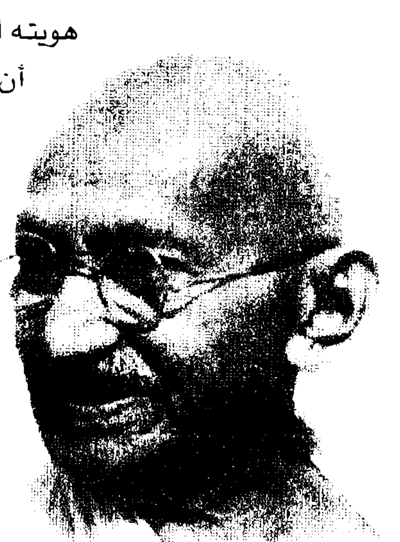
كان رب عمل غاندي الجديد أحد هؤلاء التجار كان اسمه داد عبد الله استأجر المحامي الشاب كي يساعده في مطالبة تجارية محل نزاع وسريعاً بعد



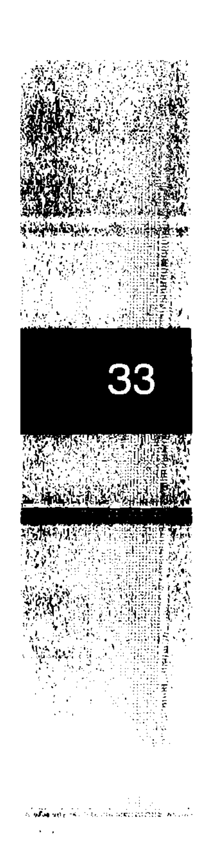
حرب أكتوبر: «غاندي الصف الأوسط الخامس من اليسار»

وصوله جاء بغاندي إلى هنا محكمة دوربان الصغرى، لم تكن تجاربه الأولى مع نظام جنوب أفريقيا القانونية مشجعة على الإطلاق، طلب منه القاضي أن يخلع عمامته ولكنه رفض ذلك، نحاول أن نتخيل ما الذى يدور في رأس غاندي في هذا اليوم الحاسم، أنها المرة الأولى التي يقف فيها أمام محكمة دوربان كانت هناك أشياء كثيرة على المحك، كانت هذه المحاولة الأخيرة لإنعاش مستقبله القانوني.

عندما دخل المحكمة كان قد اختار أن يتخذ رمزاً واضحاً يعبر عن هويته الهندية لكن القاضي أخبره أنه لم يكن ملائماً وبدلاً من أن يذعن لسلطة هذا القاضي في محكمته قرر أن يتخذ موقفاً، ربما شعر بالإهانة، ربما شعر بالغضب، لكن كان رد فعله يحوي إشارة إلى شيء لم نلمسه من قبل في حياته، ثقة بالنفس تكاد تكون حديدية.



كانت حادثة العمامة أول تجربة مسجلة يشهدها غاندي عن التميز العنصري على طريقة جنوب أفريقيا لكنها كانت بعيدة كل البعد على أن تكون



الأخيـرة، أثـار موقـف غانـدي ضـد السـلطات الاسـتعمارية إعجـاب داد عبـد الله فأرسـله كـي يمثلـه شـخصيّاً فـي النـزاع الخـاص بـه كانـت، هـذه المرحلـة نقطـة تحـول.

صعـدا إلـى القطـار فـي دوربـان متجهـاً شـمالا إلـى جمهوريـة ترنـس فـال التـي يهيمـن عليهـا البـور عاصمتهـا بـرو تـوري وهـو جالـس فـي مقصـورة الدرجـة الأولـى يسـتمتع بالمناظـر الطبيعيـة الخلابـة لابـد أنـه تصـور أنـه قـد وصـل أخيـراً... كـم كان مخطئـاً، بـدأ النـاس فـي مقصورتـه يحدقـون فـيـه ثـم يشـتكون إلـى موظـف القطـار أبـرز غانـدي تذكـرة درجـة أولـى صالحـة واعتـرض بصـوت عـالٍ لكـن بـلا فائـدة، طلـب منـه المسـئولون الانتقـال إلـى مقصـورة مـن الدرجـة الثالثـة وعندمـا رفـض ألقـوا بـه بالقـوة مـن القطـار، ولزيـادة الأمـر سـوءاً قضـى ليلـة شـديدة البـرودة فـي غرفـة الانتظـار هنـا فـي محطـة بيترمارتـس بـارج..

يقول فـي مذكراته: (بدأت أفكر فـي واجبي، هل أحارب من أجل حقوقي أم أعـود إلـى الهنـد أم هـل أذهـب إلـى برتوريـة دون أن أعيـر اهتمامـاً إلـى الإهانـات وأعـود إلـى الهنـد بعد أن أنتهـي من القضية).

أصبحـت غرفـة الانتظـار الآن مـزاراً، وشـرح لنـا ديفـيد جنغـان مـن لجنـة نصـب غانـدي التذكـاري السـبب:

بمـاذا تشـعر وأنـت جالـسٌ فـي هـذه الغرفـة؟ إنـه لا يسـع الشـخص إلا أن يتأثـر بمـا حصـل هنـا، أحكـي القصـة مـراتٍ كثيـرةً لكـن مـا زلـت أشـعر بغصّـة فـي حلقـي عندمـا أرويهـا، لقـد كان هنـا تحـدٍ فـي غرفـة الانتظـار حـين أخـذ يفكـر هـل يعـود إلـى الهنـد أم يبقـى ويعانـي مـن مثـل هـذه المهانـة، وأدرك أن التجـارب التـي مـرَّ بـه



ربما كانت أمراً عرضيّا لأنه كان زائراً، لكن بالتأكيد الناس من عرقه يعانون من هذه المعاملة يوميّاً وهكذا كانت هناك لحظة ميلاد تمت هنا في هذه الغرفة.

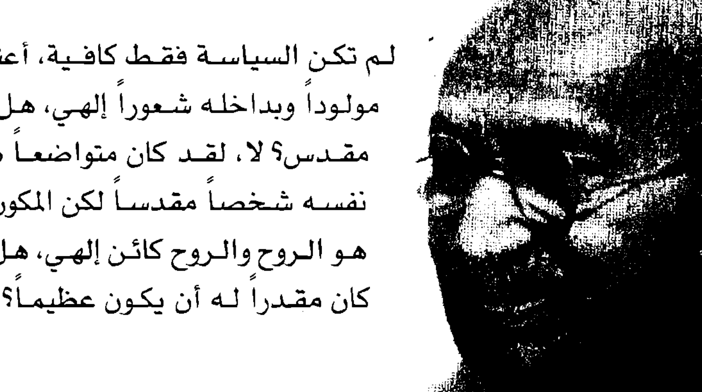
كانت النتيجة المباشرة للاعتداء العرقي في ماتير ماريس بارج أن عصر غاندي على قضية حركت معتقدات الطفولة عن الحقيقة والمساواة، قضية يمكن أن يكرس لها معرفته لها عن الدين والقانون، قضية سوف تشغله طوال 21 سنة التالية.

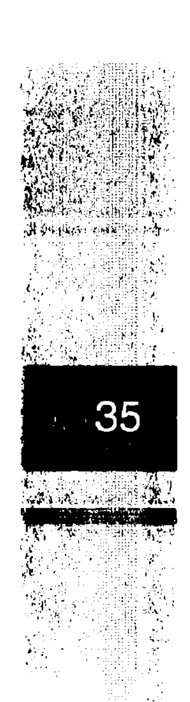
وفي خلال أسبوع من وصوله إلى بروتوري كان يخطط لتأسيس نقابة للتجار الهنود، لكن غاندي ما كان يمكن أن يكون مجرد سياسي أو ناشط فلو أن لندن حركته تجاه هدفي الإصلاح الاجتماعي والديني فبرتوري هي التي علمته كيف يحققهم لقد أدرك هنا الطبيعة الروحية العميقة لدعوته.. الدعوة التي ستنشر كل شيء قد عقد العزم عليه.

فاطمة مير ناشطةٌ معروفةٌ مناهضةٌ للتمييز العنصري هدفها في الحياة محاربة الظلم والاضطهاد كتبت كثيراً عن حياة غاندي في جنوب إفريقيا وقد سألناها لماذا بالنسبة له؟

تقول فاطمة:

لم تكن السياسة فقط كافية، أعتقد أنه بداخله كان مولوداً وبداخله شعوراً إلهي، هل تقولين إنه ظن أنه مقدس؟ لا، لقد كان متواضعاً طوال حياته ليعتبر نفسه شخصاً مقدساً لكن المكون الأساسي للإنسان هو الروح والروح كائن إلهي، هل ظن أنه مميز وأنه كان مقدراً له أن يكون عظيماً؟ تجيب فاطمة: لقد







غاندي في القطار

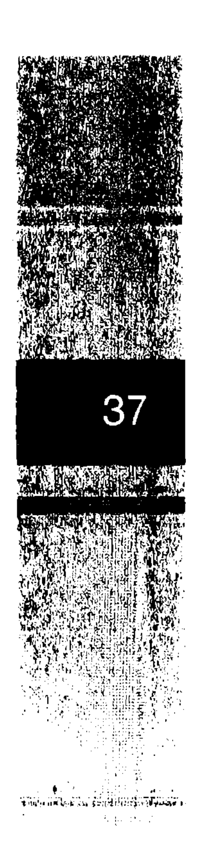
وصل إلى هذه النتيجة بالتحديد في محطة مارتس بارك بعد أن ألقى من القطار وعندما جلس هناك في تلك الليلة الباردة يفكر هل كانت هذه هي اللحظة التي وضعته على الطريق لأن يكون المهاتما، أعتقد ذلك لم يكن غاندي قط مجرد كائن سياسي كان يجب أن يكون الصراع مقدساً أن يكون أخلاقيّاً. انتهى اللقاء مع فاطمة.

كان غاندي متأهباً لأن يأخذ مكانه في ساحة

جنوب أفريقيا السياسي لكن ليس فقط كمحام ومناضل من أجل حقوق رفقائه الهنود، لقد دخل المعركة بصفته زعيمهما الأخلاقي هذه صورة لغاندي الشاب تلمح إلى الروح العظيمة ومنقذ الهند في المستقبل، ثم فرضت الفرصة نفسها كي يحقق مصيره على نطاق وطني، كانت المعركة التي ستشغله بقية الفترة التي قضاها في إفريقيا المعركة التي ستحدد ملامحه في عيون العالم كالزعيم صاحب الكاريزما الخاصة الذي اتخذ من اللاعنف سلاحاً مميزاً وقاطعاً.

كانت جوهانزبرج مركز قيادة تلك المعركة التي فرضت نفسها هي القانون الأسود لعام 1906 ألزم القانون جميع الآسيويين فوق سن الثامنة بحمل بطاقة شخصية وكذلك بصمات الأصابع العشرة، كان ذلك هجوماً متعمداً على كرامتهم وحقوقهم.

كما أوضح غاندي كانت بصمات الأصابع تُستخدم فقط في التعرف على المجرمين لم يكن لدى غاندي أدنى شك في أنه يجب مقاومة القانون الأسود.. لكن كان السؤال كيف؟ كان هذا هو السؤال الذي سوف يُؤسس علاماته المميزة ويُعطيها شكلاً وطبعاً العصيان المدني السلمي، وجاءت الإجابة تتدفق من ماضيه ساتيا وأهمسا الطلسمين التوأم من ذي طفولته، اتحدت الفكرتان معاً كي يكوّنا واحداً من أكبر أشكال الصراع السياسي في التاريخ قوة وابتكاراً، أطلق على منهجه اسم ساتيا غراها ساتيا الحقيقة جرها القوة قوة الحقيقة واحدها المقاومة السلمية يمكنه أن تولد قوة إلهية كافية حقيقة كافياً للانتصار على الظالم، تبقى سؤالٌ واحدٌ يُعذب غاندي إلى أي مدى يجب أن يذهب الجميع مع اللاعنف.



فكرة دينية جديدة:

الآن فـي سـن السـابعة والثلاثين دخلت فكرة دينية جديدة مثيرة للجدال لكـن حاسـمة فـي المزيـج جـاءت مـن الإسـلام عبـر حلفـاء غانـدي مـن التجـار المسلمين بالأسـاس، وتعتقـد فاطمـة ميـر أنـه فـي هـذه النقطـة فـي جيمس بـارج كانـت والدتهـا سـاتيا جرهـا الحقيقيـة تعلم الكثيـر عـن الإسـلام، هنـا الأمـر حقـاً مثيـرٌ للاهتمـام لكـن إذا تتبعـت أسـاس السـت جرهـا ستجدين أنهـا فـي الحقيقـة تأثرت بالجهـاد، أعتقـد أن هـذا قـد يُثيـر لـدى أتبـاع غانـدي اليـوم الدهشـة وربمـا الغضـب لمجـرد الربط حتى بـين السـانيا جرهـا والجهـاد وهـو اتفـاق مثيـر للجـدال حاليـاً، أنـت محقـة تمامـاً (تقـول فاطمـة) أنهـم غاضبـون، لكـن معنـى كلمـة جهـاد هـو الإيمان بقـوة بشـيء مـا بحيـث تلتزمـين بـه إلـى حـد المـوت مـن أجلـه، إذن هـذا هـو الشـعور الحقيقـي بالجهـاد (المـوت أفضـل مـن الاستسـلام لمثل هـذا القانـون لكـن كيـف نمـوت مـا الـذي يجب أن نتجـرأ علـى فعلـه سـوى أمـام الاختيـار بـين النصـر أو المـوت).

مسـتمداً طاقتـه مـن الجهـاد نظـم غانـدي أصدقـاءه التجـار وصقلهـم وألهمهـم كـي يخبـر مقاومـة السـاتيا جراهـا السـلمية علـى نطـاقٍ كاملٍ.

فـي الحـادي عشـر مـن سبتمبر فـي أيلول تعاهـدوا جميعـاً بالتصدي للقانـون الأسـود، كان القسـم الرئيسـي المطلـق المقـدس هـو الذهـاب إلى السجن بدلاً من الاستسلام لمثل هذا القانـون،

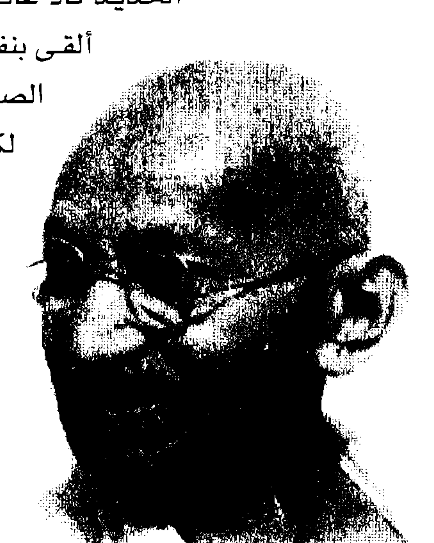
نجحـت الخطـة مثـل الحلـم، طلـب القانـون جميـع الهنـود بالتسـجيل قبـل نهايـة نوفمبـر عـام 1907 وعندمـا حـل هـذا اليـوم فقـط 575 مـن 7 آلاف كانـوا قـد سـجلوا أنفسـهم، كانـوا كمـا توقـع غانـدي لنهايـة ينايـر كانـوا بحلـول نهايـة ينايـر كانـون الثانـي عـام 1908 .

السجن:

ألقي بغاندي في السجن ومعه ألفان آخران، كان النجاح على مرمى البصر، لكن بطريقةٍ ما تمكن غاندي من انتزاع الهزيمة من فك النصر، وبسرعة ما بدأت الظروف القاسية في سجن القلعة سيىء السمعة في جوهانسبرج تضعف عزيمة التجار، وأرسل وزير المستعمرات في حكومة ترنس فال مبعوثاً إلى هناك كي يتفاوض مع غاندي واتفق على حل وسط، بأن قال لهم سجلوا أنفسكم طوعيا وبعدها يلغي سماش القانون الأسود، وكان من الطبيعي أن يتساءل أتباع غاندي لماذا دخلوا السجن إذا كان عليهم الآن التسجيل على أي حال كانت خطوة تشير إلى الوراء، كان مستقبل غاندي كزعيمٍ سياسي على وشك أن ينتهي قبل أن يبدأ حقاً.

النجاة من الاغتيال:

بعد أن خرج من السجن هاجمه عضو ثائرٌ من جماعته بقضبان من الحديد كاد غاندي أن يفقد حياته لكن صديقاً له من سجن القلعة ألقى بنفسه فوق غاندي متلقياً الضربات بدلاً منه كان، هذا الصديق هو تامبي نيدو، لم ينقذ تامبي حياة غاندي فحسب لكنه سينقذ كذلك سمعته وسيعيد إطلاق حملة غاندي.



ما مدى أهمية اتساع نطاق أتباع غاندي بهذا الشكل في نجاحه؟

أعتقد أنه كان له تأثيرٌ كبيرٌ على مكانته، إن ما ندال في رحلته الأولى إلى الهند، قال للمسئولين الهنود:

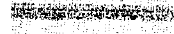


غاندي في السجن

أنتم أعطيتمونا غاندي وأعطيناكم المهاتما ونعتقد أن صنع المهاتما تم في جنوب أفريقيا .

العودة الى الاضراب:

في عام 1913 أعلن غاندي عودة الساتيا غراها الإضراب احتجاجاً علي ضريبة تأديبية لم يستجب التجار لدعوته لكن غاندي كان يمكنه الآن الاعتماد على العمال الهنود الفقراء، فقد كان للإضراب تأثرا اقتصاديا فوريا، بدأ في مناجم الفحم في نتال وامتد بسرعةٍ إلى السكك الحديدية ومزارع السكر، لكن غاندي البارع في التكتيك كان يمكنه أن يرى أيضاً التأثير السياسي للإضراب كان الكثيرون من العمال الهنود يعيشون في معسكراتٍ يوفرها لهم أصحابُ العمل إذا شاركوا في الإضراب، كانوا يخسرون منزلهم كانت خطة غاندي هي غمر شوارع نتال بالناسِ ثم

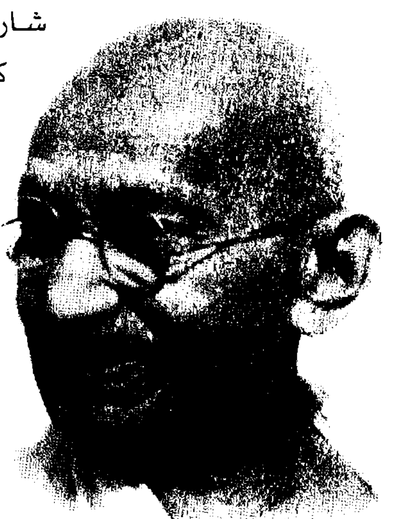


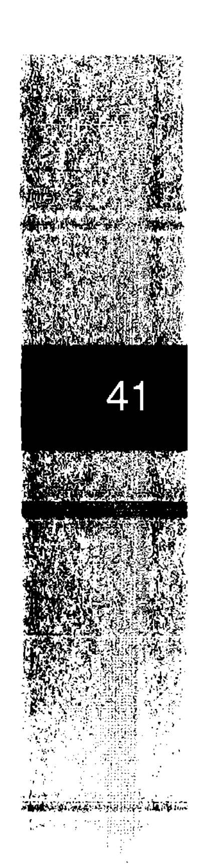


وعد بإيواء العمال المشردين وعائلاتهم في المزارع عبر الحدودِ بين نتال وترانسلفانيا، ومن البديهي أن كان هذا غير قانوني وكان من البديهي أيضا أن يتسبب عبور الحدود في اعتقالات جماعية سوف تمتلئ السجون تغطية أكبر داعية أكبر ضغطاً أكبر على السلطات.

شارليس تون على جانب نتال من الحدود مع ترانس بال كان في السادس من نوفمبر تشرين الثاني عام 1913 في السادسة والنصف صباحاً وتحت نظر وسائل الإعلام العالمية قاد غاندي 2121 رجلا وامرأة وطفلا عبر الحدود.

كان رد الفعل وحشياً ألقي القبض على غاندي وحُكم عليه بالسجن تسعة أشهر تم ترحيل المتظاهرين إلى





نتال مرةً أخرى، لكن الإضراب انتشر وسرعان ما امتلأت الجرائد بتقارير عن الهنود المحبوسين في المنجم، وارتكبت أعمال وحشية أخرى جعلت صبيحة الإعلان من غاندي شخصية دولية لها مكانة وفي الوقت نفسه أضافت سماتس والحكومة على نحو مهلك... كان عليهم أن يستسلموا. ألغيت الضريبة - سبب الخلاف -، لقد فاز غاندي كان الفتى الخجول من بو بندر على حافة تحقيق قدره يا له من نجاحٍ عظيم تحولت الساتيا غراها من مجرد فكرة جديدة سلبية مثالية إلى فكرةٍ ذات قوة هائلة.

تمكن غاندي من حشد آلاف الأشخاص وتوحيدهم تحت قيادته سعياً وراء قضية مشتركة وبالنسبة له كان هذا يعني اعترافاً به أكثر بكثير من حدود جنوب إفريقيا، وعندما عاد غاندي إلى بور بندر كان يعامل كبطلٍ لكن عقله كان في مكانٍ آخر بالفعل لقد قبل مصيره على أرض جنوب إفريقيا وحققه والآن كانت الهند تناديه إلى الوطن.

قوة جديدة:

وفي الثامن عشر من يوليو تموز عام 1914 أبحر وهو واثق من معرفته كما قال لأتباعه قوة جديدة قد نهضت في العالم وهي قوة الحقيقة، لقد نهضت قوة جديدة في العالم اسمها موهانداس كرمشاند غاندي.

وحيث أننا اكتشفنا أنه خلال عشر سنوات من عودته كان غاندي قوة مستهلكة إذن كيف أصبح غاندي والد الأمة؟



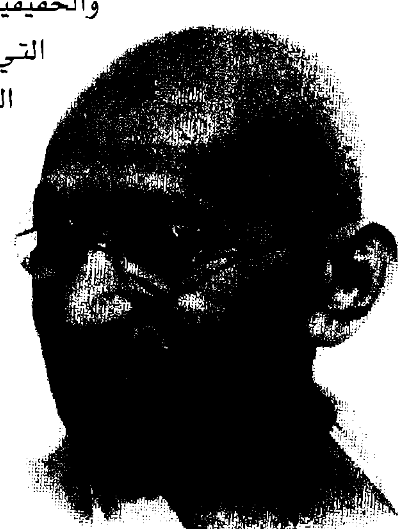
الجزء الثاني

صعودُ نجمِهِ

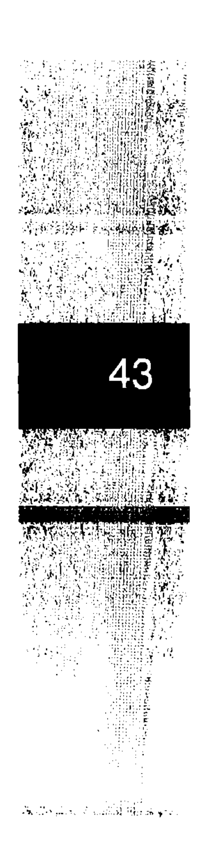
فـي صبـاحِ السـادس مـن أبريـل نيسـان عـام 1930شـقَّ المهاتمـا غانـدي طريقَـه نحـو هـذا الشـاطئ المنعـزلِ كانـت هـذه نهايـةَ مسـيرةٍ مُضنيـةٍ استمرت شـهراً فـي المعركـةِ مـن أجـلِ الاسـتقلالِ.

كان يعـرفُ أن الشـرطةَ فـي انتظـاره لأن الخطـوةَ التاليـةَ التـي كان يعتـزمُ غاندي اتخاذها كانت غير قانونية، أراد أن يستفز حكام الهند البريطانيين بإجـراءٍ بسـيطٍ لكنـه فعَّـال، اغتـراف ملـح البحـر مـن الشـاطئ لكـن كان محظـوراً علـى الهنـود جمـع الملـح دون دفـع ضريبـة بالنسـبة لغانـدي، كان هـذا يُـوازي تقريبـاً السـرقة مـن الفقـراء، كانـت الرحلـة الطويلـة إلـى البحـر خطـوة سياسـية بارعـة وليـس مـن المبالغـة أن نقـول إن عيـون العالـم كانـت تُراقـب هـذا الشـاطئ لـم يعـرف أحـداً مـا يمكـن أن يحـدث هـل سيلقي القبـض عليـه أم سـيتعرض أتباعـه للهجـوم.

والحقيقية أننـا اكتشفنـا أن غانـدي كان مختلفـاً عن صورة القديس التـي ترسـمها لـه هوليـوود، نجـده رجـلا لـم يكـن صعـودُه إلـى السلطة مضموناً على الإطلاقِ فـي هذه السنوات الحاسمة، كان على غاندي أن يتحملَ السجون البريطانية والإهانات من الخصوم والمؤيدين وسنوات من التهميش السياسي.



كان بالـكاد هامشـاً فـي التاريـخ، كمـا سنكتشـف أن الفلسـفة الراديكاليـة التـي جلبـت لـه الشـهرة ليسـت مباشرة كما تبدو الحقيقة، اللاعنف أو الحكم، غاندي



مسالم، ومع ذلك تحتاج حملته الى العنف كي تنجح، وقد كان كثير الانتقاد للذين يموتون في سبيل دعوته.

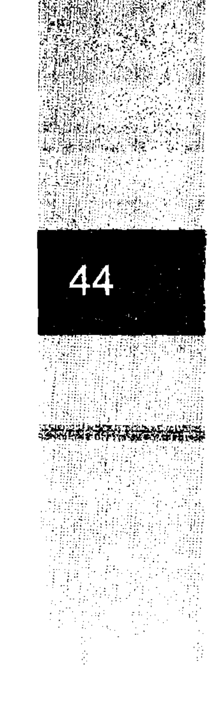
الغربة في بلده:

عاد غاندي غريباً إلى وطنه الهند في يناير كانون الثاني عام 1915 كان قد قضى 22 سنة في جنوب إفريقيا يُحارب من أجل حقوق رفقائه الهنود كان هذا المحامي الذي تدرَّب في لندن يدفعه الآن إيمانه، إن لديه مهمة من الرب لتغيير الهند في ذلك الوقت كانت الهند جزءاً من الإمبراطورية البريطانية لم يكن غاندي يريد شيئاً أقل من الحكم الذاتي لشعبه في جنوب إفريقيا، كان قد طوَّر أداةً سياسيةً فعالة نوعاً من الاحتجاج السلمي الذي أطلق عليه الساتيا غراها ويعني قوة الحقيقة.

اكتشاف الهند:

وبحلول عام 1915 شعر غاندي أن الساتيا غراها يمكنها أن تُحدث تغيراً في الهند أدرك غاندي أنه كان بعيداً عن واقع وطنه فقرر أن يقضى عاماً مسافراً في عالم مجهول.

قرَّر غاندي أن يسافر هو وزوجته كستورباي في الدرجة الثالثة وقتها كما هو الآن كان القطار أفضل وسيلة لاكتشاف الهند قرَّر غاندي أن يسافر هو وزوجته كستورباي في الدرجة الثالثة، ما رأياه أصابهما بالصدمةِ، كانت العرباتُ مكتظة بالركاب والذباب



يُعطي الطعام والحمامات مريعة والشاي لا يُشرب، ولم تكن القطارات فحسب.. رأى غاندي وهو يقطع البلاد طولاً وعرضاً الفقر في الريف، ما كان يؤمن بأنه ممارسات هندوسية مزيفة والتأثير السيئ والفاسد للأفكار الغريبة، من الواضح هنا كالكثير الذي سيشغله هنا ما رآه غاندي خلال رحلته أقنعته بأن الهند تحتاج تغيراً اجتماعياً.

بالتأكيد لكن أيضاً إلى تغير روحي جوهري، كان عليها أن تستحق الحكم الذاتي بأن تصبح أمة أكثر صفاء أخلاقيّاً، كانت هذه رؤية يأمل أن يشاركه فيها الساسة الهنود الذين كانوا يعرفون البلاد أكثر منه لكن لم تقابل أفكاره بحماسة، جديراً بالذكر وسريعاً بعد أن عاد غاندي إلى الهند أقامت شخصيات سياسية بارزة عدداً من حفلات الاستقبال على شرفه تحدث غاندي عن معتقداته وأهدافه لكنه لم يكن خطيباً وكان جمهوره في الأغلب بملابس أوربية، يشعر بالخجل من هذا البطل متواضع المظهر القادم من جنوب إفريقيا في ملابس غودجارت التقليدية.

لكن كانت لدى غاندي خطة لتأسيس قاعدة روحية لتحويل المجتمع.... كانت هذه بداية مسيرة طويلة ووعرة سيكون فيها انتصارات، لكن انتكاسات مفاجئة كذلك قد يكون غاندي في وسط الأحداث، ذات لحظة يقود الصراع من أجل هندٍ حرة من الحكم الاستعماري، وقد يكون منعزلاً في اللحظة التالية تفتر همته في المتاهة السياسية، إنها لمعجزةٌ حقاً أنه واصل القتال.

البداية:

بدأ سعي غاندي للتخلص من الحكم البريطاني في ولاية مولده غودجارت قرر أن يؤسس معتزلاً خاصاً أو



مجتمعاً دينيّاً يكون في مركز عمله السياسي وإلهاماً للمجتمع الهندي لكن، كان لديه أتباع قليلون والقليل من المال، لم يكن هذا مجتمعاً يؤلفه في أنشودة ريفية بسيطة، اختار غاندي موقعاً هنا في أحمد أباد واحدة من أكثر المدن الصناعية في الهند وبسبب مصانع النسيج بها تُسمى مانشستر الهند.

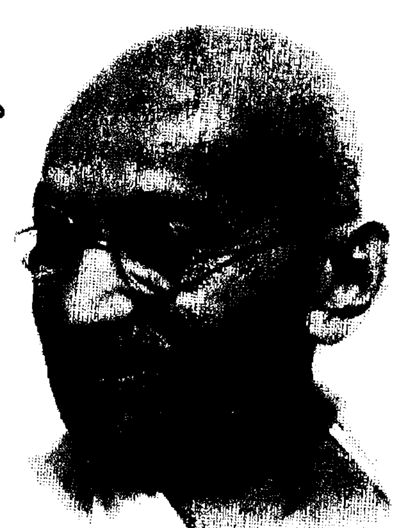
بنى المعتزل على أرض قاحلة على ضفاف نهر خارج أحمد أباد وسرعان ما نما ليصبح مجتمعاً منظماً من حوالى ثلاثمائة شخص أراده غاندي أن يعود إلى فضائل حياة القرية البسيطة خاصة غزل ونقش الأقمشة اللذين كان يرى أنهما يمكنهما أن يجعلا الهنود مكتفين ذاتيا.

واليوم أصبح المعتزل متحفاً تقديراً لمؤسسه العظيم، ناراران جيساى نشأ هنا في العشرينيات مع غاندي كصديق ومصدر إلهام، كان والد ناراران سكرتير

غاندي ومستشاره الأمين لأكثر من خمسة وعشرين سنة، اليوم يُعد ناراران أحد القلائل المتبقين الذين يمكنهم أن يقولوا إنهم قد عرفوا المهاتما غاندي وعندما كان تلميذاً في مدرسة المعتزل، كانت لديه آراؤه الخاصة عن فلسفات غاندي. يقول ناراران: (كانت معلمتي كثيراً ما تأتي من الخلف وتشد أذني وتجرني هكذا، أعطاني هذا فرصة لكتابة خطاب إلى غاندي قائلاً حسناً هذا ما يحدث في معتزلك وأنت تتحدث عن اللاعنف)، هل تظن أن غاندي قال لها توقفي عن شد أذن الأطفال لابد أن غاندي قد شد أذنها ربما ليس فعليّاً، وحتى قبل افتتاح المعتزل أرسى غاندي بعض القواعد كي يتابعه المجتمع، إنها قواعد ساحرة تلخص الفلسفة التي سوف تواجه بقية حياته:

الحقيقة اللاعنف أو: الحب.. العفة.. لا سرقة.. عدم الامتلاك..

إذن عليك أن تتخلى عن ممتلكاتك الدنيوية الشجاعة لا يمكن لأحد أن يتبع الحقيقة أو الحب طالما أنه عرضة للخوف، إذن كان مهمّاً له أن الناس لا يجب أن يشعروا بالخوف من أي شيء، نعم فعلا كان هذا الجزء الثوري في الأمر هذا هو، وفي قلب المعتزل نجد غرفة غاندي مكانا مليئا بالذكريات بالنسبة لناراران.



هل كان غاندي يجلس هنا؟

يقول ناراران (ابن سكرتير غاندي) كانت هذه قاعة الاستقبال ومكتبه كذلك جلس هنا؟

يمكنني أن أتذكر والدي جالساً هناك يكتب ما يمليه عليه وأحياناً يعرض عليه بعض الأوراق إلى آخره.



ما هو شعورك وأنت في هذه الغرفة؟

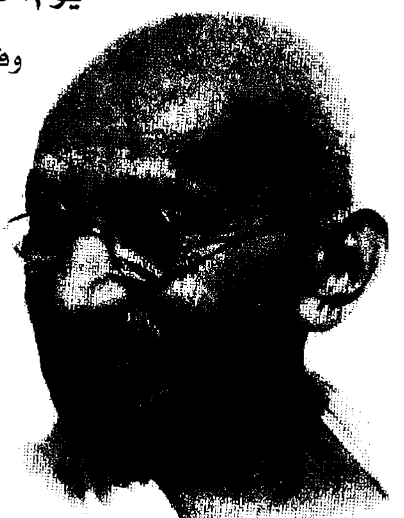
يقول ناراران: كل هذا أعاد للحياة قصة غاندي بطريقة لم أتوقعها لأول مرة أشعر أن لدى فكرة أفضل عن شخصيته الكاملة عن هذا الإنسان الذي نجح في جذب الكثيرين من الناس إلى دعوته وسرعان ما تحول المعتزل إلى مزار، كان الناس يأتون إلى هنا مؤمنين بأن مجرد لمحة من غاندي ستمنحهم بركة روحية وبدأوا يطلقون عليه المهاتما الروح العظيمة، نجح المعتزل بشكلٍ جيد، قاعدة نظم منه غاندي حملة سياسية غير تقليدية داعماً الفلاحين القرويين وعمال النسيج المضربين عن العمل وتدريجياً نمت سمعته كبطل الفقراء وكانت الأحداث التي ستحول مستقبل غاندي تتجلى تدريجيا في لندن.

في صيف عام 1918 أصدر القاضي البريطاني سيرسدن تقريراً حول سلوك الهند التحريضي وأوصى أنه لابد من تمديد قانون الحرب الذي لا يحظى بشعبية بين الهنود والذي وضع لقمع الإضرابات أيضاً في وقت السلم.

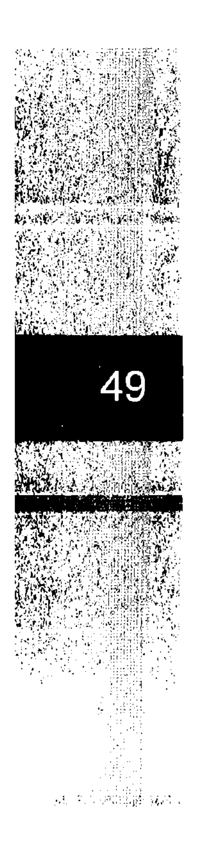
صار غاندي غاضباً وصف الأمر بخيانة قاسية لدعم الهند في الحرب وجعله هذا أكثر إصراراً عن ذي قبل عن التحرر من الحكم الاستعماري وتأهب لما أطلق عليه أعظم معركة في حياته، عندما سمع غاندي أن نائب الملك قد وافق ووقع على قانون روليت تحرك بشكلٍ حاسم بينما تردد الساسة الآخرون، كان حتى تلك اللحظة يركز على الحملات الإقليمية وكانت هذه قضية يمكنه أن يطلق حولها حركة قوية سلمية معارضة تواجهها عن عمد السلطة البريطانية في الهند، كانت هذه بداية صراع استمر 28 عاماً.

كان رد فعل قضاة أكبر منظمة سياسية في البلاد حزب المؤتمر الوطني الهندي فاتراً تجاه غاندي وتكتيكاته السياسية حذروه من أن الاحتجاج سيتحول إلى العنف، لكن كان غاندي واثقاً من أن الشعب الهندي سيدرك البعد الديني للساتيا غراها وأنهم يجب أن يكونوا أنقياء في دوافعهم وحتى مليئاً بالحب تجاه قامعهم ومع رفض الحزب دعم أي شكل من أشكال العصيان، كون غاندي فرقه الخاصة لتنسيق المعارضة لقانون روليت.

يوم احتجاج:



وفي مارس عام 1919 نادى غاندي بهرتل قومي أو يوم احتجاج طلب من جميع المتاجر والمكاتب والأعمال أن تغلق ثم كتب إلى نائب الملك قائلاً إن الاحتجاج سيثبت أن القوة البدنية لا تساوي شيئاً مقارنة بالقوة الأخلاقية وأن القوة الأخلاقية لا تفشل أبداً، كان جريئاً لكن بعد الانتكاسات السابقة سيكون الاحتجاج أول اختبار حقيقي لزعامة غاندي وتأييده وفي شوارع دلهي.





تقـول البروفسـورة ماريد مركتجـي التي درسـت حملـة 1919: «**أردت أعرف هذه الحملة (حملة الاحتجاج) إلى أي مدى كانت ناجحة للغاية وكذلك أبعد من توقعات الجميع** »

تقـول: كان ذلك أول احتجـاج سياسـي فـي جميـع أنحـاء البلاد فـي تاريخ الهنـد كانـت هنـاك اجتماعـات كثيـرة لمريديه لأكثـر من مائة ألف شـخص بينمـا توقفـت الأنشـطة العاديـة، لـم يعـنِ هـذا أن الشـوارع كانـت مهجـورة، كان النـاس فـي الشـوارع لكنهـم كانـوا فـي احتجـاج سياسـي من وجهـة نظـر غانـدي.

هـل كان الهرتـل ناجحـاً؟ وتجيـب البروفسـيورة ماريـد: أعتقـد أنـه كان ناجحـاً للغايـة لأن فكـرة أن النـاس فـي جميـع أنحـاء الهنـد يمكنهـم أن يتحـدوا بقدر ضئيل من التنظيـم حـول قضيـة أخلاقيـة واحتجـاج كان هـذا هـو الـرد الـذي كان يحتاجـه مـن أجـل خطواتـه اللاحقـة،

ربما كان الاحتجاج ناجحاً من حيث أعداد المشاركين لكن من أجل أن يلتزم بالساتيا غراها، كان غاندي يريده أن يكون سلميّاً، كذلك عندها إذن فقط سيتمكن من أن يجبر البريطانيين على إلغاء تشريع رولت.

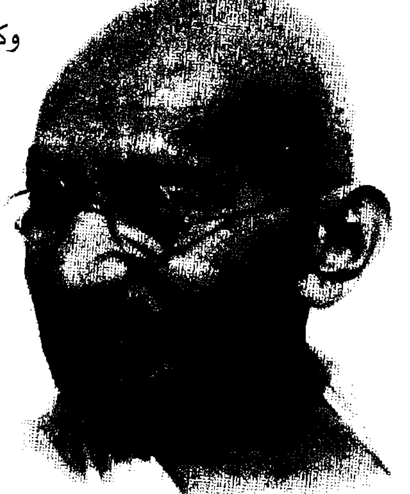
لكن سرعان ما تغير مسار الاحتجاج تحول إلى العنف تعارضت الاتجاهات مع روح الساتيا غراها فبدلا من أن تضعف مكانة غاندي ستدفعه الاضطرابات إلى قلب السياسة الهندية.

بدأت أحداث العنف في محطة السكك الحديدية الرئيسية في دلهي جاء حشد كبير من مؤيدي الاحتجاج لإقناع بائعي الحلوى على أرصفة المحطة بغلق أكشاكهم فجأة الشرطة اعتقلت بعض المتظاهرين، ورد الحشد على هذا برمي قوالب الطوب ثم أطلقت الشرطة النار وقتلت خمسة أشخاص.

أصابت أحداث العنف غاندي بالصدمة لكن الوضع كان حتى أسوأ خارج دلهي.

البنجاب:

وكان البنجاب الموقع الأكثر اضطرابا وعنفاً في اليوم التالي للاحتجاج، حاول غاندي أن يقوم بنفسه بهذه الرحلة كي يهدأ الوضع هناك لكن السلطات البريطانية أوقفت قطاره وأنزلته منه بالقوة، حاول أن يقنعهم بأنه مسافر لوقف الاضطرابات لا أن يبدأها لو كان قد تمكن من العبور ونجح في وقف العنف ربما كان تاريخ الهند قد تغير تماماً.





تقع في قلب البنجاب مدينة أمريتسار موطن المعبد الذهبي الضريح الأكثر قدسية لدى طائفة السيخ خارج الاحتجاج في أمريتسار عن السيطرة، اندفعت الجماهير عبر المدينة ثم اتجهت نحو المصارف في الشارع الرئيسي، وحاول مدير مصرف بريطاني الدفاع عن نفسه بمسدسه لكنه قتل بواسطة الجموع الغاضبة، سحبت الجماهير مديرين آخرين إلى الشارع وقتلتهما.



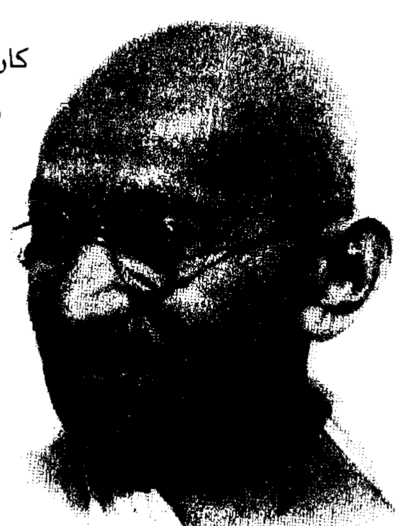
قمع العصيان ومذبحة أمريتسار: ورقة من تاريخ انكلترا الأسود في الهند

هذا وأن الشعب الهندي استمات في ميادين القتال بمشاركة القوات البريطانية ضد القوات الأوروبية وقت وزارة مونتاغو في عام 1917 في الحرب العالمية الأولى، غير أنه البريطانيين لم يفوا وعودهم بعد

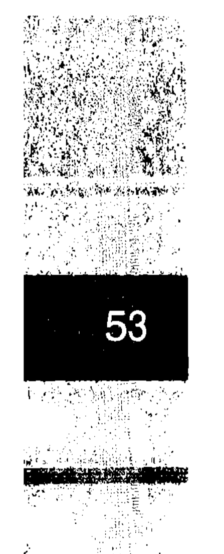


الجيش البريطاني

انتهاء الحرب العالمية، مما نجم عن حدوث اشتباكات ومصادمات في الشارع الهندي الى أن قررت الدولة الاستعمارية البريطانية في عام 1919 قانونا ضد المحتجين والمعترضين والمتظاهرين ما فحواه أن الشرطة وقوات الأمن لها الخيار التام لإلقاء القبض على المحتجين والمتظاهرين وزجّهم في غياهب السجون... كانت تلك بداية الشرارة التي أدت الى غضب الشعب الهندي..و قاموا بحظر المنتجات البريطانية وعدم الاستفادة منها،،،،



كان رد الفعل البريطاني سريعاً أعلن قانون الطوارئ وتم تسليم الجنرال داير مقاليد السلطة في المدينة، وصل الجنرال داير إلى أمريتسار مقتنعاً بأن يقمع عصيان وفي صباح الثالث عشر من أبريل أصدر بياناً يُحذر أي مواكب أو تجمعات لكن كانت هناك أماكن كثيرة لم يذهب إليها داير ولهذا لم يعرف أغلبية الناس بشأن الحذر في ذلك المساء سمع داير عن تنظيم





مظاهـرة فـي أنـه منتـزه فـي وسـط المدينـة فاتجـه إلـى هنـاك مع خمسـين من القـوات الهنديـة كان السـبيل للوصـول إلـى السـاحة المفتوحـة فـي الأمـام هـو عـددٌ قليـلٌ مـن هـذه الأزقـة الضيقـة لابـد أن الجنـرال دايـر ورجـلاه قـد صارتـا مـن هنـا ولابـد أنهـم قـد تركـوا سـيارتهم المصفحـة فـي الخلـف عند المدخل حيث كان هنـاك مكانٌ لهـا وعندمـا وصلـوا إلـى نهايـة الزقـاق لابـد أنهـم رأوا علـى الفـور الجماهيـر المتجمعـة أمامهـم كانـت هنـاك مظاهـرة فـي المنتـزه ضـد قانـون روليـت، لكـن كان هنـاك كذلـك عائـلات كثيـرة تسـتمتع بعطلـة دينيـة.



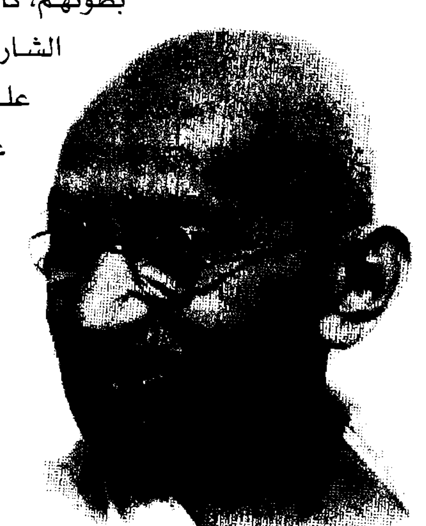
اصطفـت قـوات دايـر أمـام حوالـي 20 ألـف شـخص وبـدون سـابق إنـذار أعطـى الأمـر بإطـلاق النـار، أطلـق رجالـه النـار علـى أكبـر تجمـع للنـاس وأيضـاً علـى الذيـن كانـوا يُحاولـون الهـرب للوصـول إلـى المخـارج القليلـة، وقعـت عمليـات سـحق لآلاف الأشـخاص عنـد نقـاط الخـروج هـذه.

ولا يزال يمكن أن نرى آثار ثقوب الرصاص، استمر إطلاق النار حوالى عشر دقائق، تعالى صوت البنادق والصراخ لدرجة أن داير لم يتمكن من أن يجعل قواته تسمع أمره بوقف إطلاق النار.

أحد الأبنية القليلة في ذلك الوقت كانت بئراً تمت تغطيتها تماماً وتحولت إلى نُصب تذكاري.. من شدة يأسهم اتجه الناس نحوها، لكن غرق الكثيرون داخلها واختنق آخرون تحت ثقل الأجسام، قتل حوالي أربعمائة شخص وأصيب بجراح 1300 شخص وغادر داير وقواته المدينة دون أن يساعدوا المصابين، لقد قال إنه لم يرغب في أن يخاطر بما أسماه نصره، لم يبدُ من الممكن أنه باستطاعة داير أن يذل الهنود أكثر من ذلك، لكنه كان يريد أن يثبت وجهة نظره في اليوم الذي قتل فيه مدير المصارف.

تعرضت معلمة بريطانية اسمها ميس شرود للهجوم وتركت تصارع الموت إلى أن أنقذها والد إحدى تلميذاتها الهنود فأصدر داير أمراً بأن كل من يسير في هذا الشارع ويمر من النقطة التي سماها النقطة المقدسة التي تعرضت فيها ميس شرود للهجوم عليه أن يزحف على أطرافه الأربعة، بالغ جنوده في الأمر أكثر وأجبروا الناس على الزحف على بطونهم، كان على الجميع الزحف حتى الذين يسكنون في هذا الشارع وحتى الذين أنقذوا ميس شرود، ورغم أن داير أرغم على ترك الجيش في النهاية، اشتعل الغضب الهندي أكثر عندما تم جمع 26 ألف جنيه أسترليني من أجله هدية تقاعد من الشعب البريطاني الشاكر للجميل وظل قانون روليت منفذا كتذكرة أخرى بالخيانة البريطانية.

أحد الناجين من جليانوا لا باغ لقد عاد من وطنه أستراليا لإحياء هذه الذكرى خصيصاً:







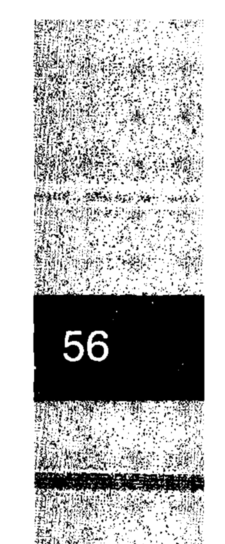
كان بابرهن سيزنج ولداً صغيراً في الرابعة حين جاء داير لسحق التمرد السلمي والوهمي حولت المذبحة أسرته وآمالهم من أجل الهند عندما بدأ إطلاق النار وجرى الناس بدون وعي أو تخطيط. يقول هذا الناجي:

كنت أبكي فأخذني جدي بين ذراعيه وجرى لكن كنا محظوظين في الواقع أننا تمكنا من الهرب من هذه المحرقة.

ما هو شعورك عندما تتذكر أحداث هذا اليوم؟

ما هو شعوري؟ حسناً لقد تركت فيّ أثراً عميقاً، عميقاً جدّاً حتى أنني أرتجف من هذه المشاعر وهذه الذكريات.. لقد كانت أسرة لعبت دوراً في حركة التحرير، شعرنا أنهم قد ضحوا بحياتهم في ذلك اليوم وكانت تضحية كبيرة لذلك حرصاً على أن تكون تضحيتهم مثمرة ذات يوم كانت المذبحة نقطة تحول للبلاد.





فلسفة غاندي:

بدت فلسفة غاندي الراديكالية منطقية الآن وخلال أربع سنوات فقد انتقل من هامش السياسة الهندية إلى قلبها حتى المعتدلون الآن اتفقوا مع خططه بالمقاطعة الشاملة للبريطانيين.

متلر مهرو:

كان أكثر المؤيدين الجدد جدارة بذكرهم متلر مهرو شخصية قيادية في سياسية الحزب، وابنه الذي تعلم في جليانوا لا باغ الذي سيصبح أول رئيس وزراء للهند.. أثارت الطبيعة المعقدة لفلسفة غاندي حول اللاعنف دهشة المؤرخين الذين كتبوا عن الأحداث التي وقعت قبل تسعين سنة لقد حصل صاحب حملة اللاعنف هذا على القوة والنفوذ بفضل أعمال البريطانيين الوحشية أباد العنف وكأنه أعطى الساتيا غراها اليد الأخلاقية العالية ولم تكن هذه هي المفارقة الوحيدة بشأن نبذ غاندي للعنف فلقد أعلن في خطابٍ متميز أن هؤلاء الذين ماتوا في جليانوا لا باغ لم يكونوا شهداء ولا أبطال لأنهم بدلاً من أن يظهروا أي تحدٍ للجنرال داير هربوا بعيداً. يمتد هذا إلى قلب مبدأ غاندي عن اللاعنف بالنسبة له كانت الساتيا غراها رمزاً للشجاعة لا للخنوع لهذا اخترع الكلمة لأن معناها قوة الحقيقة كان أقوى وأكثر فاعلية من المقاومة السلبية كان الخطاب نموذجاً لمثالية غاندي القادم من المعتزل مباشرة لكنه غفل أن يعترف بالحقيقة القاسية لما حدث في أمريستار.



وعلى الأرجح لم يكن لدي الناس العزل في المنتزه في ذلك اليوم أي فكرة عن الساتيا غراها كانوا فقط يجرون كي ينقذوا حياتهم.

حملة جديدة:

ومع التأييد المتزايد من كل من الحزب والبلاد أطلق غاندي عام 1920 حملة جديدة حول اللاعنف تهدف هذه المرة إلى الحصول على ليس فقط الحكم الذاتي ولكن عن الاستقلال التام عن بريطانيا، ووعد بالقتال حتى النهاية لكن بالطبع كانت الحرية على بُعد سبعة وعشرين سنة أخرى في الواقع ما سماه بالقتال حتى النهاية سينهار ويقود غاندي إلى العزلة السياسية لمدة عشر سنوات تقريباً هذه المرة.

ومع ذلك كانت الحملة قد بدأت بداية طيبة أظهر غاندي وهو يتزعم الساتيا غراها قدرة مذهلة على الاحتمال لرجل في الخمسينيات من عمره ولمدة عام تقريباً كان يعمل دون كلل يتنقل في البلاد كعادته في الدرجة الثالثة بعربات السكك الحديدية يكتب المقالات يتحدث في الاجتماعات يناشد المحامين ورجال الشرطة الهنود بترك وظائفهم والمعلمين بترك المدارس التي تديرها الحكومة والفلاحين بالامتناع عن دفع الضرائب.



الذي يمكنني استخلاصه من تقرير الشهود العيان والصور التي التقطت آن ذاك كانت اجتماعات غاندي العامة بسيطة للغاية لم تكن هناك مايكرفونات في ذلك الوقت وفي الواقع عدد قليل من الناس كانوا يمكنهم سماع ما يقوله. قال صحفي أمريكي: إن صوته كان رفيعاً وإنه لم يكن يُحرك يديه في إشارات



حادة، لكنه كان يحظى بكاريزما هائلة واحترام كبير لما حققه، حتى أن كان الناس يسعدون بمجرد النظر إليه والحصول على البركة كانت الاستجابة للساتيا غراها قوية ومتزايدة.

وسرعان ما امتلأت السجون بالعمال والفلاحين المستعدين لمخالفة القانون من أجل القضية القومية كانت هناك قصص حتى عن أشخاص لم يلق القبض عليهم يصعدون إلى شاحنات السجن طوعيا، كانت القوة دافعا في صالح غاندي بدا فجأة هدفه الحصول على الاستقلال التام للهند قابلا للتحقيق وأصبحت تكتيكاته مبررة لكن حادثاً واحداً تسبب في انهيار مستقبله السياسي.



في فبراير شباط 1922 في بلدة اسمها تشوري تشورا خرجت مظاهرة للساتيا غراها عن السيطرة هاجم حشد 22 شرطياً وقتلهم كانوا يصرخون:

النصر للمهاتما غاندي، وكما هو بديهي روعة هذا الأمر وبدل من أن يكبح مثيري الشغب أوقف غاندي الحملة في جميع أنحاء البلاد، وقد أثار هذا القرار قلق الكثيرين من أتباعه، لكن غاندي قال إن العنف خطيئة ضد الرب وأن الهند لم تكن مستعدة للحكم الذاتي.. اعترف أن القرار لم يكن حكيماً سياسياً ولكنه أصر على أنه سليم دينياً لا يمكن فصل الوسيلة عن الغاية.

لكن كثيراً من مؤيدي غاندي في الحزب شعروا بالاستياء.. كان جواهر لآل نهرو منهاراً كان يريد أن يظل الدين بعيداً عن حملة الاستقلال، في حين كان إيمان غاندي يوجه كل أفعاله لأنه قال إن أفكاره السياسية كانت مستمدة من معتقداته الدينية كان هذا يعني أنه كان حرّاً في صنع القرارات وفقاً من داخله، قال إنه من الرب عندما ننظر إلى مشواره السياسي هذا يعني أن قراراته كثيراً ما كانت تبدو مذبذبة ومتضاربة لكنه لم يكن يرى علامات على مبدأ يعد فضيلة لمن يسعى وراء الحقيقة.

هل هذا تقييمٌ عادل؟

يقول تبريدد سويود أحد باحثي الهند البارزين في تاريخ غاندي، ويكتب حالياً سيرة مهمة: هو يرى أن مصير الهند كان يتشكل ليس فقط عن طريق سعي غاندي العام من أجل الاستقلال، ولكن أيضاً عن طريق بحثه الخاص عن الرب الرغبة لرؤية الرب وجهاً لوجه لإدراك الحقيقة التي تكمن داخله كانت أمراً يحركه وأعتقد أن هذه الحركة بدأت في جنوب إفريقيا واستمرت طوال حياته.

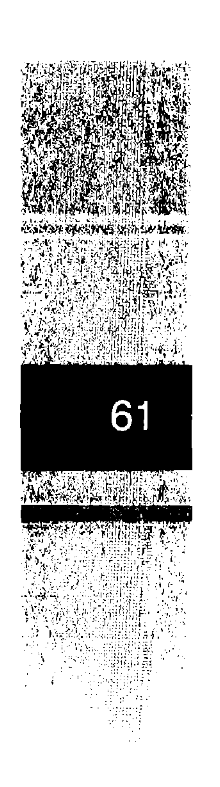
كيف يمكن مقارنة غاندي بالزعماء السياسيين الآخرين في الحزب مثلا في ذلك الوقت؟

أعتقد أن غاندي فريد من نوعه في التقاليد السياسية كاملة لأنه يقول إن الأمة يجب أن تكون وحدة أخلاقية، الأمة ليست وحدة سياسية، ولهذا عندما قال الناس إنه والد الأمة، وهو والدي الأمة لأنه يؤسس هذه الأمة على مبادئ أخلاقية يمكنني أن أتفهم كيف رأى غاندي أن وقف الحملة نتيجة شورى وبنى عليه التضحية بفائدة سياسة قصيرة المدى سيأتي ثماره في النهاية الفضيلة الأخلاقية لحملته قادرة على أنه تجعلها شيئاً لا يمكن إيقافه، لكن في ذلك الوقت رآها مؤيدوه على أنها قمة الحماقة وبالتأكيد في خلال شهر تم القبض على غاندي ليواجه محكمة وفترة طويلة بعيداً عن السياسة.

القبض على غاندي:

ومع انحسار تأييد غاندي انتهز البريطانيون الفرصة في مساء يوم الجمعة العاشر من مارس آذار عام 1922 أوقف المدير العام للشرطة أحمد أباد سيارته على مسافة قصيرة من المعتزل وأرسل رسالة يقول فيها إن المهاتما يجب أن يعتبر نفسه قيد الاعتقال وعليه أن يخرج حالما يكون جاهزاً، قال نائب الملك اللورد ريدينغ بارتياح لم تكن هناك مظاهرات من قبل مؤيديه ولا نباح كلب لم يكن وحده الذي ظن أن مشوار غاندي السياسي قد انتهى، وُجهت له تهمة كتابة مقالات تحريضية ضد حكومة جلالة الملك.

كان من المقرر إجراء محاكمة غاندي هنا في أحمد أباد بعد أسبوع من إلقاء القبض عليه، من الواضح أن القاضي السيد برنفيل كان يعتقد أن الأمر لن





يستغرق كثيراً، كان هناك بندان فقط على جدول أعماله في ذلك اليوم لعب الغولف ومحاكمة غاندي، استساغ غاندي فكرة احتمال إجراء محاكمة كان يعرف أنه سيذهب إلى السجن، واستغل قاعة المحكمة فرصة للدفاع عن أفعاله والدعاية للساتيا غراها، حكم عليه بالسجن 6 سنوات، ورغم أن غاندي كان قد خرج من بؤرة الضوء السياسي زاد الاهتمام العالمي برجل الخير الذي تحدى الإمبراطورية، وقد أخفت سمعة غاندي العالمية السياسة المتزايدة انحسار نفوذه في الوطن.

كانت السياسة الهندية قد تحركت قدماً في العشرينيات وفضل الحزب وكان في أيد معتدلة العمل من أجل التغيير مع البريطانيين بدلا من إقامة الحملات ضدهم، لقد أدركت أنه لم يكن هناك شيء محتوم أو سلس فيما يتعلق بشأن صعود غاندي إلى السلطة. بالفعل عندما أطلق سراحه من السجن في النهاية لم تتغير وجهة نظره كان لا يزال مقتنعاً بقيمة مواصلة كفاحه

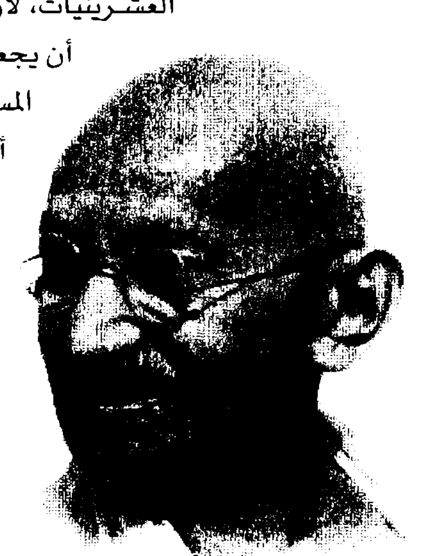
السلمي والخروج في مسيرات، لكن البريطانيين نظروا إليه على أنه قوة مستهلكة وغاندي نفسه اعتقد أنه ربما قد لا يعود إلى الساحة السياسية.

في عام 1928 قال عندي خطة لتحرير البلاد لكن قد لا تأتي فرصتي أبداً كانت هذه نقطة ضعف في مشوار غاندي وكان يواجه خطر التدهور أكثر. كانت رؤية غاندي لهند جديدة بعيداً عن الواقع السياسي بسبب تطور آخر خطير، شق بين الهندوس والمسلمين سيصبح هذا خط الصراع العميق في السياسة الهندية إنها أيضاً اللحظة التي تبدأ فيها قصة جديدة في التشابك مع قصة غاندي.

غاندي والمسلمين:

ويبدو أن مشكلة المسلمين مع غاندي كانت أنهم لم يشعروا أنه كان يمثلهم هل كان هذا سائدا بين المسلمين؟

أعتقد أنها كانت شائعة وأعتقد أنها أصبحت أكثر شيوعاً مع تقدم العشرينيات، لأن تحديداً الإجراءات التي اتخذها غاندي كي يحاول أن يجعل الحزب هندياً أكثر كانت كلها في أعين الكثير من المسلمين لها سمات هندوسية ورأى الكثير من المسلمين على أنه يتخذ هيئة رجل دين هندوسي لكنه كان هندوسياً من حقه أن يتخذ هذه الهيئة كجزء منه نعم لكن ملابس المحامين الغربيين إلى حد ما تجعله محايداً دينياً من اتخاذ زي الفلاح الهندوسي على الفور يصبح شيئاً مهما لدى المسلمين الهنود.. فكان التأثير هو استبعاد المسلمين من الحزب أو من الحركة، أعتقد




محمد علي جناح

أن كلمة استبعاد قوية بعض الشيء، موقفه تجاه الإسلام معقد للغاية من جانب كان يستمع إلى تلاوة القرآن في اجتماعات صلواته كان يصوم ويعمل من أجل وحدة هندوسية إسلامية وعلى الجانب الآخر ربما لم يكن حساساً بشكل لائق تجاه مخاوف الهنود المسلمين، كان أحد القضاة السياسيين المسلمين محمد على جناح كان مؤسس باكستان في المستقبل محامياً تدرب في لندن مثل غاندي وكان قد انضم إلى حزب المؤتمر الوطني الهندي كمؤيد قوي للوحدة الهندوسية الإسلامية..

ويشرح لنا ويليام كيف تغير هذا بعد أن وقع الحزب تحت نفوذ غاندي، بدت الأيدولوجيات التي تبناها غاندي بالنسبة لجناح مجنونة كان جناح يرى نفسه نبيلا إنجليزياً يحب البذلة الصوفية ذات القصة الجميلة والرجل الذي يحب البذلة الصوفية ليس الرجل الذي سيعانق غاندي تلقائياً ومع تقدم العشرينيات سيلقي جناح بطاقته خلف الرابطة الإسلامية التي كانت تحارب من أجل ضمان حقوق مجتمعها.. قال جناح ذات مرة أن غاندي دخل في السياسة كي يروج لنهضة هندوسية لكنني أعتقد أن غاندي كان يصدق بأهمية الوفاق الهندوسي الإسلامي مبرهنا على هذا بصيامه المتكرر من أجل الوحدة وأيضاً بقراءة القرآن أمام الجماهير.

لقد فشل ببساطة في أن يدرك كيف كان مسلمو الهند ينظرون إليه، لابد أن السمات الهندوسية الغالبة للحملة أثارت شعورهم بالتوتر فيمكن أن تكون الهند مستقلة بانتقالهم كانون يحمون مستقبلهم مع نهاية حقبة العشرينيات واقتراب غاندي من الساتين أي شخص مقامر.

كان لليأس من المهاتما في عزلة لأكثر من نصف قرن، وكما يبدو بعيداً عن واقع السياسة الهندية اعترف غاندي نفسه أن الاستقلال بدا بعيداً للغاية لحسن حظه أظهر البريطانيون مرة أخرى مهارة اتخاذ قرارات سياسية غبية.

ثورة الملح:

كان نتيجة ذلك أن لجأت الهند مرة أخرى إلى المهاتما من أجل حصول معجزة في عام 1928 أعلنت الحكومة البريطانية أن مستقبل الهند ستحدده لجنة برئاسة عضو البرلمان سيرجوا سيمنج لكنها ستتشكل كلياً من برلمانيين بريطانيين مما أثار حنق الحزب من أنه لن يسمح للهنود بتحديد مصيرهم فلجأوا إلى غاندي كي ينظم احتياجاً شاملاً ضد الحكم البريطاني وارتقى إلى مستوى تحدي بأعظم حملة سياسية في القرن العشرين لن تثير إعجاب الحزب بل العالم أجمع كانت هناك مفاجأة تنتظر كل الذين تصوروا أن غاندي أصبح قوة مستهلكة كانت خطته بسيطة كان سيمشي ثلاثمائة وأربعة وثمانين كيلو متراً من المعتزل إلى البحر وهناك سيجمع الملح من الشاطئ ثم يغليه ويطهره.

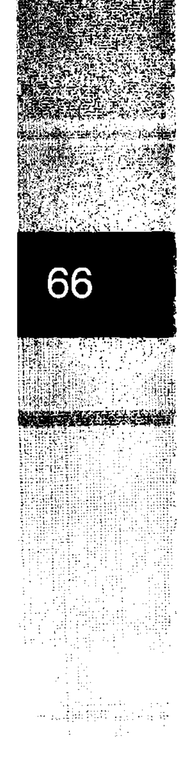


هكذا خطط المهاتما لطرد البريطانيين من الهند



استغرق إقناع حلفاء غاندي السياسيين أن هذه كانت القضية الصحيحة بعض الوقت حتى نهرو وهو الآن رئيس الحزب كان غير مقتنع وغير قادر على أن يرى العلاقة بين الملح والصراع الوطني لكن بالنسبة لغاندي كان الأمر جلياً كانت الضريبة البريطانية على الملح غير أخلاقية لأنها تعاقب الفقراء.

ومع بزوغ فجر يوم الثاني عشر من مارس انطلق غاندي من المعتزل يتبعه 87 من السائرين المختارين بعناية وبعد أيام من الخروج من المعتزل مر غاندي بالقرب من هذه القرية يريني نارارن مشروعاً مزدهراً كان مصدر إلهامه إيمان غاندي بالاكتفاء الذاتي هذا بثبات على أنه بالرغم من أن حملته كانت توصف أحياناً بأنها عتيقة يثبت التاريخ أن غريزته كانت في محلها في أغلب الأوقات.



إيلا:

إيلا معروفة في جميع أنحاء الهند كمؤسسة النقابة التي غيرت حياة آلاف النساء تدين النقابة بأصولها لحملة غاندي عام 1917 لدعم عمال النسيج المضربين عن العمل حملة تجاهلها الحزب في هذه القرية عادت مهارات الغزل والنسيج للحياة مرة أخرى كي توفر للمرأة عمالة دائماً.. إذن هذا ما ينتجنه في الواقع هو الكادي تحديداً ما شن غاندي حملته لتشجيع الناس على ارتدائه، نعم إنها ملابس من الكادي بالفعل إنها جميلة فعلا السبب الذي شغل غاندي بالفقراء هو السبب نفسه الذي يدفع جهود إيلا.. في رأيي الفقر أمر غير مقبول إنه من صنع الإنسان، لم يهبط إلينا من السماء ويجب أن نتخلص منه لأن الفقر هو عنف متواصل فهو يجرد الناس من كرامتهم لهذا أرى أنه ظلم.

إذن يرتدين زي الساري المصنوع بأيديهن، هم صنعنه وعلى طريقة غاندي نفسه لمسيرة الملح قبل الثمانية عقود يمكننا أن نجد روحه في قرى مثل هذه تتمتع تلك النساء بالاكتفاء الذاتي واحترام الذات اللذين كان يحلم بهما من أجل الهند كلها، كان غاندي لائقا بدنيّاً بشكلٍ مذهلٍ بالنسبة لرجل في الحادية والستين يعيش على طعام أكثر قليلا من المكسرات والفاكهة، دقيقاً في مواعيده إلى درجة مفرطة كان يراجع باستمرار ساعة الجيب التي تتدلى من خصره وكان يتوقع من رفقائه في المسيرة أن يكونوا على القدر نفسه من الانضباط.

قيل لنا عن موقع بالكاد قد تغير منذ أن نزل فيه المشاركون في المسيرة قبل 80 سنة كان هناك مدرسة في قرية بورصاد، وفهيا كان الفصل الذي

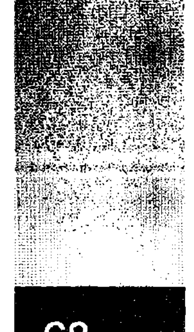
نقلت فيه المكاتب كي يتمكن غاندي من قضاء الليل هنا لكن قبل ذهابه للنوم.

خطب في حشد من أكثر من ألف شخص من الشرفة معلناً أن الولاء للإمبراطورية البريطانية خطيئة، خطب في الحشد فجاء أهل بورصاد جميعاً كي يستمعوا إليه وهو يتحدث، إنها لحظة مؤثرة كي يتمكن من الوقوف هنا، يقول ناراران: لم يكن غاندي سياسياً بابو أو المهاتما، كان صديقنا أي نوعاً من الأصدقاء كنا نستحم جميعاً في نهر سابارماتي ونرش الماء على وجهه وكان يرش هو الماء على وجوهنا.. هذه هي الصداقة التي كانت بيننا.

يقول ناراران:كنتُ أجيد الآلة الكاتبة فكنت أطبع له خطاباته هل سمعتن عن هتلر؟ نعم كتب غاندي رسالة إلى هتلر يقول فيها: (يمكنك أن توقف القتال في العالم إذا أردت)، أنا طبعت هذه الرسالة عندما توفي بابو كنت في الرابعة والعشرين من عمري، لقد أعطاني كتاباً ذات مرة كان قد كتب فيه الآمال أعلقها عليك يجب أن تحققه، فقضيت ستين سنة أتساءل عن الآمال التي علّقها غاندي عليّ، أمامكن ستون سنة أخرى كي تفكرن في الآمال التي علّقها بابو عليكن.. ومع انتهاء يوم مع مسيرة ملح جلست مع ناراران تحت شجرة مانجو في قرية فيستا.. الشجرة نفسها التي استراح غاندي تحتها قبل كل هذه السنوات.

❖ هل تتمنى لو كنت أكبر سناً كي تذهب في مسيرة الملح مع غاندي؟

لا ليس الآن، ربما آن ذاك لأنني قضيت عشر سنوات معه تقريباً 24 ساعة في اليوم لم تحتج





للذهـاب لمسيرة الملـح كـي تكون قريبـاً مـن غانـدي لأننـي كنـت أسـيراً معـه طـوال الوقـت.

فـي 5 مـن أبريل نيسـان بعـد شـهر مـن مغـادرة المعتـزل وصلـت المسـيرة إلـى ضواحـي وجهتهـا قريـة صغيـرة علـى سـاحل غودجـارت، كانـت هنـاك أعـداد هائلـة مـن الصحفـيين فـي انتظـار مشـاهدة الفصـل الأخيـر مـن هـذه المسـرحية العظيمـة مبديـن ميـلا متواضعـاً، كتـب لهـم غانـدي تعليقـاً علـى عجـل:

أريد تعاطف العالم في معركة الحق ضد البطش.

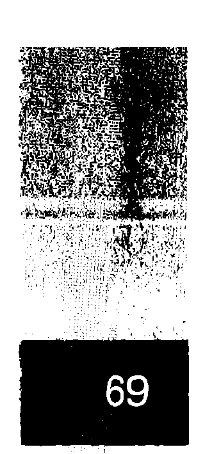
وفـي الصبـاح التالـي بعـد أن اسـتحم فـي البحـر عـاد غانـدي سـيراً إلـى شـاطئ اغتـرف قليـلا مـن الملـح وعرضـه علـى الجمهـور، ثـم قـال:

بهذا سأهز أسس الإمبراطورية البريطانية

ثم اتجـه أفـراد المسيرة نحـو البحـر ثـم غلـوا المـاء بملحهـم غيـر القانونـي كان هـذا اسـتفزازاً كافيـاً.. لكن الصحـافة العالمية تراقب الوضـع، اسـتغل غانـدي الفرصـة قـرر غانـدي أن مسـتودعات الملح التجاريـة بالقـرب مـن درصانـة التـي لا تـزال تسـتخدم اليـوم تصلـح هدفـاً لاحتجـاج السـاتيا غراهـا كتـب إلـى اللـورد أرون قائـلا إنـه إذا لم تلـغ ضريبـة الملح سـوف يطالـب هـو وأفـراد المسـيرة بحيازة مسـتودعات الملح مـا أن فـرغ مـن الرسـالة ألقـى ثلاثـون مـن رجال الشـرطة المسـلحين القبـض عليـه فـي منتصـف الليل.

ومع ذهـاب غانـدي فـي طريقه إلى سجن مومباي قامت زوجته كوسـتارباي بمباركة أفراد المسيرة وهم ينطلقون إلـى ترصانـة.. هـذه المرة لـم يكن هناك الشـاطئ بدون





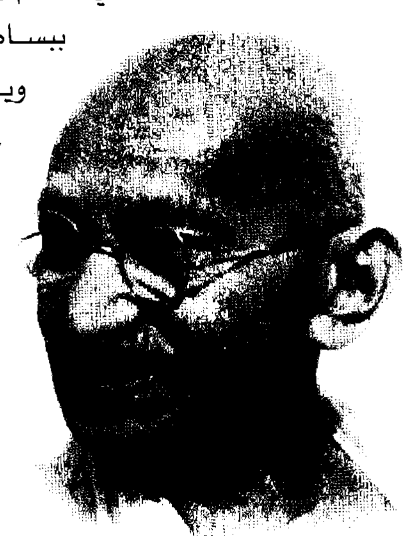


حراسة كان فـي انتظارهم 400 من رجال الشرطة الهنود البعض يحمل البنادق والجميع يحملون عصيّاً ذات رؤوس فولاذية اسمها لاتس.

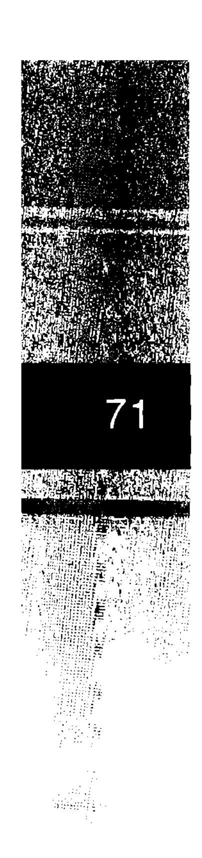
كان بعض الصحفيين قد وصلوا إلى هناك وتم تحذيرهم من الذي قد يحدث.. أحد المراسلين الذين كانوا يراقبون صحفي أمريكي اسمه ويب مريل، ما حدث بعد ذلك في صمت تام اصطف رجال غاندي وتوقفوا على مسافة مائة ياردة من المستودع.. فجأة ومع صدور الأمر هرعت أعداد هائلة من الشرطة الهندية إلى أفراد المسيرة الماضية قدماً وأمطرتهم بوابل من الضربات على رؤوسهم بالعصي ذات الرؤوس الفولاذية، لم يرفع واحد من أفراد المسيرة ذراعه كي يسد الضربات، تساقطوا مثل الأوتاد الخشبية.. يقول ناراران: من حيث كنت أقف سمعت دوي


غاندي ونهرو

ضربات هراواتهم المقزز على الجماجم المكشوفة في خلال دقيقة أو ثلاث دقائق امتلأت الأرض بالأجساد، رغم أن كل شخص كان يعرف أنه سوف يُضرب مرة أخرى خلال دقائق وربما يقتل لم أشعر بأي علامة على التردد أو الخوف، اندفع رجال الشرطة وضربوا الصف الثاني بنظام وآلية لم يكن هناك قتال ولا مقاومة كان أفراد المسيرة ببساطة يواصلون تقدمهم إلى أن يطرحوا أرضاً أحصى ويب ميلر قتيلين و320 مصاباً.. تم نشر تقريره في ألف جريدة حول العالم..



وعن هذا الحادث الدموي اذا اردنا أن نرتب أفكارنا عن غاندي وحملته السلمية نتساءل: هل كان هذا التصرف هو الشجاعة التي كان يقدرها غاندي للغاية، وكان يبحث عنها في أتباعه؟ الرجولة التي



كان يرى أنها غابت عن أمرتسيار التي كان يريدها من المعتزل؟ هل كانت هذه قوة الحقيقة عند التنفيذ؟

بالتأكيد أظهر أتباع الساتيا غراها هنا شجاعة لا تصدق تجعلك تأمل أن إصاباتهم لم تذهب هباء.. إذن ما الذي تحقق من مسيرة الملح والمواجهة الدموية في داري ساني؟

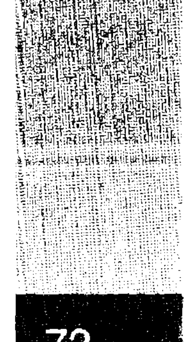
في أعين العالم تعرضت بريطانيا لضربة قوية فيما يتعلق بسلطاتها الأخلاقية كما كان يتمنى غاندي تماماً وخلال عام خرج غاندي من السجن يعانقه أتباعه الذين يعشقونه ثم دعاه اللورد لإجراء محادثات في فخامة دلهي الإمبراطورية.

وبلمسة تحدي أخذ غاندي معه قليلا من الملح غير القانوني واستخدمه أمام نائب الملك، لكن لم يكن ما نقشوه ذا أهمية بقدر أهمية رمزية تلك المحادثات.

ولمدة ثلاثة أسابيع عمل السجين السابق معاملة الند لنائب الملك في الهند.. كان صعود غاندي إلى السلطة أبعد ما يكون لكنه هيمن على العشرينيات بالكاريزما والإصرار اللذين أظهرهما في مسيرة الملح هما اللذان سيدفعانه هو والهند إلى العقد التالي.

بعد المسيرة هنأ نهرو غاندي على الهند الجديدة التي أنشأها بلمسته السحرية.

في 15 سنة كان غاندي قد أطلق حركة شاملة من لا شيء تقريباً وقلب كيان الحزب، لكن كان الحديث عن هند جديدة مبكراً.. بعد أن كان على غاندي ونهرو الآن ليس فقط محاربة البريطانيين، لكن ذلك





الذي أبعدهم المهاتما بالخاصة: جناح والرابطة الإسلامية جناح نهرو وغاندي سيتقاتل المحامون الثلاثة الذين تدربوا في لندن من أجل مصير الهند. إن بذور الانفصال كانت قد زرعت.

في المرحلة الأخيرة لهذه الرحلة يأخذ غاندي معركته إلى قلب الإمبراطورية، وسنكتشف كيف تغيرت حياة العائلات إلى الأبد بسبب أعظم نصر لغاندي وأكبر خيبة أمل له.



الفصل الثالث:

الطريقُ إلى الحريةِ

في عام 1931 أعلن مهندساي غاندي أنه إذا حصلت الهند على حريتها من خلال الحقيقة واللاعنف فأثق أنها ستكون أعظم مساهمة يقدمها هذا العصر للسلام في العالم.

وقف غاندي آنذاك أمام العالم كالزعيم الثوري والروحي للشعب الهندي، وبعد 16 عاماً أصبحت الهند حرة، لكن لن يأتي الاستقلال بدون عنف مروع بين المجتمعات الدينية.

هذه هي دلهي كانت، لكن في عام 1947.. كانت السنة التي توقف فيها الشعب على أن يكونوا هنوداً، انها اللحظة التي أصبحت فيها الهند البريطانية أمتين منفصلتين الهند وباكستان.

كان هذا الانقسام والتقسيم كان أمراً يخشاه غاندي، تحول حلم غاندي إلى كابوس وفي خريف عمره أدارت الهند ظهرها لغاندي، تم دفعه على الهامش لفشله في السيطرة على المفاوضات السياسية وتم صرف النظر عن رؤيته من أجل الدولة الهندية في المستقبل حتى أكثر المحرومين في الهند.

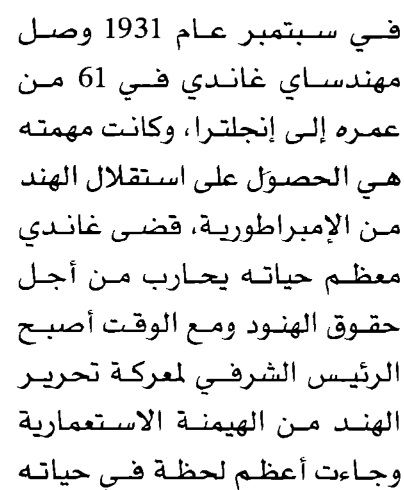


رفضوه زعيماً لهم ومع ذلك يبجل غاندي اليوم كأهم هندي في التاريخ...

❖ **ولماذا إذن يذكره الناس على أنه والد الأمة؟**

الضريبة التأديبية وبداية رحلة جديدة:





فـي سـبتمبر عـام 1931 وصـل مهندسـاي غانـدي فـي 61 مـن عمره إلـى إنجلترا، وكانت مهمتـه هـي الحصول على استقلال الهند مـن الإمبراطوريـة، قضـى غانـدي معظـم حياتـه يحـارب مـن أجـل حقـوق الهنـود ومـع الوقـت أصبـح الرئيـس الشرفـي لمعركـة تحريـر الهنـد مـن الهيمنـة الاسـتعمارية وجـاءت أعظـم لحظـة فـي حياتـه عندمـا قـاد 70 ألفـاً مـن أبنـاء وطنـه فـي احتجـاج سـلمي ضـد الضريبـة التأديبيـة علـى الهنـود الذيـن يجمعـون الملـح الخاص باسـتخدامهم آثـار الانتقـام البريطانـي العنيـف الـذي أعقـب الاحتجـاج غضبـاً دوليـاً وكذلـك تهليـلاً عالميـاً لغانـدي.

حطـم الرجـل الـذي يرتـدي المـآزر السـلطة الأخلاقيـة لقـوة عظمـى.. وأخيـراً سـتنصت بريطانيـا لغانـدي، حيـث دعـي إلـى لنـدن كـي يأخـذ دوراً فـي مؤتمـر المائـدة المسـتديرة الخـاص بمسـتقبل الهنـد، وأخيـراً كان فـي عاصمـة الإمبراطوريـة متأهبـاً أن يقـرب الاسـتقلال خطـوة أخـرى كانـت تلـك هـي الفرصـة التـي تنتظرهـا الهنـد.. كانـت آمـال أمـة بأكملهـا تقـع علـى كتفـيّ غانـدي، كان مظهـر غانـدي المتواضـع يعكس قوة هائلـة، كانـت الوسـيلة التـي كان يعتـزم أن يُسـقط بهـا الإمبراطوريـة ولـم يسـع الكثيريـن مـن الذيـن التقـوا بـه إلا أن يتأثـروا بـه.





❖ ما هو السر وراء جاذبية غاندي آنذاك؟

بساطة أسلوب حياته كانت أحد الأشياء التي تركت انطباعاً كبيراً، لكن لم يكن يسعى إلى أي مكسب شخصي لكنه حاول أن يلهم الآخرين أن يفعلوا ما يجب أن يفعل، ولهذا السبب أعتقد أنه أثر في الناس بهذا القدر الكبير.

ربما فاز غاندي بقلب الشعب البريطاني وعقله لكن كانت لديه كذلك معركة سياسية يجب أن يخوضها والتي كان سيحتاج من أجلها إلى مهارات داهية في التفاوض لن يأتي استقلال الهند بدون النجاح في مؤتمر المائدة المستديرة في قصر سانت جيمس، لكن من أجل هذه اللحظة الحاسمة لم يكن غاندي جاهزاً على الإطلاق وفي طريقه إلى أولى جلست المؤتمر كشف غاندي نفسه إلى أي مدى كان غير مستعد.. اعترف لصديقٍ له:

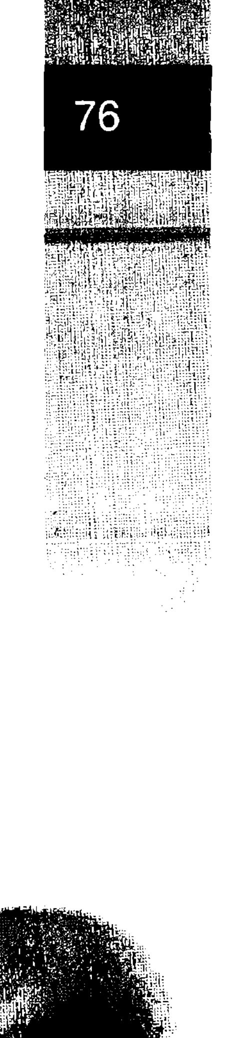
ذهني فارغ تماماً، لكن ربما يساعدني الرب أن أستجمع أفكاري في الوقت المناسب كل ما أحتاج إلى قوله هو نريد الاستقلال.

لكن سياسة رحلة الهند إلى الاستقلال كانت على وشك أن تثبت أنها أكثر تعقيداً بكثير، كان غاندي قد جاء إلى لندن ممثلا عن حزب المؤتمر الهندي المنظمة التي تتزعم حركة التحرير بالنسبة لغاندي كانت الوحدة الهندية صاحبة الأهمية القصوى، وكان يعتقد أنه يتحدث بلسان جميع أبناء وطنه لكن كان هناك آخرون في المؤتمر لهم رأي مختلف تماماً.

ولكي نكتشف ما حدث دعونا نذهب إلى الأرشيف الوطني في كيو، لكي نلتقي بالمؤرخة أليكس فون تونسامان ومن المثير للجدل أن أليكس تطلق على غاندي أنه كان من أكبر العقبات في تاريخ استقلال الهند.. نسأل أليكس:

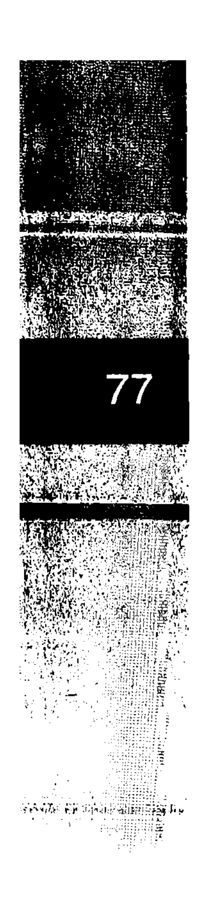
❖ **ما هذه المستندات يا أليكس؟**

هذه بعض سجلات الحكومة عن ما حدث في مؤتمر المائدة المستديرة الذي حضره غاندي.



حضره أيضاً زعماء أقليات متعددة، من بينهم السيخ والمسلمون والمنبوذون كانوا يشعرون بالقلق تجاه كيف ستتم حماية حقوقهم في هند مستقلة جديدة وكانوا يطالبون بتمثيل مستقل، كانت أبرز هذه المجموعات هي الرابطة الإسلامية بزعامة محمد علي جناح..

كان غاندي في تلك المرحلة شخصية مهمة معروفة عالمياً لكن لم يكن المؤتمر يتعلق فقط بمفاوضاته مع البريطانيين.



تضيف تونسامان: لا لا مطلقاً، لقد كان واحداً من بين شخصيات كثيرة بحيث يصبح مجهولا تقريباً، كانت هناك شخصيات بارزة من كلٍ مكان.

❖ **إذن كان المسلمون أكبر أقلية أليس كذلك؟**

❖ **ماذا أحضروا إلى المؤتمر؟**

❖ **ماذا كانوا يريدون في تلك المرحلة؟**

تقول تسوناماَن: كانوا في تلك المرحلة قلقين من أن يتم استبعادهم خارج الأغلبية الهندوسية، كانوا يريدون قوائم ناخبين منفصلة ومقاعد مخصصة لهم وأن يضمنوا أنها ستظل للمسلمين.

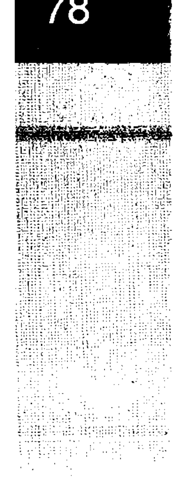
❖ **ماذا كان شعور غاندي تجاه هذا ؟**

كان معارضاً للغاية، كان غاندي مؤمناً بشدة برأي القائل إنه يجب أن تكون هناك جبهة موحدة، لكن لم تشعر الأحزاب الأخرى أن هذا يخدم مصالحها .

لكنهم لم يتحدثوا عن الحصول على أمة مسلمة خاصة بهم لا على الإطلاق في الواقع لم تظهر فكرة باكستان مطلقاً في هذه المرحلة أعتقد أنها كانت لا تزال مطروحة بين بعض الطلاب في جامعة كامبريدج وكانت هذه هي الإشارة الوحيدة للكلمة.

❖ **إذن كانت هناك فرصة لاتفاق حقيقي حول أن كيف ستكون الهند الحرة الموحدة؟**

بالتأكيد لا أعتقد أن أحدا عند هذه النقطة كان يفكر حتى في التقسيم بجدية، ما يمكننا أن نراه يحدث



فـي هـذا المؤتمـر هـو أن المسلمين كانـوا يشـعرون باسـتبعاد متزايـد مـن الطريقـة التـي يتفـاوض غانـدي بهـا كان هـذا يـزرع بـذور مـا سـيحدث بعـد ذلـك فـي المستقبل.

❖ **من أجل تقسيم الهند؟**

نعم

❖ **أتعتقدين أن غاندي يتحمل بعض المسئولية عن التقسيم؟**

بلا شك.

❖ **لماذا تقولين هذا؟**

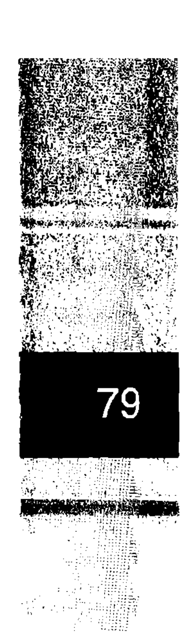
لأنـه لـم يكـن مسـتعداً لحـل وسـط مـع بعض المجموعـات الأخـرى، ولأنـه جعلهـم يشـعرون بالإقصـاء وأدخـل بقـوة أبعـاد الديـن الهندوسـي فـي السياسـة وهـذا دفـع إلـى تباعـد الأحـزاب أكثـر.

❖ **إذن هـذه الفرصـة للجمـع بـين جميـع الأطـراف لوضـع مخطـط مـن أجـل هنـد حـرة قـد ضـاع؟**

نعم ضـاعت تمامـاً، والأكثر من هذا زادت الأمور سوءاً.

إن أسـباب التقسـيم معقـدة وتظـل مسـار جـدل حتـى اليـوم، لكـن فكـرة أن غانـدي ربمـا يكـون قـد لعـب دوراً فـي التقسـيم النهائي لبـلاده أمرٌ مثيـرٌ للدهشـة، ومـع ذلـك لا شـك فـي أن رفضـه التفـاوض مـع الممثلين الآخرين قـد أسـهم بالفعل فـي فشـل مؤتمـر المائـدة المستديرة. انتهـى اللقـاء.

فـي عـام1931 لـم يقتـرب حلـم الهند بالاسـتقلال من أن يصبـح حقيقـة.. تـرك غاندي الأمة إلى بريطانيا خالي اليديـن ومـع ذلـك عـاد إلـى وطنـه واسـتقبل اسـتقبال الأبطـال، كان لايـزال محبوبـاً بصفتـه الهنـدي الـذي

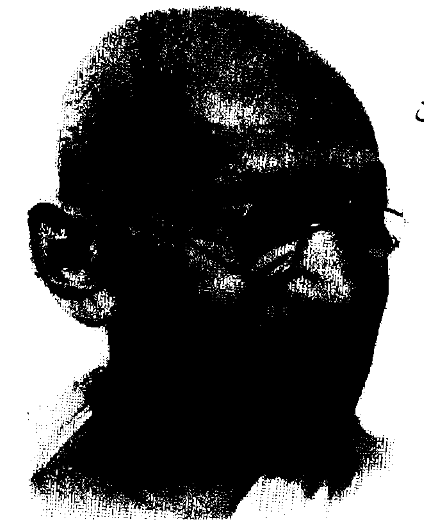


تحدى الإمبراطورية البريطانية، لكن خطواته التالية ستختبر ولاء أبناء وطنه كان هو حقّاً الرجل الذي سيقودهم إلى الحرية.

عاد غاندي إلى وطنه إلى حيث إنه متجه الآن إلى محطته الأولى وهي دلهي.. كان الشعب الهندي لا يزال يضغط من أجل الحصول على الاستقلال، ومع وصول المفاوضات إلى طريق مسدود استأنف غاندي وزعماء آخرون من الحزب خططهم بشأن العصيان المدني ضد الإمبراطورية البريطانية وتم إلقاؤهم في السجن على الفور، كان موقفاً مألوفاً بالنسبة لرائد المقاومة السلمية.. كان السجن أداة فعالة للحصول على الدعاية في السجن استمر نشاط غاندي.. بدأ صياماً جديداً لكن ما أثار دهشة حلفائه وحيرتهم هو أنه لم يكن صوماً من أجل استقلال الهند، وإنما كان صوماً ضد ممارسات تتم داخل ديانته، ما كان يريده غاندي لم يكن شيئاً أقل من تطهير الهندوسية وقد أسماه أعظم إصلاح في هذا العصر.

(بالنسبة للهندوسي المتدين مجرد سقوط ظل أحد المنبوذين عليه يعني النجاسة، لأن من المعتقد أن المنبوذين يعاقبون عقاباً عادلاً على خطايا ارتكبوها في حياتهم السابقة).

أحياء المنبوذين:



في بعض أحياء دلهي التي تعتبر موطن بعض أفقر سكان دلهي اليوم نجد هنا أشخاصاً من مختلف الطبقات والديانات، لكن في الثلاثينيات كانوا أغلب الذين يعيشون في أماكن مثل هذه يطلق عليهم المنبوذون، حسب معتقدات النظام الطبقي الهندوسي كانوا أدنى طبقة من الطبقات.. بلاء المجتمع.. الأشخاص



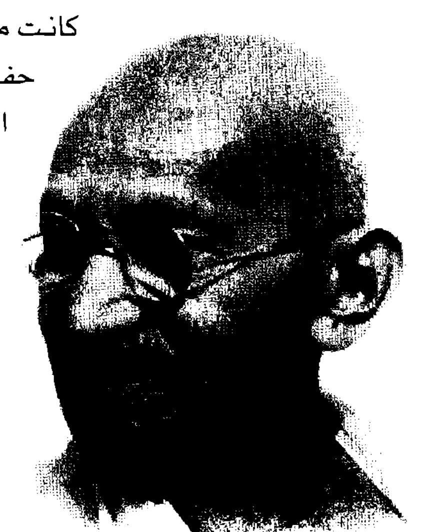
الذين يقومون بمهام لا أحد يقبل أن يلمسها، كل شيء، بدءاً من إزالة فضلات الإنسان إلى تجهيز جثث الموتى.

كان هناك 50 مليوناً من هؤلاء المنبوذين في وقت غاندي، ولقد صام من أجلهم وعلى غير الشائع قال البعض بالتهور إن غاندي سيكرس السنوات القليلة القادمة من حياته من أجل المنبوذين..

أعاد تسميتهم «هارجام» أي أطفال الرب وطلب أن تفتح المعابد التي كانت مغلقة أمام المنبوذين لعدة قرون أبوابها لهم وأعلن أن حفلات الزفاف الوحيدة التي سيحضرها هي التي بين الهارجام وطبقة هندوسية أعلى.

كانت المشكلة التي تواجه غاندي أن شخصاً آخر كان يدّعي تمثيل المنبوذين كان منبوذاً ارتقى إلى مكانة طبيب.

كانت رؤية أمبتكار من أجل المنبوذين تركز على



تمثيلهم السياسي أراد أن يكون لهم قائمة ناخبين منفصلة على غرار ما كانت تطالب به المجموعة الإسلامية..

كان هذا بالنسبة لغاندي تدنيساً للمقدسات، وما كان ليسعى إلى تحقيقه هو إدماجهم في المجتمع.

ولهذا بدأ إضراباً عن الطعام حتى الموت احتجاجاً على حملة إمبكتار، ومع كون عيون العالم الآن مسلطة على غاندي الذي يموت من الجوع تراجع إمبكتار بسرعة عن مطالبه، فاز غاندي لكن كان هناك ثمن للنصر، كانت الحملة معركة لم يطلبها المنبوذون واليوم يرفضون مصطلح هارجام الذي اخترعه غاندي.

أخبرتنا الناشطة لنددرا أثامال عن السبب في ذلك:

ما هو شعورك عندما تسمعين مصطلح هارجام اليوم؟

أشعر كأن أحداً يسيء إليّ.

تعتبرونه مصطلحاً مهيناً؟

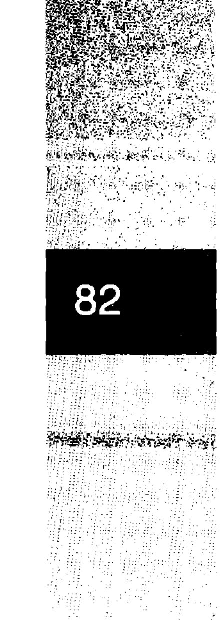
نعم نحن لا نقبل هذا المصطلح.

ما السبب؟

لأن مصطلح هارجام يعزلنا تماماً عن المجتمع كله.

إذن غاندي ليس محرر المنبوذين؟







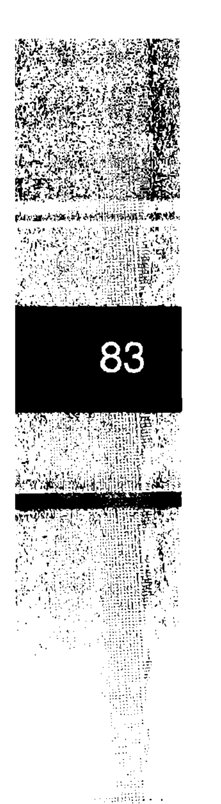
لا لا مطلقاً، كان غاندي مؤيداً قويا للطبقية والنظام الطبقي وفي النظام الطبقي نحن كنا أدنى طبقة، كنا نعامَل كالعبيد في ظله.

إذن، كان غاندي مؤمناً بالنظام الطبقي؟

نعم نعم، غاندي ليس محرر المنبوذين، يرجع هذا الفضل للدكتور أمبكتار الذي نطلق عليه بابا صاحب أمبكتار.

والد المنبوذين؟ نعم

رغم أن غاندي وضع المنبوذين في بؤرة الضوء إلا أنه فقد دعمهم ولقد أبعدته هذه المهمة كذلك عن أقرب حلفائه الذين نظروا إليها على أنها إلهاء عن المعركة من أجل استقلال الهند.



ومع ذلك كان غاندي مقتنعاً أنها كانت أساسية في الصراع من أجل الحرية ولكي نستطيع أن نتفهم دوافع غاندي التقينا بمؤرخ مطلع على الأمور بشكلٍ فريدٍ.. راجموهان غاندي حفيد مهنداس غاندي صحفي وناشط سياسي سابق، يعمل راجموهان حالياً أستاذاً في جامعة إلينوي، التقينا به أثناء زيارة قصيرة له في دلهي.

مع رغباته الشديدة في التغير لكنه كان مؤمناً بالنظام الطبقي، أليس كذلك؟

إنه حقيقة لا شك فيها، أنه لبعض الوقت وليس لفترة طويلة كان غاندي يقول إنه في شكله المثالي مع تقسيم العمل ولكن مع المساواة الكاملة وبلا تدرج يكون النظام الطبقي أمراً جيداً لكنه أضاف أن النظام الطبقي لا وجود له في الواقع.

هل كان مؤمناً بالنظام الطبقي أم لا؟

لا لم يكن مؤمناً بالنظام الطبقي، كان مؤمناً، وأن المساواة واحدة من أقوى مبادئ غاندي في الحياة، أي إشارة للتدرج أو أن أي شخص كان أفضل أرفع منزلة من أي شخص أخر كانت لعنة بالنسبة له.

لكنها كانت إلهاء أليس كذلك عن القضية الرئيسية، وهي حرية الهند؟

كانت تدعيماً لمعركة الاستقلال لأنهم لم يصححوا النظام الطبقي الهندوسي أو على الأقل يحاول أن يصحح أخطاءه تجاه المنبوذين.

كيف يمكن للهند أن تطالب بالاستقلال؟

كيف يمكن للهند أن تستحق الاستقلال؟

كيف يمكن احترام دعوة الهند للاستقلال في بقية العالم كان الأمر مهماً بشكلٍ أساسي لمعركة الاستقلال.

نجد في قلب مهمة غاندي مبادئ الساتيا غراها أو فهم الحقيقة فهماً تاماً وهو الذي أشعل مسيرة الملح الشهيرة وإلهاماته الآن.

لم يكن غاندي مهتماً بتحقيق الاستقلال بأي ثمن، لابد أن تستحق الهند حريتها، يمكنني أن أرى كيف أن هذا لابد أن يثير إحباطاً لزملائه العاملين في حزب العمل والآن كان غاندي على وشك أن يلقي بنفسه بعيداً أكثر عن المسار.

التقاعد:

ستظل قضية المنبوذين مهمة بالنسبة لغاندي بقية حياته، لكن في عام 1934 أعلن فجأة تقاعده من الحزب كانت خطوة محيرة وخطيرة، كانت تعني أنه سيضيع على نفسه السنوات الحاسمة التي كان يتمناها لوضع قواعد الهند في المستقبل كان قرار غاندي نابعاً من إدراكه أن مكوناً أساسياً في حلمه الهندي كان على وشك أن يتعرض للتجاهل تماماً.



في عام 1909 كان غاندي قد وضع الخطوط العريضة لخطة اقتصادية واضحة للهند الحرة، كان يريد رفضاً كاملا للأفكار الغربية عن تطوير المدن والتحديث، بدلا من هذا ستتكون الهند التي رسمها من جمهوريات قروية صغيرة مكتفية ذاتياً ومنظمة ذاتياً تماماً لكن خشي الكثيرون أن تبقى خطط غاندي الهند في العصور المظلمة، كان أقصي من ينتقده هو الرجل الذي



كان فـي السـابق أقـرب حلفائـه.. صديقـه وتابعـه جواهـر لال نهـرو، رأى نهـرو أن اعتبـار غانـدي الحيـاة الريفـية البسيطة مثاليـة اعتقـاد خاطئ ومضـر تمامـاً لا أكثـر مـن مجـرد إضفـاء طابـع فاتـن علـى المعانـاة مـن حيث المذهـب السياسـي كان غانـدي ونهـرو قطبـيْن علـى طرفـيْ نقيض ونهـرو وليـس غانـدي هـو الـذي كان زعيـم الحـزب الآن وهـو الـذي كان يلعـب دوراً حاسـماً فـي تشـكيل مسـتقبل الهنـد الاقتصـادي.



إذن ما الذي حدث لرؤية غاندي؟

رودبـاز مشـومكس مؤرخ بـارز ومحـرر فـي جريـدة كلكتا كتـب بشـكل مكثـف عـن أسـس اقتصـاد الهنـد.. يقـول:

بـادئ ذي بـدء كان غانـدي ضـد التحـول إلـى الصناعـة، قـال إن الصناعـة كانـت قائمـة علـى إنتاج السـلع والمزيد

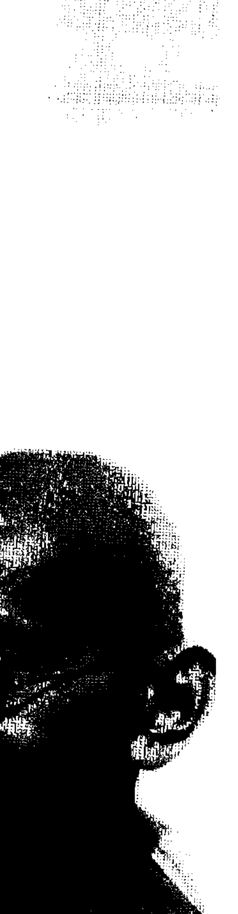
من إنتاج السلع ويؤدي هذا إلى الجشع الذي يؤدي بدوره إلى المنافسة والتي تؤدي إلى الحرب والعنف لهذا قال غاندي إن الحضارة الصناعية أو الحضارة الأوروبية أو الغربية كانت شيطانية، كان نهرو مؤمناً أن التصنيع كان أساسياً من أجل التقدم وغاندي لم يكن مستعداً لمجاراة هذا الأمر، ومع بدء المفاوضات ينسحب غاندي من العملية كلها.

لكن لماذا ينسحب بدلا من أن يحاول أن يقنع الناس؟

لقد حاول ووصف نفسه بأنه عتيق الطراز، لقد قال أنه لم يعد أحد ينصت إليه، لم يستطع أن يقنعهم أن يفكروا على طريقته ولهذا انسحب من العملية.

ما مدى تأثير رؤية غاندي الاقتصادية في الهند اليوم؟

لا شيء.. لقد أدارت الهند المستقلة ظهرها لغاندي وبدأ هذا في عصر نهرو ويظهر هذا أكثر اليوم في عصر ما بعد التحرير لم يؤمن غاندي بالسوق، لم يكن غاندي مؤمناً بالاقتصاد الموجه. لا أعتقد أن شيئاً في المشروع الاقتصادي الذي أصبحت الهند تمثله أو أصبحت ترمز إليه يمت لغاندي بصلة.



في العشرينيات استحق غاندي بفضل مسيرته السلمية الملهمة لقب والدي الأمة لكن الآن كانت بذور هند مستقلة قد زرعه نهرو بعد أن تم استبعاده عن مركز السلطة، انسحب غاندي إلى معتزله، وقضى بقية الثلاثين وهو يحقق رؤيته عن الاكتفاء الذاتي.

وكانت الهند التي كان يحلم بها في السابق تختفي

ببطء كأن غاندي كان قد استوفى غرضه، كان قد تزعم الصراع من أجل الاستقلال لكن حملته من أجل المنبوذين وأفكاره الاقتصادية لم يكن مرغوباً فيها وبحلول نهاية الثلاثينيات ربما اعتقد الناس أنه قد أصبح قوة مستهلكة لكن في الحقيقة لم يكن غاندي قد انتهى بعد.... انتهى اللقاء

الحرب العالمية الثانية والتقسيم:

في عام 1939 دخلت الهند الحرب كإحدى مستعمرات الإمبراطورية البريطانية، لم يكن لديه اختيار سوى دخول الحرب العالمية الثانية، كان مطلوباً من جنودها أن يخاطروا بأرواحهم دفاعاً عن حرية الآخرين وديمقراطياتهم.

لكن ولسخرية القدر الحرب العالمية الثانية هي التي ستأتي للهند بحريتها في النهاية.. بحلول نهاية الحرب كانت الخريطة السياسية قد تغيرت بشكل جذري. بريطانيا قد أفلست وأصبحت الهند عبئاً، كانت حريصة على أن تتخلص منه.

بدا أن حلم غاندي بالاستقلال كان على وشك أن يتحول إلى حقيقة لكن ليس بالطريقة التي كان يرغب فيها وإنما كانت الهند على طريق التقسيم كان زعماؤها الآن يفكرون في تقسيم البلاد لا إعطاء دولة منفصلة للمسلمين «باكستان» كان هذا ما كان يخشاه غاندي لأن الهند الحرة التي يحلم بها يعيش فيها الجميع معاً كأمة واحدة وكان أحد مخاوفه الأخرى على وشك أن يتحقق.



«البراهما تشاري» أو العفة:

كلكتا، تنبض بالحياة إلى الأبد باسمها الاستعماري كلكتا في وجود 15 مليون نسمة وطقس استوائي خانق يمكن أن تصبح مدينة مثيرة للتوتر.. كان في هند ما بعد الحرب في حالة من الغليان.

خلقت خطط تقسيم للبلاد طبقاً للخطط الدينية، المخاوف والشكوك فيما بين الجماعات المضغوطة إلى حد الانهيار بالفعل بسبب البطالة والمجاعة المنتشرتين، لقد شهد الصيف الحارق لعام 1946 كلكتا وهي تصل إلى ذروة التوتر؛ وفي 16 أغسطس وبعد جولة أخرى من المفاوضات السياسية الفاشلة نظمت الرابطة الإسلامية يوم احتجاج هنا في المدينة.. تدهورت الأمور بسرعة وتحولت إلى عنف طائفي بين المسلمين والهندوس وفقد الآلاف أرواحهم وسرعان ما انتشرت المذابح إلى الريف المحيط بالمدينة.

شعر غاندي بالفزع من كيف أصبح الشعب الهندي

يعادي بعضه البعض، جاء إلى هنا إلى ريف البنغال - موقع بعض أسوأ أنواع أعمال العنف- تنقل في المنطقة سيراً وتحدث إلى الناس محاولاً أن يخفف حدة التوتر.

لكن أثناء وجوده هنا فعل شيئاً آخر: أمراً سيزعج حتى أقرب مساعديه.. لكنه أمر كان مقتنعاً أنه سيساعد على إنهاء حالة العنف، استدعى حفيدة أحد أشقائه مانو كانت في 19 من عمرها واتخذ الترتيبات اللازمة كي ينام عارياً إلى جانبها، كان هذا اختباراً لعفته، كان غاندي مؤمناً بأن عافيته ترتبط ارتباطاً لا ينفصم بعافية الهند وأن أعمال العنف المندلعة هي نتيجة مباشرة لعدم انضباطه الذاتي وفشله في السيطرة على جسده كان في 77 آنذاك.

يقول بركشرو سيزم تركاري وقلنا له أن الممارسات الهندوسية القديمة «البراهما تشاري» أو العفة التي تمارس منذ 12 سنة، بدت أفعال غاندي في تلك المرحلة غير منطقية على الإطلاق بالنسبة للكثيرين.

هل يمكن أن تساعدني في فهم ما الذي كان يفكر فيه آنذاك؟

يجيب بروكشرو:

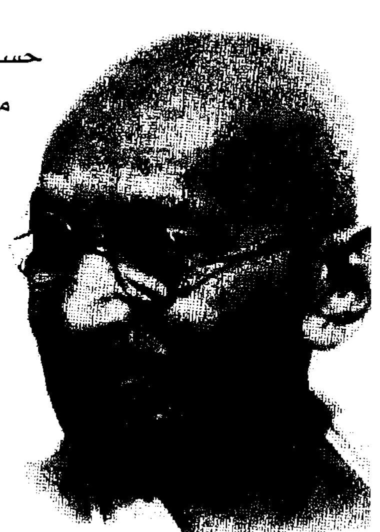
تبنى غاندي البراهما تشاري، هذا يعني إعادة هيكلة النفس ليس فقط بدنياً لكن بالأساس السيطرة على العقل ثم يتطلب التدريب كبح جماح النفس والذهاب إلى أعماقها.

وهل ممارسته السيطرة على النفس لها تأثير على الأحداث الخارجية؟



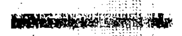


هذا صحيح تماماً من خلال اتباع حياة من ضبط النفس أعطاه هذا قوة هائلة بحيث عندما يقول شيئاً أو عندما يعني شيئاً ما سيتغلغل هذا الشيء في أعماق كل المحيطين به، لكن أعتقد أن المشكلة التي يواجهها الناس ليست فكرة ممارسة ضبط النفس واتخاذ قرار العيش حياة العفة ولكنها فكرة تجربتها في الفراش مع الشباب.



حسناً الأمر بسيط إذا أردت اختبار نفسك يجب أن تختبرها مع الأفضل، لن تختبري نفسك مع شخص عشت معه حياتك كلها، لن يكون هناك اختبار.. فأنت تعرفين نفسك وتعرفين هذا الشخص لكن عندما تواجهين تحدياً من الخارج تحدياً جديداً لم تواجه من قبل عندئذ يبدأ الاختبار.

لكن قد يكون هؤلاء الشباب ضعفاء ربما يتأثرون





بشكلٍ غير ملائمٍ لا يبدو هذا عدلا حقاً؟

أعتقد أننا نتفاعل مع بعض الأشياء فوراً، نرى رجلا عجوزا ونرى فتاة شابة ويذهب عقلنا مسرعاً إلى الحقيقة، إنك تعرفين أنه رجل عجوز، ما الذي يريد عمله سيربح منه، كلهم سيربح، الطرف الأكبر سنا، طاقة وإلهاماً وهو في وضع يتاح له أن يعطي الكثير للجيل الأصغر سنا . انتهى الحديث لبركشرو

مهما كانت نواياه نقية إلا أن أفعال غاندي أزعجت أصدقاءه والجماهير العريضة لقد فقدوا الأمل في محاولته غير المفهومة لوقف العنف، رجل عظيم فيما يبدو منفصل عن الواقع لكن قبل فترة طويلة ستلجأ الهند إلى المهاتما مرة أخرى.

اللحظة التاريخية:

بينما كان غاندي يواصل جولاته فـي الريف محاولا باستماته منع شعبه من تدمير بعضه بعضاً كانت الهند على شفا لحظة تاريخية (فتحت بوابة الحرية في الهند يصل اللورد لويس آخر نائب للملك في الهند لكي يشارك في النهاية الرسمية للحكم البريطاني).

وفي 15 من أغسطس عام 1947 حصل زعماء الهند أخيراً على السلطة لحكم وطنهم وأصبح جواهر لال نهرو أول رئيس وزراء.. تحررت الهند أخيراً، كان غاندي هو أول من نبه الأمة، كان غاندي هو الذي جذب الانتباه العالمي لقضية الهند وبالتالي في لحظة الاستقلال حمل غاندي على الأعناق بصفة الرجل المسئول لكن لم يرى غاندي نفسه هكذا .

كان قد تخلص من الوهم تماماً أصبح رجلا محطماً لا يرى أن هذا هو الاستقلال الذي حرب من أجله ليس هذا هو الاستقلال الذي هرب من أجله ليس هذا هو الاستقلال الذي حشد الناس من أجله لأن حلمين من أحلامه اللاعنف ووحدة الهند: الوحدة الهندوسية المسلمة قد تحطم تماماً أمام عينيه وفي اللحظة نفسها التي يمكن أن تكون لحظة انتصاره وإن أعتقد أنه من بين المفارقات الكثيرة.



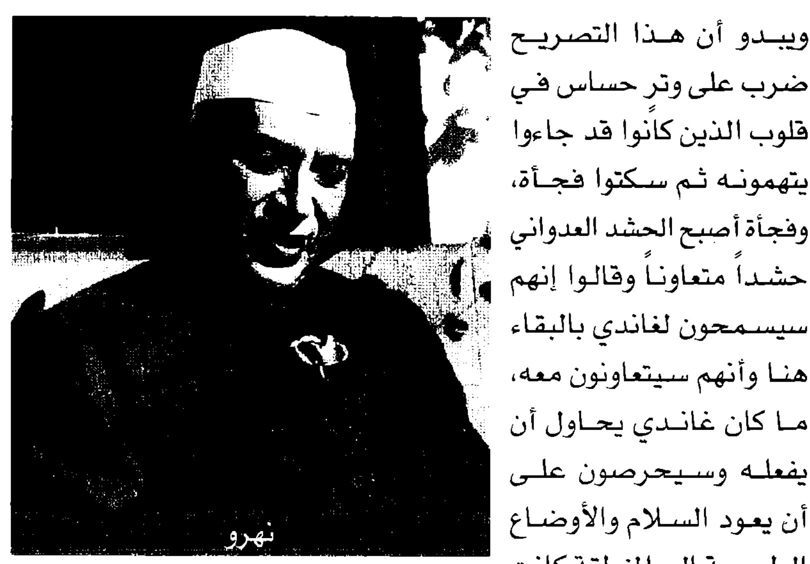
في تلك الفترة المفارقة الكبرى هي حقيقة أن والدي الأمة لما يكن حاضراً ولادة الأمة الهندية، اختار غاندي وأنا أظن أننا سنركز على كلمة اختار أن يبقى بعيداً عن دلهي في لحظة استقلال الهند نفسها.

لكن في أحلك ساعات غاندي ستعرف الهند قيمته الحقيقية لقد اختار أن يقضي لحظة الاستقلال هنا في «كلكتا» المدينة التي كانت في حالة اضطرابات من



جديد كان الجميع مسلمين وهندوساً خائفين على منازلهم وحياتهم، رفض غاندي أن يقف مكتوف الأيدي وهو يراقب هؤلاء الناس يدمرون بعضهم البعض، انضم إلى زعيم المسلمين المحلي حسن شهيد، أقام معسكراً في هذا المنزل الذي هجره المسلمون خوفاً من هجمات الهندوس لقد وضع غاندي نفسه على خط المواجهة.

وبعد أن دخل أحد المنازل مباشرة وقعت الاضطرابات حيث جاءت مجموعة من الشباب إلى هذا المبنى وطالبوا غاندي بالرحيل فوراً، فرد غاندي قائلا: تعرفون يمكنكم أن تفعلوا ما تريدون لكن لن أرحل، يمكنكم قتلي لكن أنا هنا كي أفعل ما أنا مؤمن به ولن أرحل طالما أن هناك مسلماً واحداً في هذه المنطقة لا يزال يشعر بالخوف.


نهرو

ويبدو أن هذا التصريح ضرب على وترٍ حساس في قلوب الذين كانوا قد جاءوا يتهمونه ثم سكتوا فجأة، وفجأة أصبح الحشد العدواني حشداً متعاوناً وقالوا إنهم سيسمحون لغاندي بالبقاء هنا وأنهم سيتعاونون معه، ما كان غاندي يحاول أن يفعله وسيحرصون على أن يعود السلام والأوضاع الطبيعية إلى المنطقة كانت تلك معجزة المهاتما، هكذا رأى الناس آنذاك الأمر، وفي الواقع كانوا مؤمنين أن وحده وجود غاندي هو الذي حقق المعجزة السحرية أعتقد أنها واحدة من أعظم مراحل حياته إذا لم تكن الأعظم يمكن أن أقول بكل ثقة إنها على الأرجح أعظم مرحلة في حياته.

لقد حدد اللاعنف حركة استقلال الهند، لكن الحدث الفعلي الذي طال انتظاره كان على النقيض تماماً يعتقد أن مليونيّ شخص قتلوا في العنف الطائفي العشوائي.. إذن ما حققه غاندي في «كلكتا» كان غير عادي فبمجيئه إلى هنا جلب السلام.



فاز الرجل الذي يطلقون عليه اسم بابو أو الأب بقلوب أهل «كلكتا» لكن في جميع أنحاء الهند كانت المجتمعات لا تزال تنقلب على بعضها البعض فرحل عن «كلكتا» لكي يحاول أن يجلب السلام لأماكن أخرى.. كان التحدي الذي يواجهه كبيراً، كان الهندوس

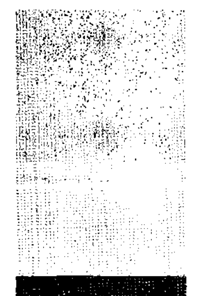


نهرو مع اللورد ماونتباتن وزوجته للاحتفال بيوم الاستقلال الهندي في نيودلهي عام 1947

والسيخ يتجهون نحو الهند وكان المسلمون يرحلون إلى وطنهم الجديد باكستان سوف يغير التقسيم مسار حياة الملايين إلى الأبد بما في ذلك حياة عائلتي.

لا يمكن لنا أن نتصور الى أي مدى كانت تلك الأيام مثيرة للقلق وكيف أن العنف بدأ ينكشف تدريجياً فبحلول سبتمبر أيلول عام 1947 كان المسلمين يشعرون بالقلق على عائلاتهم الموجودة في شمال الهند والتي كانوا يريدون نقلها إلى بر الأمان في باكستان ثم بحلول أكتوبر تشرين الأول يتحول الوضع في شرق البنجاب إلى مخيف، هناك مذابح بالجملة للاجئين، لمن يسيرون على الأقدام أو يستقلون القطارات.

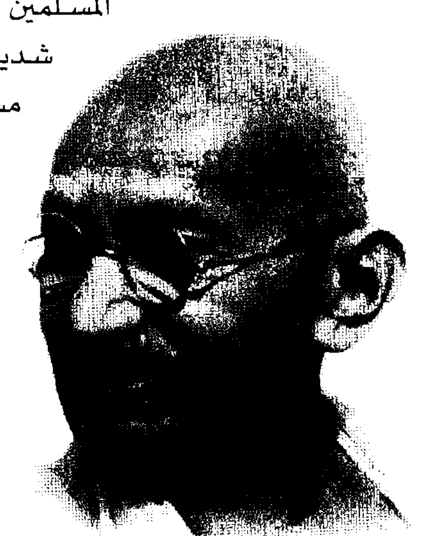
إن معسكرات اللاجئين في دلهي في حالة يُرثى لها والكوليرا تتفشى بسرعة بين سكانه، إذن في هذه المرحلة أصبح جليا كيف كانت مرعبة أحداث العنف





مسلمو الهند عند هجرتهم إلى باكستان بعد التقسيم

في ذلك الصيف، في ذلك الوقت كان الاضطهاد الديني قد انتشر على نطاق واسع، المسلمون والسيخ والهندوس، الجميع معتدون وضحايا على قدم المساواة، كانت باكستان أبعد من أن يصل إليها الكثير من المسلمين وبقي عشرات الآلالف هنا في دلهي، واجه الذين تركوا هنا رعب الإرغام على ترك منازلهم إلى مصير مجهول، كان هؤلاء هم المسلمين الذين وجه غاندي مساعدته لهم أصبح الآن خطراً شديداً على أن يبقى في مأواه المعتاد في حي الفقراء في مستعمرات الكنسين في دلهي بدلا من هذا بقي في منزل أحد رجال البر في منزل بارلي.



هنا بدأ غاندي صيامه الأخير من أجل حقوق المسلمين المتبقين في دلهي، طلب أن ينهي الهندوس مقاطعتهم لمتاجر المسلمين وأن يسمح للمسلمين بإقامة احتفالاتهم الدينية وأن ترد المساجد التي



أخذت منهم وأن يتمكنوا من العيش في أمان في منازلهم، وفي اليوم السادس من صيامه جاء مائة ممثل عن جماعات دلهي المختلفة إلى هنا ووقعوا بياناً يحمي حقوق المسلمين تحققت مطالب غاندي وانتهى الصيام، أعتقد أن غاندي كان صادقاً بشأن الوحدة الهندوسية المسلمة وتأثرت بشدة بشأن الأرواح التي لا تحصى التي أنقذها، لكن بمساعدة المسلمين كان غاندي يُعرض حياته للخطر حتى اعتبره بعض الهندوس المتطرفين خائناً لديانتهم، وستنتهي حياة غاندي العظيمة قريباً.

خلال أيامه الأخيرة أقام صلاة عامة في منزل بارلي كان حفيده رجماهند في ال 11 آنذاك يقول عنه حفيده:

كانت هناك مناسبات كنت أحضرها أيضاً كنت أسير معه أحياناً كنت أحد عكازيه، وكثيراً ما كان

هناك مزاح بيننا، قد كان ممزاحاً كبيراً فيما يتعلق بأحفاده كان يمزح بلا توقف، وكان أسلوبه في تحياتنا هو أن يضربنا ضربة قوة على الظهر ورغم أنه كان رجلا عجوزاً وأحياناً يُضرب عن الطعام كانت ضرباته لا تُنسى، كان يتطلع إلى هذه الأوقات عندما يكون أفراد عائلته حوله كانت أوقاتاً قصيرة لكن من الواضح أنه كان يستمتع بها وبالطبع في ذلك الوقت كان يُقيم أحياناً اجتماعات الصلاة على الأرض وكان اجتماع الصلاة يبدأ بترانيم هندية والجزء التالي يكون سورة الفاتحة من القرآن.

ماذا كان شعور الهندوس عندما يسمعون هذا؟

كانت الأغلبية لا تعارض مطلقاً، لكن أحياناً وقد رأيت هذا بنفسي كان البعض يقف ويقول لا نريد هذا، لن نسمح بهذا أرجوك أوقف هذا هل كانت هناك تهديدات حقيقية لحياته في هذه المرحلة؟

نعم قد كان يتوقع، كان مستعداً لأن يتعرض للهجوم أو للقتل كانت هناك محاولات اغتيال، كنت صغيراً في السن لكني كنت مدركاً للأمر وبالطبع سألت نفسي أكثر من مرة لو وقع هجوم فعلي عليه وكنت بالقرب منه كيف كنت سأحميه.

أيها الأصدقاء والرفاق لقد انطفأ الضوء من حياتنا وعم الظلام كل مكان ولا أدري ماذا أقول لكم وكيف أقولها هذا زعيمنا الحبيب بوبو كما كنا نسميه والدي أمتنا لم يعد معنا.

يضيف حفيده عن قصة اغتيال جده:

اغتيال غاندي:



تمثل آثار الأقدام خطوات غاندي الأخيرة، فـي 30 من يناير كانون الثانـي عـام 1948 كان يمشـي عابراً الحديقـة فـي طريقـه إلى اجتمـاع الصـلاة اليومـي عندمـا اقتـرب منـه رجـل وأطلـق عليـه 3 رصاصـات مـات بعـد فتـرة وجيـزة.

عندمـا وصلنـا إلـى هنـا كانـت هنـاك جماهيـر غفيـرة جـداً كان شبـه مستحيل بالنسبـة لنـا أن نمر من بينهم أخبرتهـم بطريقـة مـا مـن تكـون وتمكـن الوصـول إلـى غرفته وكان هنـاك كان جسـده ملقى فوق ملاءة بيضاء

على بساط رقيق في الغرفة محاطاً بالزهور وكانت الصلوات قد بدأت، كان أبي هناك، وكان نهرو هناك لم يكن هناك أي آثار للغضب في الغرفة، كان هناك حزن لكن كان هناك كذلك شعور بالسلام وبتوقعي الطفولي الساذج كنت أعتقد أن هذا الرجل العظيم جدي سوف يقف ويبدأ في الكلام.

قاتله ناثورم جوتسي هو متطرف هندوسي كان يرى غاندي خائنا لبلاده، كان جوتسي يعتقد أن غاندي قد سمح بتقسيم الهند وأن حملته من أجل حقوق المسلمين كانت القشة الأخيرة كان غاندي في 79 لم يتزحزح قط عن اعتقاده أنه كان الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الهند، يقول البعض إن هذا أثبت أنه كان نقطة ضعفه، لكن في مماته سيكون هذا نقطة قوته.

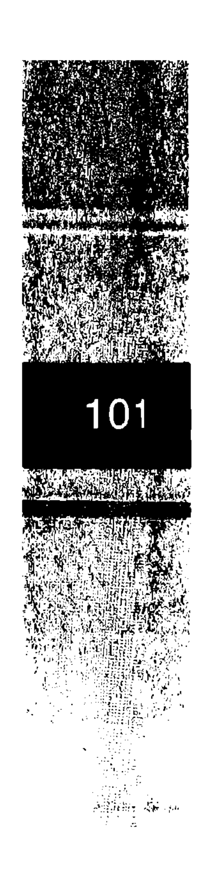
كان غاندي يريد أن يقتل بهذا الشكل في الواقع في اليوم السابق لاغتياله قال أريد أن أموت على يدي أحد القتلة، لقد قضى المؤرخ ريدر سرود حياته كاملة منبهراً بتراث غاندي، يقول سرود:

«أعتقد أن غاندي كان يريد حدثاً يقول للعالم إنها كانت حياة صادقة وأعتقد أن الاستشهاد بهذا المعنى يعطيك الدليل الأخير على حقيقته».

هل كان قد استسلم إذن؟

لا لم يستسلم، أفكر ما هو الحدث الأخير الذي يمكن أن يوقف العنف إنه اغتيال غاندي. صمت... الأمة في حالة ذهول...جميع أعمال العنف في هذا الجزء من البلاد وحتى في باكستان توقفت، أعتقد أن كل رجل وامرأة شعروا أنهم قد شاركوا في هذا الاغتيال في هذا الحدث بصمتهم أو باتباعهم العنف أو بتشككهم





فـي رؤيـة غانـدي بشـأن مـا يمكـن أن تكـون عليـه هـذه البـلاد لـم يكـن قاتـلا واحـدا الـذي قتـل غانـدي.

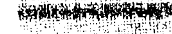
أنت تراه في النهاية على أنه حدث إيجابي؟

للغاية أراه نبيـلا جـداً جداً فـي الهنـد الحديثـة لا أعتقـد أنـه كان هنـاك حـدث واحـد جعلنـا أنبـل وأكثـر أخلاقـاً مـن حـادث اغتيـال غانـدي.

بـدأت هـذه الرحلة علـى خطـى غانـدي متـرددة مرتابة فـي أمـره، وأنهيها وأنـا أحمـل مشـاعر مختلفـة لـم يكـن كامـلا لـم يكـن قديسـاً ونسـيئ إليـه بتصـوره كامـل الصفـات بحيـث يمنعنـا ذلـك مـن التعلم مـن حياتـه بشـكل حقيقـي، كانـت لديـه أطـوار غريبـة كان مـن الممكـن أن يثيـر إحبـاط حتـى أقـرب المقربـين لـه لكنـه كان رجـلا يتمتـع بشـجاعة عظيمـة، كان رجـلا ثوريـاً بـلا عنـف، كان رجـلا يمكنـه أن يغيـر أمـة، دافـع عـن قـوة الفـرد فـي إحـداث التغييـر بالطبـع سـنظل نناقـش مثـل غانـدي العليـا.

هـل مـن الممكـن تحقيـق رؤيتـه بشـأن الوحـدة الدينيـة، ناهيكـم عـن إذا كانت مرغوبة ولكن هنـاك أمراً مؤكدا إلـى النهاية كان مؤمنـاً بالاسـتحواذ علـى الحقيقـة، يذكـر تسـجيل لغانـدي يتكلـم فـي خلالـه فـي لنـدن عن 1931 بمـا الـذي أطلق وأنعـش والـدي الأمـة وضميـر القـرن.

أدرك بشـكل مبهـم أنـه بينمـا كل شـيء مـن حولـي يتغيـر دائمـاً يمـوت دائمـاً تكمـن وراء كل هـذا التغيـر قـوة حيـاة لا تتغيـر قـوة تجمعنـا جميعـاً هـي التـي تخلـق وتبـدد الخلـق مـن جديـد هـذه القـوة المبشـرة للـروح هـي الـرب فـي غمـرة المـوت تسـتمر الحيـاة فـي غمـرة الكـذب تسـتمر الحقيقـة فـي غمـرة الظـلام يسـتمر الضـوء.

غاندي والقضية الفلسطينية وموقفه من اليهود:

ونشير هنا إلى أن مواقف المهاتما غاندي من القضية الفلسطينية كانت مشرِّفة وقد أشارت إلى بعضها صحيفة تشرين السورية في 30 أيار 2004 ص9 ضمن مقال بعنوان: «غاندي والقضية الفلسطينية»، توضح موقف المهاتما الإيجابي من القضية الفلسطينية.

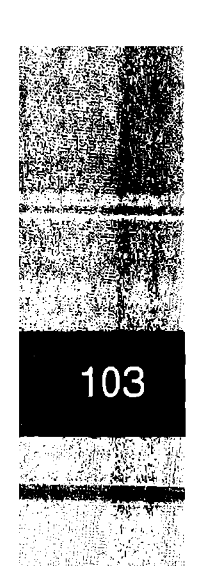
وفي مقالة للمهاتما غاندي في صحيفة هاريجان (تعني أبناء الله) الهندية في 26/11/1938 يقول ما ترجمته حرفياً: «إن تعاطفي مع مشاكل اليهود وآلامهم لا تعميني عن متطلبات العدالة إن المطالبة بوطن قومي لليهود في فلسطين لا تروق لي مهما كان التبريرات التي يقدمها اليهود والمستقاة من الكتاب المقدس، إن فلسطين هي للعرب بالضبط كما هي إنكلترا للإنكليز وفرنسا للفرنسيين إنه من المعيب فرض اليهود على العرب وما يدور الآن -1938- في فلسطين لا يمكن تبريره بأي سلوك أخلاقي أبداً.

ويضيف في المقالة نفسها: «إنه بالاستناد إلى القيم المتعارف عليها بين الحق والباطل، فلا يمكن قول شيء ضد مقاومة العرب في فلسطين بمواجهة الأخطار الساحقة التي تتهددهم».

ودافع أيضاً عن سورية «أيام الاستعمار الفرنسي» بقوله: «وفرنسا عبر زعمائها، تخون على نحو مخز واجبها كقوة منتدبة، بمحاولتها سحق السوريين».



وأذكر قولاً واحداً له (خشية الإطالة) عن المسلمين في الهند. فيقول: «إن المسلمين والهندوس هم عينا الهند، فإذا أصيبت عين نال الأذى العين الأخرى.. وإني أقول لكم أيها الهندوس إن حماية المسلمين





واجب عليكم في هندستان حتى لو هلك جميع الهندوس في باكستان.

ويؤكد: احذروا من الغضب فإنه من وحي الشيطان، وطهروا قلوبكم من الحقد فهو يضر بحامله أكثر مما يضر الذي أحدثوه، لقد قيل عنه: «إنه جسر امتد فوق الهوة التي كانت تفصل المثقفين عن القرويين الأميين».



هناك مقطوعة كوجاراتية كان غاندي يضعها نصب عينيه دائماً:

«إذا قدمت لك لقمة واحدة فقدم وجبة كاملة.

وإذا حييت بتحية بسيطة فانحن إلى الأرض.

وإذا أنقذت حياتك فقدم حياتك.

والأفضل أن تعتبر الناس كلاً واحداً».

توضيح لمعنى اعتبار الناس كلاً واحداً بالمثال التالي: إذا كنت نائماً واستيقظت فجأة فرأيت بجانبك هرة سوداء قد قتلت للتو أفعى كادت تلسعك، كم سيكون امتنانك لهذه الهرة السوداء لدرجة أنك تتعاطف مع أي هرة سوداء وبالأحرى مع أي هرة ولو لم تكن سوداء وكذلك إذا أنقذ حياتك إنسان فيجب أن تعتبر الناس كلاً واحداً.

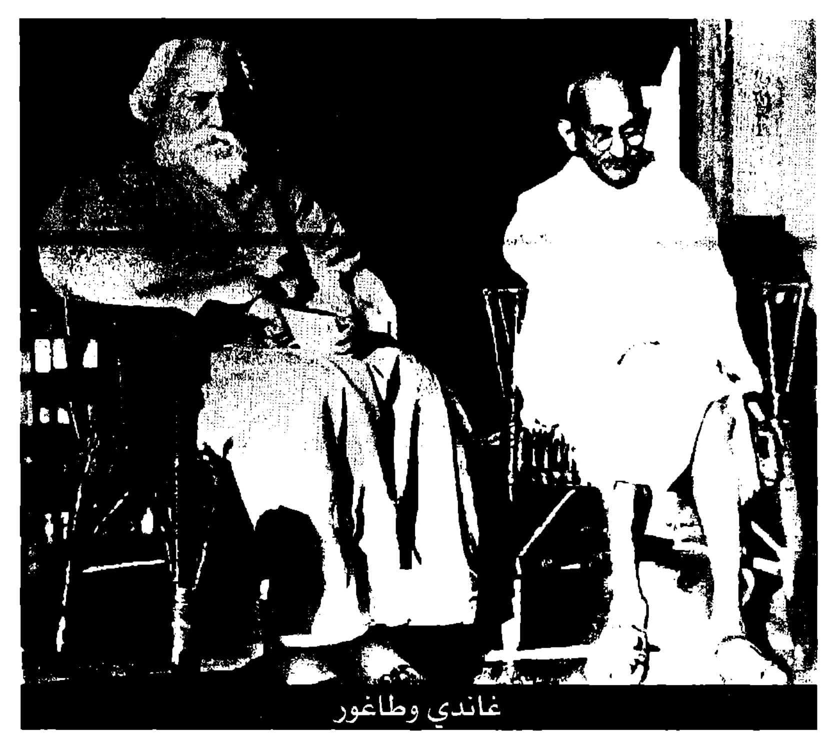
له قول مشهور: لا رغبة لي في أن أقود رجلاً واحداً إذا عجزت عن مخاطبة عقله وله قول آخر مشهور أيضاً: لا أريد أن أعمل عملاً في السر أخشى أن أعمله في العلن. ويقول: من كان يبتغي صداقة الله وجب عليه إما أن يظل وحيداً أو يتخذ الناس جميعاً أصدقاء له.

معروف أن الهندوس نباتيون (لا يأكلون اللحم) إلا أن غاندي قال بموضوعية: «أنا أعترف أنه من الضروري أن يأكل الإنسان اللحم ولكن قطعت عهداً على نفسي بألا أفعل ولست مستعداً للجدل في هذا الأمر».

وعن التقمص في العقيدة الهندوسية يقول: لا أريد أن ألد من جديد ولكن إذا كان لا مناص من ذلك فإني أود أن أولد منبوذاً كي أقتسم مع هذه الطائفة حزنها وعذابها وما يوجه إليها من إهانات حتى أستطيع بعد ذلك أن أجاهد في سبيل تحرير نفسي وتحريرهم من هذه الظروف التعسة.

غاندي وطاغور

يوجز طاغور أفضال المهاتما غاندي بقوله: «نحن مدينون لغاندي الذي وفر للهند فرصة إثبات إيمانها بأن النفحة الإلهية لدى الإنسان مازالت نابضة بالحياة» طاغور هذا بدأ الرسم وهو في سن السبعين من عمره.



غاندي وطاغور

ويقول: الرسم غرام شيخوختي، ويلقب بشاعر الهند العظيم والنشيد الوطني الهندي من كلمات هذا الشاعر، وله قول: كل مولود يحمل رسالة أن الله لم ييأس من خلق الإنسان.

وهناك حوار ممتع ضمن مراسلات بين طاغور وغاندي أوجزه فيما يلي: «رأى غاندي أن بريطانيا تحتكر شراء القطن الهندي بأبخس ثمن.. لتعود الهند فتشتريه بأثمان باهظة فقام غاندي بدعوة مواطنيه إلى مقاطعة البضائع الإنكليزية».

وحمل غاندي المغزل ليكون قدوة لسواه وليحمل الهنود على غزل القطن في أوقات فراغهم وبذلك تتعطل

المصانع البريطانية ويثور المشتغلون فيها على حكامهم.. وانتشرت هذه الفكرة بسرعة مذهلة مئات الألوف من السكان يحرقون الأقمشة الإنكليزية ويعتبرونها رمزاً للعبودية والاستعمار. غير أن الشاعر الهندي طاغور اعتبر هذه الأعمال تعصباً ولام غاندي على التنكر للصناعة الإنكليزية التي تعتبر تقدماً حضارياً. فدافع غاندي عن وجهة نظره قائلاً: إن الصناعيين الإنكليز يستغلون بؤس الشعب الهندي وآلامه ولا يهمهم غير الكسب، (وكم من صناعات محلية قضت عليها المنافسة الإنكليزية فأفلس أصحابها) فهل يجوز بعد هذا لأحد الهنود أن يشتري نسيجاً أنتجه هؤلاء الصناعيون المستبدون، إن الصناعة الإنكليزية أساس من أسس استعمار الهند.

وأكد غاندي: أن دعوته تبعث في الشعب روح النشاط وتدفعه إلى العمل إذ يضطر إلى الاعتماد على نفسه.

وقد أجاب طاغور بما يلي: إن العالم سائر حتماً إلى التفاهم بين الشرق والغرب وأن في دعوة غاندي نزعة ضيقة تعرقل سير التقدم إلا أن أثني على الحركة الاستقلالية بلا تحفظ.

وشبّه قائدها (أي غاندي) بالإله بوذا الذي أيقظ الهند بالحب والرحمة ثم أبدى تخوفه من أن تؤدي سياسة اللامعاونة إلى إثارة الأحقاد وتضييق آفاق الثقافة. وقال طاغور في رسالة وجهها إلى غاندي:

(إن الطائر متى أيقظه الفجر من مرقده، لا يستغرق في طلب الغذاء نهاره كله، بل إن أجنحته تخفق تجاوباً مع دعوة الحساء، فيما ترسل حنجرته إلى النور الجديد أناشيد الفرح والحبور..).

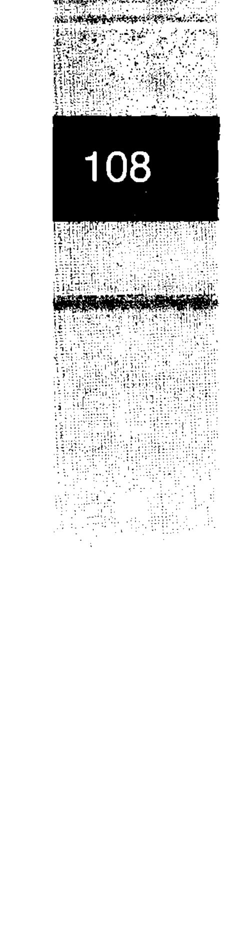
فأجابه غاندي: أنت يا أخي الشاعر محلق فوق البشرية المعذبة أما أنا فأرى حولي أناساً يموتون لأنهم لا يجدون قوتاً فلا أفكر إلا بإيجاد طعام للجائعين.. والله لا يتجلى لشعب جائع إلا في صورة رغيف..



وهذا حق وصحيح لقد خلق الله الإنسان ليكسب معاشه بعمله والذين يأكلون ولا يعملون ليسوا سوى لصوص.

إن الشاعر يحيا لغده لا ليومه وهو يريد أن يحملنا على الاقتداء به فيلوح لنا بصورة الطيور الجميلة التي تستيقظ لترسل تسابيحها أو لتحلق في الأجواء.

غير أن هذه الطيور ليست جائعة فلها كل يوم رزقها وإذا حلقت فإنها تضرب الأجواء بأجنحة مرتاحة تجدد نشاطها في الليل، إن الطائر الإنساني تحت سماء الهند لَيستيقظُ صباحاً هو خائر القوى لأن قواه قد سلبها الإنكليز وأعوانهم من الإقطاعيين الهنود، وأرى أخيراً (أنه يتعذر تسكين آلام الجائعين بنشيد أو قصيدة فأعطوا هؤلاء الجائعين عملاً يكسبون به ما يأكلون».



كتب أثرت في غاندي

وقد تأثر غاندي بعدد من المؤلفات كان لها دور كبير في بلورة فلسفته ومواقفه السياسية منها:

«نشيد الطوباوي»

وهي عبارة عن ملحمة شعرية هندوسية كتبت في القرن الثالث قبل الميلاد واعتبرها غاندي بمثابة قاموسه الروحي ومرجعا أساسيا يستلهم منه أفكاره.

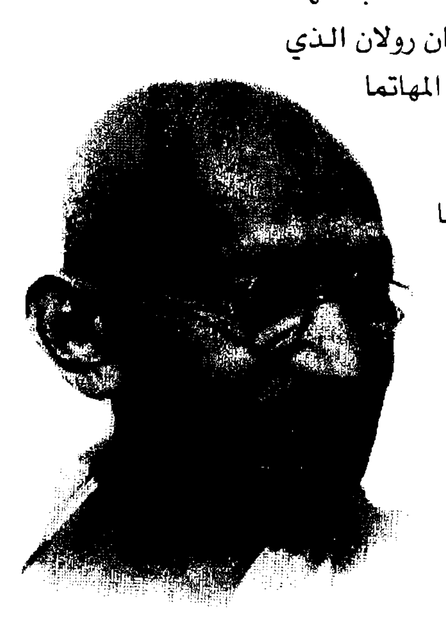
إضافة إلى «موعظة الجبل» في الإنجيل، وكتاب «حتى الرجل الأخير» للفيلسوف الإنجليزي جون راسكين الذي مجد فيه الروح الجماعية والعمل بكافة أشكاله، وكتاب الأديب الروسي تولستوي «الخلاص في أنفسكم» الذي زاده قناعة بمحاربة المبشرين المسيحيين، وأخيرا كتاب الشاعر الأميركي هنري ديفد تورو «العصيان المدني». ويبدو كذلك تأثر غاندي بالبراهمانية التي هي عبارة عن ممارسة يومية ودائمة تهدف إلى جعل الإنسان يتحكم بكل أهوائه وحواسه بواسطة الزهد والتنسك وعن طريق الطعام واللباس والصيام والطهارة والصلاة والخشوع والتزام الصمت يوم الاثنين من كل أسبوع.. وعبر هذه الممارسة يتوصل الإنسان إلى تحرير ذاته قبل أن يستحق تحرير الآخرين.

حفيد غاندي يكشف أمورا مخفية من حياة جده في كتاب:



غاندي، ذلك الزعيم الهندي الذي صنع من اللاعنف سلاحاً هائلا، يحظى اليوم بقراءة جديدة بقلم حفيده راج موهان. سيرةٌ شخصية يمتزج فيها الأرشيف بالشهادات الحية المباشرة.

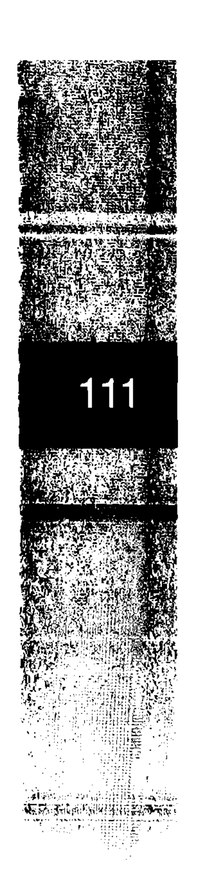
يأتي كتاب حفيد غاندي ليلقي على شخصية غاندي وأعماله، أضواء جديدة أسطع وأنصع، على الرغم مما لقيه في حياته من التقديس والتبجيل من قبل الهنود، أمثال الشاعر المشهور رابندرانات طاغور، الحائز على جائزة نوبل للآداب، العام 1913، والذي منحه لقب «مهاتما» (الروح الكبرى)، أو ما لقيه من الغربيين، أمثال رومان رولان الذي كتب سيرته، قلت على الرغم من كل هذا، فلم يحقق المهاتما غاندي الإجماع حوله، حتى في داخل وطنه.



ملحمة غاندي العظمى أفضت الى فشلين اثنين، تقاسمهما مع جواهر لآل نهر، تلميذه ووزيره الأول، في عهد الهند الحرة، والمهووس بهذه المسؤولية حتى مماته: ففي أعين العديد من الهنود يعتبر غاندي مسؤولا عن عدم حيلولته دون الانفصال الدموي عن باكستان،

العام 1947، وهو التمزق الذي لم تشف منه الهند، والذي ما فتئ يسمّم العلاقات ما بين البلدين منذ ذلك التاريخ. وحسب هنود آخرين، فقد تنازل غاندي عن أسس الهندوسية، قاعدة الحضارة الهندية، بسعيه إلى إدماج المنبوذين في المجتمع الهندي، وهم الذين أطلق عليهم اسم «داليت»، أب (أطفال الرب)، ووقف إلى جانب المسلمين كثيراً. ولتلك الأسباب اغتيل غاندي يوم 30 كانون الثاني(يناير) 1948، في دلهي، حيث أطلق عليه أحد الهندوس المتعصبين يدعى ناتورام غودس، ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندي صريعا عن عمر يناهز 79 عاما. «ليس مهمّاً أن يقتلوني» كتب غاندي العام 1909، وهو في إفريقيا -الجنوبية التي كان يخوض فيها معاركه السياسية الأولى، ويضع فيها مذهبه وطرقه التي خلدته فيما بعد. إنه المصير الذي شهده معظم الرسل.»

لكن ما أهمله كتّاب السيرة في كثير من الأحيان، في مسار غاندي الطويل، أنه أمضى جزءاً كبيراً من حياته خارج الهند. فهو لم يعد إليها بشكل نهائي، إلا عام 1914. وكان عمره آنذاك 45 عاماً. وحرصاً منه على الدفاع عن الهنود الذين كانوا يعيشون في الشتات، ضد عنصرية السكان الأصليين، وعنصرية البريطانيين على السواء، تصور تقنيات غير مسبوقة للكفاح، استقاها من تولستوي، وروسكين وتورو. وقد عاد غاندي إلى أرض الوطن وهو مصر على الحصول على «السواراج»، أي الاستقلال التام، بواسطة «الساتياغراها» أي العصيان المدني الذي يمارس في ظل احترام «الأهيمسا» أي اللاعنف، ونظرياً في ظل «البراهماشاريا» أي الصفاء. وقد كان المهاتما غاندي الذي اعتنق الحياة النباتية منذ إقامته الأولى في لندن العام 1891 متنازلا بذلك عن كافة متعه المادية،



منذ وجوده في جنوب إفريقيا، يجد صعوبة جمة في كبح اندفاعاته الجنسية.

كان هذا أيضاً يمثل جزءاً من شخصيته، مثل الطريقة التي أهمل بها أسرته (زوجته كاستوربا، وابنه البكر هاريلال)، لفائدة الصالح العام، أوملابساته أثناء الحربين العالميتين، أو زهده في الحياة: ففي كل يوم كان غاندي يقرأ «باغافاد جيتا»، والقرآن الكريم والكتاب المقدس. هذا فيما كان نهرو، البرهماني، يصف نفسه بالملحد الماركسي.

وقد نجح كلاهما في واحد من أكبر الرهانات في التاريخ: تحرير الهند من الاحتلال الانجليزي بدون حرب، وتحويل بلادهما على وجه السرعة إلى أكبر ديمقراطية في العالم، دون المرور بخانة الدكتاتورية. إنه نظام غير كامل، ربما، وفاسد أحياناً، لكنه ساهم في فرض الهند، شبه القارة هذه التي يبلغ عدد سكانها أكثر من بليون نسمة، كواحدة من عمالقة الألفية الجديدة. عملاق قوي وهش في آن. وهذا ما كان غاندي، قد توقعه بالتأكيد!

يقول حفيد المهاتما:

عشت مع جدي عامين وكنت أريد
قتل من اغتاله لكن منعتني المبادئ

جده هو زعيم المقاومة البيضاء في تاريخنا الحديث والذي ابتدع اسلوبه الخاص في مواجهة اكبر جيوش الاحتلال في العالم كي يحرر وطنه. انه المهاتما غاندي الذي قاوم الاستبداد بسياسة اللاعنف التي حررت الهند تاركا في فكر كل باحث عن الحرية تجربته الفريدة. وعلي نفس الدرب سار حفيده آرون غاندي الذي عاني من العنصرية عندما كان طفلا في جنوب افريقيا وطاف العالم يتحدث عن سياسة جده وسخر قلمه

كصحفـي كي يكرس فـي قـراءة الاحتـرام والتسـامح والحب كمـا علمـه جـده وهـو صغيـر. تسـببت آراؤه فـي أن يفقـد عملـه فـي المعهـد الـذي اسسـه فـي امريكا وكان يـدرس فـيه سياسـة جـده عقـب نشـره لموضـوع انتقـد فـيه إسـرائيل وعنـف اليهـود عندمـا وصفهـم بأنهـم أهـم لاعـب فـي عالـم العنـف. ومـع تصـاعـد وتيـرة المظاهـرات السـلمية فـي الوطـن العربـي التـي استلهمت جزءاً مـن سياسـة غانـدي فـي المقاومـة البيضـاء وتحـول بعضهـا إلـي مواجهـات داميـة، كان لنـا هـذا الحـوار مـع الحفـيد الـذي مـازال يؤمـن بكلمـات جـده حتـى اليـوم:

اليهود تربوا على العنف وأقول لهم من عاش بالسيف مات به

❖ كيف كانت علاقتك بجدك؟ ومـا المبادئ والافكار التي تحملها مـن ارث غانـدي؟

عشـت مـع جدي عامـين عندمـا كنـت فـي الثانيـة عشـرة مـن عمـري وكان يحكي لـي يوميـا قصصـا ودروسـا وهـو مـن علمنـي أن فلسـفة اللاعنـف صممـت كـي تحـل محـل ثقافـة العنـف التـي يعتمـد عليهـا البشـر مـن قـرون طويلـة. وهـي الثقافـة التـي تسـربت بعمـق فـي ارواحنـا بحيـث اننـا عندمـا نواجـه أيـة ازمـة نريـد ان نحلهـا بعنـف. ثقافـة العنـف هـذه اخـرجـت اسـوأ السلوكيات فـي الجنس البشـري الانانيـة الغضب الجشـع الاحبـاط وغيرهـا. بـدلا مـن تعزيـز قيـم نبيلـة مثـل الانسـانيـة والتحضـر واصبـح العنـف ينتشـر ويدمرهـا مثـل الـورم السـرطـانـي.

كان جـدي يؤمـن بـأن ثقافـة اللاعنـف هـي السـبيل الوحيـد الـذي يمكـن ان ينقذنـا مـن تدميـر الـذات. فسياسـته كانـت مبنيـة علـي الحب والاحتـرام والتفهـم والتقديـر لكل البشـر وكل المخلوقـات. وقـد ادرك انهـا



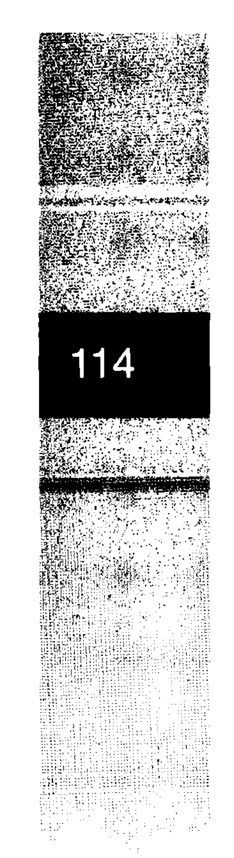
تخرج اجمل ما في البشر فنحن لا ننظر للآخرين ككائنات مختلفة عنا ولا ننظر لأحد مطلقا علي انه عدو فكلنا بشر جمعنا القدر في هذه الحياة بعضنا يخطئ وواجبنا أن نغيرهم من خلال الفهم والحب.

❖ لماذا في رأيك يحب الناس غاندي حتى يومنا هذا؟

عندما تحبين الناس فهم يبادلونك نفس الشعور وإذا كرهت الناس تأكدي أنهم سيكرهونك، وجدي كان يحب كل الناس وحياته كلها كانت مبنية علي حب واحترام الجميع.

❖ ماذا كان شعورك عندما سمعت بخبر اغتيال جدك علي يد أحد المتطرفين الهندوس؟

اول شعور انتابني هو الغضب الشديد وكنت اريد قتل الشخص الذي قتله ولكن والداي ذكراني بالدروس التي علمها لي جدي وما كان يدعو له من مبادئ



للحب والاحترام وعلماني كيف احول مشاعري السلبية إلي مشاعر ايجابية وكيف انني اسامح هذا الشخص وكيف اكرس حياتي لمحاربة هذا النوع من العنف المجنون حتى لا يكون له وجود في الحياة.

❖ وما أهم المبادئ التي جاءت في فلسفة اللاعنف كما علمها لك غاندي؟

الخطوة الأولي تكون بالتحرر من الخوف والخطوة الثانية هو ألا تنتظر حتى يتحول الموقف إلى أزمة قبل أن تنطلق حملات المعارضة. والشيء الأهم في هذه الفلسفة هو عدم استفزاز المعارضين لفكرك لأن الأساس ألا تسبب الأذى لأي أحد بأي صورة. فالهدف ان تخرج الجانب الطيب في معارضتك.

❖ عملك ككاتب صحفي في صحيفة «ذا تايمز اوف انديا» أظهر تأثرك بسياسات غاندي الايجابية في كل مقالاتك؟

لقد تخصصت في الاقتصاد الاجتماعي والعلوم السياسية وكتبت عن هذه القضايا برؤية ايجابية كي أعلم القراء نبذ فكرة التحريض التي قد يجدونها في مقالات كتاب آخرين.

❖ كعائل لرمز من رموز العالم الحديث.. من يشبه غاندي في أفراد عائلتك الآن؟

لا يمكن ان يكون هناك احد في عظمة ومكانة جدي ولكن كل فرد من عائلتي به شئ صغير منه فكل منا يحاول نشر السلام في العالم من موقعه أيا كان.

❖ لماذا أسست معهد لسياسة اللاعنف في الولايات المتحدة الامريكية وليس في وطنك الهند؟



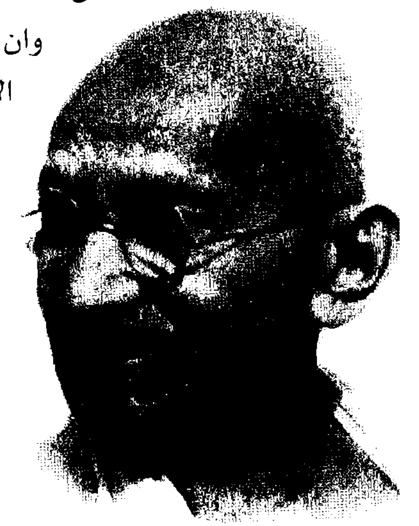


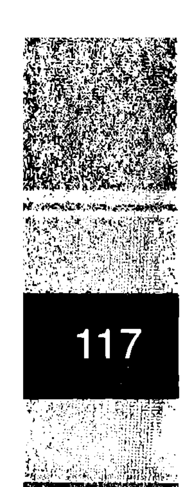
كان هناك العديد من الاشخاص الذين بدأوا فـي تأسيس معاهد مبنية علي مبادئ جدي فـي الهند وقـد قـررت أن اذهـب لأمريكا لأنـنـي اعتقد بأنها قـوة خارقـة فـيما يخص التفوق العسكري ولكني أؤمن بأنها يمكن أن تصبح قـوة عظمـي برصيدهـا الاخلاقـي اذا أمنـوا بسياسـة اللاعنـف فبإمكانهـم المسـاعدة فـي ان يصبـح هـذا العالـم مكان افضل لكل البشـر.

❖ في عام 2008 نشرت مقالة في «الواشنطن بوست» اغضبت يهود امريكا وكانت سببا في اقالتك من المعهد القائم علي فكر غاندي. حدثني عن هذه التجربة ورأيك في يهود أمريكا وتأثيرهم علي السياسة الأمريكية؟



اليهود لهم تأثير قوي علي السياسة الامريكية وعلي الحكومات المتعاقبة وكنت اتمني ان يكون ما كتبته بذرة لبدء الحوار من اجل التغيير ولكن بدلا من ذلك تصرف اليهود بغضب شديد وسعوا للانتقام. وهذا جزء من ثقافة العنف التي تربوا عليها. من السهل أن نقسم العالم نصفين للخير والشر الاصدقاء والأعداء وان نسعي لتدمير الأعداء حتى لا يبقي في العالم غير الاصدقاء. ولكن الحياة لا تسير بهذه الطريقة. اذا كنت تعيش بالسيف سوف تموت بالسيف هذه مقولة مهمة جاءت في الكتاب المقدس الذي يتجاهلونه. ستون عاما من العنف لم تحل القضية ولكنها زادت من عدد الاعداء. وأملي الوحيد في مرحلة ما ان يبدؤوا في رؤية الحقيقة.





❖ قمت بزيارة الضفة الغربية من قبل.. كيف تري القضية الفلسطينية؟ وكيف يمكن للفلسطينيين الحصول علي حقوقهم المسلوبة في ظل العنف الاسرائيلي والجرائم التي يرتكبها المحتل كل يوم؟

في ظل سياسة العنف قمنا جميعا بسرقة حقوق وامتيازات الكثير من الناس في الماضي. الهند مثلا اضطهدت ما يقرب من 150 مليون شخص وعاملتهم كالمنبوذين، كل دولة لها تاريخ حزين من الاستغلال والتطهير العرقي والعنف.

ونحن لا يمكننا ان نعيد كتابة التاريخ ولكن يمكننا اعادة صنع التاريخ بدلا من ان نضيع وقتنا في الصراع والقتل يمكن ان نحقق اشياء كثيرة اذا حاولنا تجاوز الاختلافات فيما بيننا بسلام.

الفلسطينيون لهم حق في ان تكون لهم دولة واسرائيل لها الحق في ان تعيش. ما نحتاجه هو ان نبحث عن صيغة تمكننا من الحياة معا بسلام. فمن المستحيل ان تدمر احدا دون ان تدمر نفسك في نفس الوقت. لذا انا آمل ان تسود اجواء افضل وان يتم ايجاد حلول سلمية لهذه القضية.

❖ رغم أن الهند دولة متعددة الاعراق والديانات ومع ذلك حافظت علي وحدتها السياسية لماذا؟

الهنود في الأساس يحترمون كل الأديان وكل العقائد لذا فالسبب في تقبلهم لأي من كان يقود البلاد نابع من معرفتهم بقيمته كإنسان أي أننا لا نختار علي اساس ديني أو عقائدي.





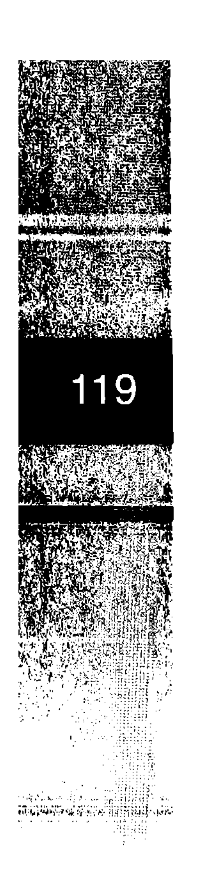
❖ **هل مازالت الهند تتذكر غاندي؟**

علي المستوي الرسمي ومستوي الصفوة يحتفلون بغاندي في ذكري ميلاده وذكري وفاته، اما البسطاء فهم يعشقونه وبطريقة ما تجدي الآلاف من الناس يستخدمون فلسفته في الحب أملا في أن يغيروا العالم.

❖ **أنت تنادي بالحب في كل شيء ولكن كيف يمكن للحب ان يعيش الآن في عالم ملئ بالحروب وقوانين عقيمة وضعت لخدمة مصالح الدول الكبرى على حساب أصحاب الحقوق؟**



عندما يبدأ الناس في فهم جوهر سياسة اللاعنف ستأتي الفرصة. ولكن كلما استخدمنا هذه السياسة كأداة لحل النزاعات يمكن ان يساعد ذلك بصورة مؤقتة. الامر يشبه علاج السرطان عندما نستأصل



الجزء المصاب بالورم. ولكن اذا لم نعالج المشكلة من أساسها ونبدأ من المصدر ستستمر المشاكل في العودة مرارا. لذا يمكننا ان نعالج صراعا باستخدام العنف مؤقتا ولكن لأننا لا نتعامل مع اصل المشكلة نتوقع أن تظهر من جديد.

❖ وكيف يعم السلام عالما مليئا بالحروب والصراعات؟

منذ قرون طويلة ونحن نحاول ان نصنع السلام ومرات فشلنا اكثر بكثير من مرات نجاحنا والسبب أن السلام ليس ان نمنع العنف الجسدي فقط. فلا يوجد دولة تستطيع ان تدعي انها في حالة سلام لأنها لا تخوض حرباً مع احد. الطبيعة البشرية علمتنا ان نمارس العنف بأشكال عدة سواء عنف جسدي او عنف لا جسدي وهو النوع الاكثر خطورة لأننا ننفذه بقصد وبدون قصد والذي يسبب الغضب الذي يؤدي بدوره للعنف الجسدي.

ثقافة العنف أدت إلي تآكل العلاقات بين البشر فالجميع اصبح أنانيا ومتمركزا حول ذاته. واذا لم تتواجد في حياتنا علاقات مبنية علي الاحترام والفهم والتقدير فلن يكون هناك انسجام. وغياب الانسجام في البيت والعمل والمجتمع والدولة يعني انه لن يكون هناك سلام. فالسلام الذي تحدث عنه غاندي اساسه الاحترام والحب لكل المخلوقات مهما كانت مواقفهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

❖ من وجهة نظرك ما هي مواصفات القائد الجيد؟

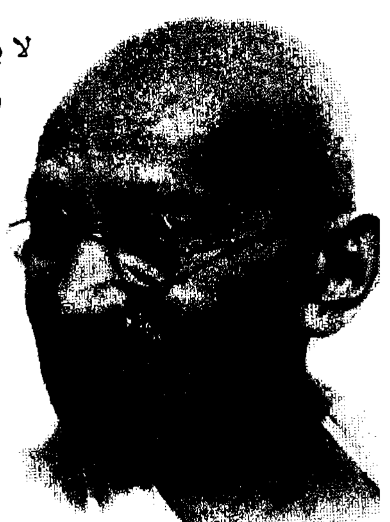
القائد الجيد هو من يشجع الناس علي ان يكتشفوا مصدر قوتهم وليس من يتخذ القرارات فقط. ووفق فكر غاندي المادية والاخلاقية لا يمكن ان يجتمعا في





قائد واذا وجدت صفة من هاتين الصفتين في قائد لن تجد الاخرى. ولكن للأسف الناس الآن فكرها مختلف ففي الزمان الذي نركض فيه وراء المال يعتقد كثيرون أن القائد الجيد هو من يحقق مكاسب مادية بغض النظر عن الاخلاقيات.

❖ من تتوقع أن تكون القوي العظمي الجديدة في العشرين عاما المقبلة؟



لا يهم من سيصبح الاقوى علي مستوي التفوق العسكري ولكن المهم هو من سيظهر القوة الاخلاقية القادرة علي ان تجعل العالم مكانا افضل. فالحكومات تنفق اموالا طائلة في شراء وصنع اسلحة الدمار الشامل وهو ما سيجعلها تنجح بكل تأكيد في تدمير البشرية كلها.

انتهى اللقاء مع راج موهان حفيد غاندي



تشارلز روجزمان يقابل حفيد غاندي

يتابع آرون غاندي مسيرة جده التي تدعم اللاعنف. أثناء وجوده في باريس، قابل تشارلز روجزمان، مبتكر العلاج الاجتماعي الذي يعمل منذ 30 سنة في مجال مكافحة العنف. كيف يمكن إعادة السلام إلى العلاقات بنظرهما؟ الإجابة من «باري ماتش».

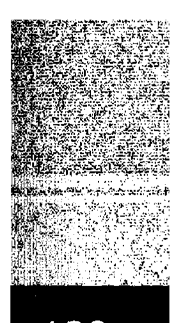
وقد دار بينهما الحوار التالي:



هل تعرّضتما شخصياً للعنف في حياتكما؟



❖ تشارلز روجزمان: كانت طفولتي غارقة في العنف. جرى ترحيل أشقائي الأربعة وأجدادي وأكبر جزء من أفراد عائلتي وقد قُتلوا على يد النازيين. هذه الأحداث هي التي وجّهت خياراتي المهنية. لذا قررتُ





تكريس حياتي لمكافحة العنف من خلال ابتكار هذه الأداة التي تسمى «العلاج الاجتماعي».

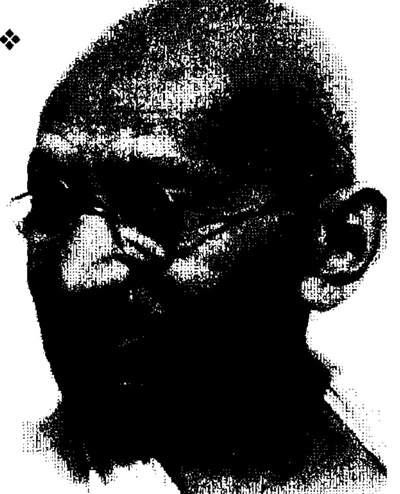
❖ آرون غاندي: عشتُ في مراهقتي في ديربان، في إفريقيا الوسطى، وقد تعرضتُ للاعتداء والضرب والإهانة بسبب بشرتي الداكنة. هذا ما عزز مظاهر العنف ضدي. لذا قرر والداي أن ننتقل للعيش مع جدي في الهند.

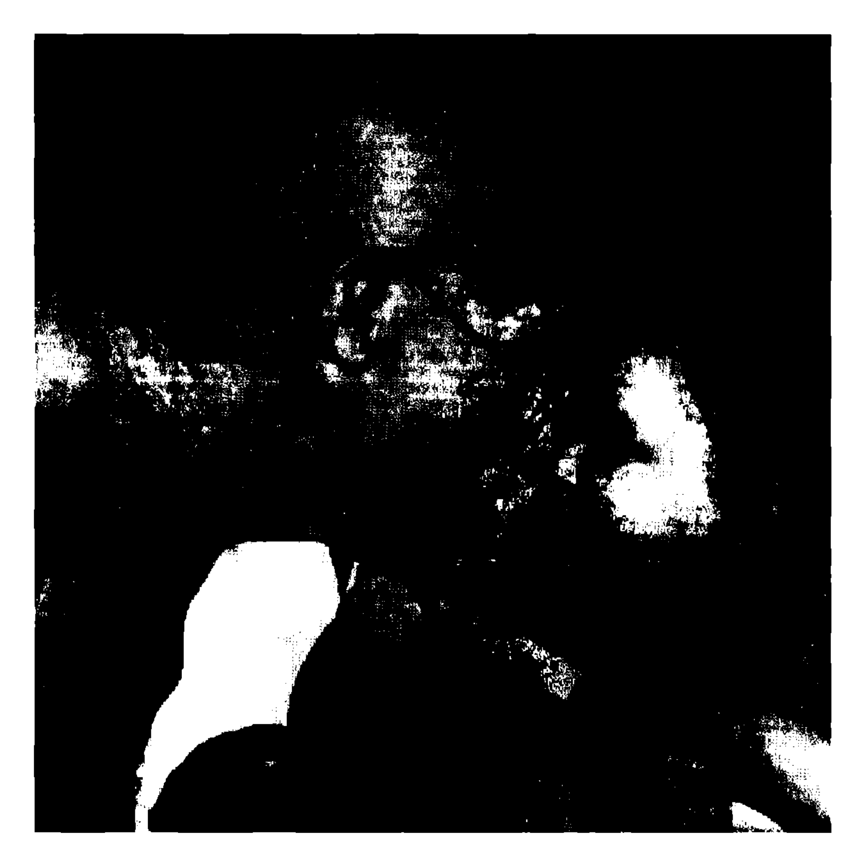
ما الذي تعلمته من جدك؟

❖ آرون غاندي: سبب العنف الأساسي ينبثق منا ومن الغضب الذي يعمينا. نحن نتعلم القتل واستعمال العنف بدل نشر السلام. علّمني جدي أن الغضب يشبه الكهرباء: هو يبقى مفيداً ويعطينا الطاقة ما دمنا نستعمله بالطريقة الصحيحة، لكنه يصبح مدمّراً حين نسيء استعماله. يجب أن يكون مصدر طاقة في خدمة الإنسانية.

لكن كيف يمكن استعمال الغضب بالشكل المناسب؟

❖ تشارلز روجزمان: يجب أن نتعرف إليه. يدرب المعهد الذي أديره الناس على تحويل العنف. على مر الجلسات العلاجية، يتعلمون الاعتراف بوجود الغضب في داخلهم، ما يسمح لهم بتحسين علاقاتهم مع الآخرين. نقع جميعاً ضحية العنف. ولإعاقة هذه العملية، يجب أن نحدد الطريقة التي تعرّضنا فيها للأذى. من خلال فهم معاناتنا، يمكن أن نستعملها بطريقة إيجابية.





❖ آرون غاندي: وحده التعليم يمكن أن يحسن الوضع. لكننا نتعلم للأسف أن نحقق النجاح بدل تحسين نفسنا. يكبر الأولاد اليوم من دون أن يكتشفوا الجانب الإنساني فيهم، لذا لا يجيدون تطويره. يتعلمون أن يصبحوا علماء أو اقتصاديين بارعين، لكنهم لا يجيدون نسج علاقات حسنة مع الآخرين. يجب أن نبدأ بتغيير أمر بسيط: العنف اللفظي. يجب أن نتنبه إلى سلوكياتنا. كان جدي يشرح لي الفرق بين العنف الضمني والعنف الجسدي. وكان يشجعني على القيام بفحص داخلي

كل مساء: ما الذي فعلتُه كي أفيد الآخرين؟ أي سوء ارتكبته؟ كان يطلب مني أن أدوّن على ورقة أعمال العنف الضمنية والمباشرة التي ارتكبتها. ساعدتني هذه الخطوة مع مرور الوقت للتعرف إلى نفسي وتحديد الجوانب التي يجب تعديلها.

ألا يُعتبر نشر اللاعنف هدفاً سريالياً في عالمٍ يطغى عليه العنف؟

❖ آرون غاندي: اللاعنف هو مبدأ يجب أن ينجح ويمكن أن ينجح كل يوم لأنه مبني على الحب والتفاهم والاحترام. نحن نقدّر هذه القيم مع أن الجميع يعتبرونها اليوم بلا معنى. لكن من خلال التفكير بهذه الطريقة، سنصبح جزءاً من هذه العملية. صحيح أننا نتربى على ثقافة العنف لكني تعلّمتُ من جدي ضرورة أن نغير نفسنا للدخول في ثقافة اللاعنف.

❖ تشارلز روجزمان: أؤيد هذه الفكرة طبعاً. اللاعنف مبدأ يجب تطبيقه لأن العنف جزء من حياتنا. يعني العنف أيضاً الإهانة وإشعار الآخرين بالذنب واللامبالاة. منذ زمن غاندي ومارتن لوثر كينغ، كان النضال يحصل في وجه سلطة منظمة ومحددة. أما اليوم، فقد أصبح مفهوم السلطة أكثر غموضاً بسبب العولمة. وهذا ما ينشر الخوف ويجازف بتعزيز الكره لدى الجميع. لذا يجب أن يتغير مفهوم اللاعنف ولا يجب الاكتفاء بمحاربة أصحاب السلطة الذين يُعتبَرون مرتكبي العنف الوحيدين.



ما هي وجهة التغيير بحسب رأيكما؟

آرون غاندي: في الماضي، كنا نتكلم عن اللاعنف الجسدي كرد فعل على الحروب والمعاملة السيئة... اليوم أصبح العنف الضمني أقوى من العنف الجسدي. يتمثل بالانتهاكات ونهب الموارد واستغلال الشعوب ولكنه لا يستعمل القوة بل يزيد غضب الضحايا الذين يستعملون العنف بدورهم لتحقيق العدالة. نعرّض نفسنا لعنف ضمني مثل الضغط النفسي والقلق.

يكمن اللاعنف الحقيقي في خوض تحول ذاتي من خلال إدراك العنف الضمني الذي نستعمله ضد الآخرين. يتمثل أسوأ نموذج بالنزعة القومية، أي حين نفتخر ببلدنا ونستثني بقية العالم. يجب أن نحمل رؤية عامة ونبتكر مفهوم، عولمة الأرواح، ونطلق عولمة فلسفية لأنها أهم من العولمة الاقتصادية.

هل يُعتبر تطوير التأمل الواعي مصدر أمل؟

❖ آرون غاندي: نعم. إذا تصالحنا مع نفسنا، سنتصالح مع الآخرين.

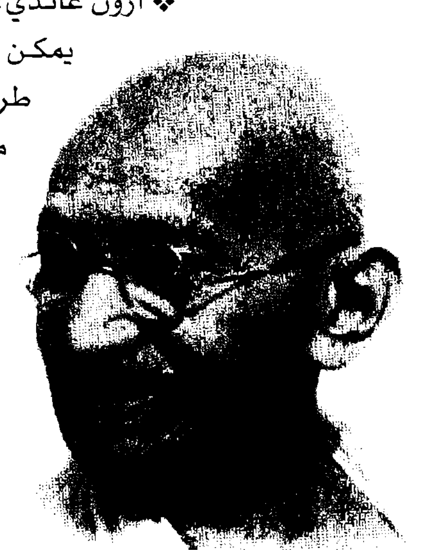
❖ تشارلز روجزمان: لكن لا يبلغ عدد كبير ممن يمارسون التأمل مرحلة الشفاء من عنفهم الداخلي، وهم لا يدركون ذلك.

الصراع والعنف

ما الفرق بين الصراع والعنف؟ ألا يحملان المعنى نفسه؟

❖ آرون غاندي: لا. بعض الصراعات يكون سلمياً مثل صراع الأفكار. يمكن أن تختلف آراؤنا من دون أن نلجأ إلى العنف. لدي طريقتي في التفكير وأنت لديك طريقة أخرى ونحن جميعاً مختلفون. أما العنف، فيعني عدم تقبل أي رأي مختلف.

❖ تشارلز روجزمان: بالنسبة إلي، يسمح الصراع الحقيقي بتحويل مسار العنف. في مواقف العنف، أرفض وجود الطرف الآخر وأنظر إليه بازدراء وكره. لكن في الصراع، قد أعارضه لكني أتقبّل موقفه.





في بعض الحالات، لا يمكن التمسك باللاعنف ونضطر للتحرك عبر استعمال العنف...

❖ تشارلز روجزمان: نعم، أمام جنون البعض، يجب أن نحمي نفسنا. لكننا لا نتصرف بعنف في هذه الحالة بل نستجمع قوة القتال الرورية للدفاع عن نفسنا. قد يصل الوضع إلى حد إعلان الحرب، لكن للحرب قواعدها.

❖ آرون غانـدي: لا أوافـق تمامـاً. يجـب أن ندافـع عـن نفسـنا حتمـاً، كمـا حصـل بعـد اعتـداءات 11 سـبتمبر. لكـن حـين أعلـن الرئيـس بـوش الحـرب علـى العـراق فـي عـام 2003، لـم يكـن قـراره دفاعـاً عـن النفس. بـل إنـه عمـل انتقامـي.

حـين كنـت فـي الثانيـة عشـرة مـن عمـرك، طلـب جـدك مـن العائلـة كلهـا أن تمتنـع عـن الأكل طـوال سـبعة أيـام بسـبب السـكاكر التـي سـرقتها. إنـه سـلوك عنيـف جـداً، أليـس كذلـك؟

❖ آرون غانـدي: لا، لا أظـن ذلـك. فـي ثقافـة اللاعنـف، لا يعاقـب الأهـل أولادهـم بل يجعلونهم يتوبون عن أخطائهم. كان والدي يطبق هذا المبدأ. لكـن ثمـة نوعـان مـن الشـعور بالذنـب: أحدهمـا إيجابـي والآخـر سـلبي. يشـتق الذنـب السـلبي مـن اللـوم الـذي نتلقـاه. لكـن حـين يتحمـل والـدي مسـؤولية تصرفاتـي ويحثنـي علـى فهـم العواقـب ويعطينـي فرصـة التوبة، يسـمح لـي بتغييـر سـلوكي. هـذا هـو شـعور الذنـب الإيجابـي.

❖ تشـارلز روجزمان: أوافق على وجود هذين النوعين من شـعور الذنب. لكنـي أظـن أنهمـا يعكسـان أقصـى حـدود اللاعنـف مثـل الشـخص الـذي يُشـعِر الآخريـن بالذنـب أحيانـاً ويهينهـم عبـر التعامـل معهـم بفوقيـة. مـا فعلـه جـدك سـلوك عنيـف بنظـري.

«يضحكان» اتفقنا على ألا نتفق!... انتهى الحوار

وفـي تصريـح جميـل لحفيـد غانـدي يقـول فيـه:

أخشى على الإنسانية من العنف المنتشر في العالم

أجـرت صحيفـة لـو فيجـارو الفرنسـية مقابلـة مع أرون غانـدي حفيـد الزعيـم الهنـدي الراحـل المهاتما غانـدي، رسـول اللاعنـف ووالـد الأمـة الهنديـة.







وقال غاندي الحفيد إنه أصبح يخشى على الإنسانية جمعاء من العنف المنتشر بكثرة في كل بقاع الأرض.

ونوه حفيد الزعيم الهندي أن أصل رسالة «غاندي» كانت الابتعاد عن العنف الذي يكمن في دواخلنا كبشر، ويشير بقوله «علينا دوما ممارسة اللاعنف من خلال استخدام الرحمة تجاه الجميع»، مسترشداً بقول جده «يجب أن يصبح اللاعنف وسيلة للحياة وهذا ليس معطف يمكن ارتداءه في وقت وتركه في وقت آخر، إنها طريقة حياة».



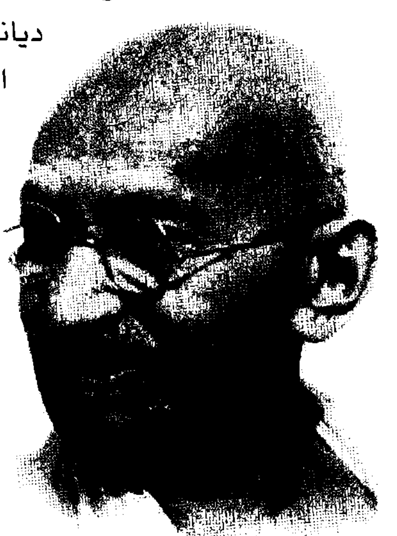
وبشأن الحروب المنتشرة في الشرق الأوسط يقول غاندي الحفيد «أصبحت أخشى على الإنسانية إذ يسعى البعض في استغلال وسائل كثيرة منها الدين للسيطرة على الآخر، إننا نشهد أسوأ أشكال العنف من عنصرية واضطهاد وحروب وهولوكستات تمارس باسم الله على كل الجبهات».

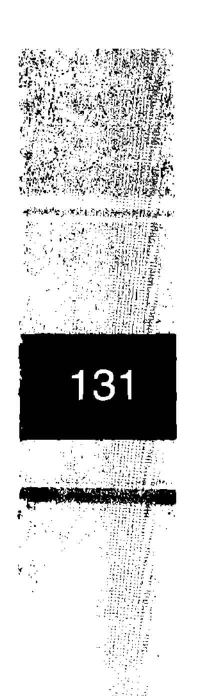




وأضاف بقوله «عمل جدي كثيراً لجمع الناس على اختلاف دياناتهم، وجهوده شجعت الكثير من المسلمين على الشجاعة والثقة للبقاء والعيش في الهند على الرغم من قيام دولة المسلمين في باكستان»، معربا عن اعتقاده وإيمانه بالطبيعة غير العنيفة للإسلام.

انتهى اللقاء.





غاندي بعيون الكُتاب والمؤرخين:

ملاحظة:

«تلك المقالات تعبر عن آراء كاتبيها وليست آراء معد هذا الكتاب أو دار النشر

وللقارىء حرية أخذ ما يراه صائباً ورد ورفض ما يراه خاطئاً، وقد يكون ما يراه صائباً خاطئاً وما يراه خاطئاً هو عين الصواب.

غاندي.. فن تحويل المعاناة إلى سلاح فعال

سيرة فيلسوف اللاعنف وسرّ قوته الأسطورية في سيرة جديدة لمؤرخ أميركي نامق

آلام غاندي: حياة وتراث المهاتما غاندي

المؤلف: ستانلي ولبرت **الناشر:** جامعة اوكسفورد 2001

بعد مضي نحو نصف قرن على اغتياله عام 1948م لم يزل العالم حتى الآن غير قادر على رسم خريطة دقيقة وواضحة عن اكثر شخصيات القرن العشرين أهمية وغموضاً: المهاتما غاندي.

دائماً ما يتبادر إلى ذهن المرء عند تأمل شخصية غاندي السؤال التالي: كيف استطاع هذا الرجل النحيل الجسد، الصعب المراس والمسلح فقط بالإرادة والطاقة

التي لا تنفد في ان يتحول من محام قروي بسيط وغير مستقر إلى رجل سيطر على الحياة السياسية الهندية لأكثر من اربعة عقود من الزمن استطاع ان يتحدى ويدحر اكبر امبراطورية في القرن العشرين، الامبراطورية البريطانية، بلا شك ان الذي احدث هذا التحول هو قابلية غاندي وتصميمه على خلق ذاته بنفسه أو كما عبر هو عن ذلك افتتانه بـ «تجارب» العيش.

قد شحذ قابليته هذه وتجاربه عبر ثلاثة ميادين متميزة عاش حياته فيها: انجلترا حيث وصلها عام 1888م وهو في التاسعة عشرة من عمره وامضى فيها ثلاث سنوات، وجنوب افريقيا التي عاش فيها بين عامي 1893 و1914م واكتشف فيها قواه السياسية، ثم الهند التي عاد إليها عام 1915 لكي يصبح «الدينمو» الاخلاقي والعقل الحكيم لماكنة حزب المؤتمر الهندي الهائلة.

تعلّم غاندي مبكراً كيف يُزعج خصومه ان كان الجنرال سموتي في جنوب افريقيا أو اللورد ولينغتون في الهند وذلك من خلال محو الحدود بين الحياة العامة والخاصة. وكما يرى غاندي، فان الحياة السياسية الحديثة التي تجذرت صورها في ذاكرته تضم كل شيء مثل «لفة الافعى» حيث دقّت اسفينا بين الاخلاق الخاصة والنشاط السياسي العام. لذلك فان التوفيق بينهما ثم «سحب السُمّ من الحياة السياسية الحديثة» كان يعني تحول غاندي تحولاً داخلياً جذرياً. ولكي يمارس العمل السياسي كان عليه ان يعرض اكثر افكاره جوهرية وادق التفاصيل الخاصة بها واستخدام هيكله الجسدي الواهن كإبرة باروميتر يستطيع الجميع عند تأرجحها قياس مصداقية الامبراطورية الاخلاقية.





كانت جميع نشاطات غاندي مشبعة بالفعل السياسي: نظام حميته، ايقاعات امعائه، ضيق حالته الحسية، تعرضه للحمى، مزاجه القاتم، غزل نسيج ملبسه، مشيته، اغناؤه لالتقاط حفنة ملح وحتى صمته كلها أصبحت مصادر احاديث الناس والهامهم. اخيراً كانت مسألة مواجهة سياسات «هذا الدنيوي الداهية» تعني «تخفيف سرعة سفينة الامبراطورية البريطانية وبالتالي فقدان السيطرة عليها وتحطم أشرعتها».

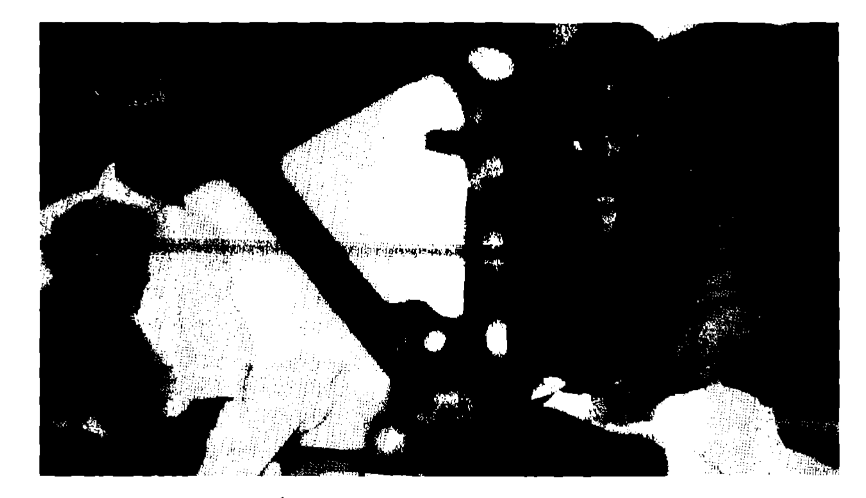
عاش غاندي حياته مثل حكاية مسرحية حرص على إعادة روايتها من خلال كتاباته الكثيرة والتي تربو على اكثر من مائة مجلد وبخاصة سيرة حياته التي نسجت بعناية قصة البحث عن الهوية القومية مترافقة مع البحث عن الخلاص الروحي غلف غاندي نفسه بغلاف غامض يصعب اختراقه في كثير من الاحيان، وكان تأثيره واضحاً وصريحاً فيما هو يتبنى غموضاً متعمداً ومدروساً في انتقاء مصطلحاته وتعبيراته وذلك لكي يدع الآخرين يقرأون آمالهم ومخاوفهم من خلالها: الفلاحون الهنود والنخبة، السياسيون البريطانيون والشعب وكذلك الرأي العام العالمي.



من دون ريب ان الكتابة عن غاندي تعني السيطرة على تفاصيل اكثر الاساطير تعقيداً في التاريخ الحديث إلى جانب دراسة واستيعاب عدة مصادر دينية وفلسفية انتهل منها غاندي مفاهيمه ثم التصدي لحساسية سيكولوجية غير اعتيادية داخل عزلة هذا الرجل الشعبي جداً. وستانلي ولبرت كاتب هذه الدراسة هو مؤرخ امريكي قديم ترجع علاقته بالهند إلى زمن اول زيارة قام بها إليها وذلك بعد اسابيع قليلة من مصرع غاندي. ومثل كثيرين غيره ممن يودون القاء مزيد من الضوء على شخصية غاندي بحث ستانلي عن مفتاح يستطيع بواسطته حل لغز شخصيته فوجد ان هذا المفتاح يكمن في مفهوم «العذاب» الذي يتضمن كلا المعنيين: المعاناة والرغبة.



يحيل ستانلي سلوك غاندي «الذي يبدو غريب الاطوار أو لافتاً للنظر» إلى تقاليد التضحية الدينية ونكران الذات، ثم يناقش ان غاندي يهدف إلى أن يجسد في ذاته معاناة الآخرين لذا فقد حوّل نفسه إلى «شعلة منيرة.. أو مرجل للألم» وفي نفس الوقت يهدف إلى اخضاع وتحويل المه احياناً بشكل مرضي واسقاطه على



اولئك الذين يحيطون به مثل زوجته المهملة جداً وابنه الاكبر ثم ابنة اخيه. استخدم ولبرت في ببليوغرافيته هذه تقنية كان قد استخدمها في ببليوغرافيته عن جواهر لال نهرو تتألف من ربط لمحطات حياة غاندي وفقرات أو نصوص مقتبسة من كتابات شخصيته وتقديمها على شكل بحث أو تسلسل ببليوغرافي. وعلى هذا الاساس اعتمد الكاتب كثيراً على كتابات غاندي المختارة واستخدم ما يقرب من 800 مرجع وكذلك على كتاباته المنشورة نفسها، التي تقدر بخمسين مرجعاً. بنفاذ بصيرة ادرك غاندي اهمية تحويل المعاناة إلى سلاح قوي وفعال. لكن هذه المعاناة نمت من داخل حالته كموضوع استعماري. وكما يروي نفسه بان حياته تميزت بالخوف والارتجاف والخجل وعدم القدرة على الكلام وعلى خلاف نظرائه من نخبة الهنود الذين كانوا اجتماعياً اكثر مرونة مع حكامهم، فان مفاهيم وسياسات غاندي انبثقت من ممارسة فعل الاذلال الفيزياوي الذي استطاع بمهارة ان يستخلص منه اعظم الطاقات الخلاقة.

انتهت مقالة ستانلي ولبرت.

حزن المهاتما

بقلم صالحة عبيد: كاتبة إماراتية. عضوة برابطة أديبات الإمارات. عضوة باتحاد كتاب وأدباء الإمارات. عضوة مؤسسة في لجنة نون بندوة الثقافة والعلوم في دبي.

صدر لها: زهايمر نسخة عربية وأخرى ألمانية، ساعي السعادة، شقائق الحلم وآيباد « الحياة على طريقة زوربا ».

تقول الاستاذة صالحة في مقالها:

أغلبنا يذكر أول ما يذكر عن المهاتما غاندي صورته بابتسامته الوادعة المستبشرة.. أو تلك الأخرى المتأملة بسكون ساهم يحمل معه الفكرة.. لكن.. ماذا عنها؟.. تلك الفكرة.. وهنا سيذهب أغلبنا بتكهناته إلى سياسة غاندي القائمة عن مبدأ اللاعنف وكيف أنه يتأمل إخراجها من حيزها الأثيري إلى الواقع التطبيقي.. لكن القلة تدرك أن أكثر ما أرق غاندي في أيامه الأخيرة هو عن مدى كون سياسة اللاعنف واقعاً فاعلاً حقاً ومستمراً.. وعن مدى أن الفكرة الهاجس تبقى هاجساً مقلقاً حتى في خضم تجاوز مراحل تطورها ونموها لتتجسد أخيراً ككيان.. كالطفل يستمر قلقك عليه وإن نضج وأصبح قادراً على اختيار طريقه عن وعي ورشد.

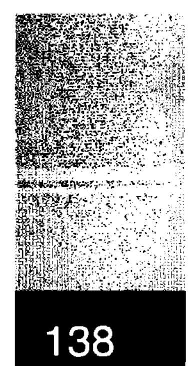
يخيل لي أحياناً أن ذاكرة العالم عن غاندي تتوقف عند تحقيق هدف استقلال الهند على بعد تطبيق المهاتما لفكرة المقاومة السلمية.. لكنها لا تمتد لتذكر الأسى الذي استشعره المهاتما في آخر أيامه بعيد البدء في تأسيس طريق سياسي للكيان الهندي مع الأحزاب



المحلية.. إذا لحظ أن مبدأ اللاعنف أخذ ينتقل من كونه إيماناً نابعاً من نواة فردية لتصبح مجرد محاولات اقتباس وتتبع لخطوات روتينية قد تصطدم أمام أول مواجهة تتحدى اختيار الإنسان لمبدأ الغريزة وهو العين بالعين أو القفز فوقها بالذهاب نحو اللاعنف خياراً وطريقاً..

هذه الملاحظة ومحاولة مقاومتها هي السهم الذي قد يكون أفضى إلى نهاية المهاتما المأساوية تلك على يد أحد أبناء عقيدته ممن لم تختمر بذهنهم وداخلهم فكرة اللاعنف بشكل تام بعيداً عن التقليد المتبع الذي لا يتخلله إيمان راسخ.

إن أجمل تساؤل مر بي قبل أيام حول سياسة غاندي اللاعنفية كان حول أن المهاتما لحظة اختار اللاعنف وسيلة لمسلك قضيته، هل فعل ذلك نظراً لاختلال ميزان القوى بينه وبين الاستعمار البريطاني فكان يسير نحو قضيته مهادناً أم أنه كان محباً حقيقاً



للإنسان الإنجليزي.. كإنسان يدرك أنه يحمل خلف قسوته الظاهرة وبطشه مقومات أخرى يتشارك بها مع الإنسان الهندي مادياً ومعنوياً؟ التساؤل الذي يأخذك للتعمق في مختلف ما تتبعه من قناعات ومبادئ وفضائل هل تسعى لها بناءً عن اختيارك الخاص بدون أي مؤثرات خارجية تتبع سياسة الجماهير حول ما يتم الإجماع عليه أو رفضه..

وبمعنى أدق بحالة ذهنية صافية تدرك أن طريقها مبني على انسكاب باطني للمبدأ في نواة الروح وليس مجرد ممارسات سلوكية عامة.. كالدارس على مضض طمعاً في العلامة الكاملة.. وعلى النحو ذاته كان غاندي هو الذي أشار إلى أنك إن آمنت بأن العنف هو طريقك لنيل حقك فاتبع ذلك الطريق وتحمل وحدك ما ستنتهي إليه الأمور.. إذ إنه كان قد استنبط مدى الضرر الكبير للتقاليد السطحية على المدى البعيد متى ما وصلت تراكمات عدم الإدراك العميق إلى نقطة الانفجار.. حيث يصبح عندها تمييز الفضيلة من عكسها مستحيلاً والعدو من الصديق سيكون أمراً منوطاً بالفكرة الأنانية للذات بعيداً عن مصلحة أي قضية أو إيمان.

يحدث أنك في سبيل تجنب الفراغ تشغل نفسك بفراغ أعظم.. أنت تقرر أن يشغلك ذلك الفراغ متى ما رأيت أن الممارسات الخارجية المنوطة بعقلك الواعي فقط هي سبيلك لتحقيق ذاتك.. تقرر أن تساعد لأنها إحدى الفضائل أو طريق الجنة المضمون كما يشاع، لكن ماذا عن تعمقك في فحوى المساعدة عن قيمة المساعدة الأكبر بعيداً عن سطحيات المادة.. في إيجاد الطريق الحق الذي يحفظ للطرف المقابل كرامته وإنسانيته.. بعيداً عن أي زيف أو تزلف أو نفاق.



خاتمة القول.. كل قضية لا تغذيها الشعارات والإجراءات



الروتينية المعتادة في السبيل إلى تمثيلها بشكل يليق بالأعمال الدرامية أكثر من الواقع.. الواجهة المصقولة لا تعبر عن روح أي فكرة، لكن تشكل الفكرة الحق هو في انحناءات الغبار والنتوء والحفر.. حيث تعرف أنك قطعاً لن تعود بدون أن تضحي بشيء ما مقابل قيمة أكبر.. الحب اختبار والكره أيضاً اختبار وبينهما أنت في منتصف الطريق تجابه وتواجه قبل أن يتراكم فيك ما يؤهلك فعلاً لأن تختار الخطوة التي تعبر عما بين عقلك وقلبك من هموم وهواجس ورؤى.

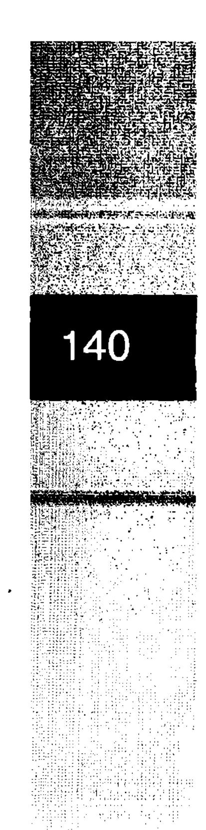
انتهت مقالة الأستاذة صالحة عبيد.

غاندي المتمرِّد: ملحمة مسيرة المِلْح

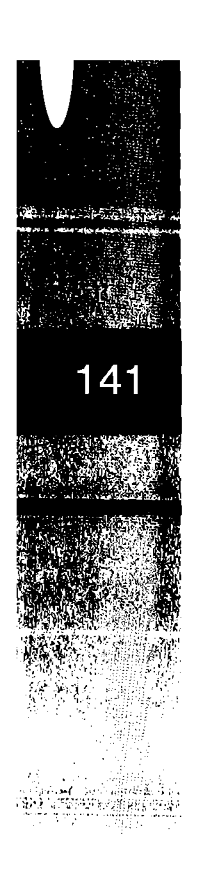
بقلم: جان ماري مولِّر


جان ماري مولر

بعد خمسين عاماً مضت على رحيل غاندي اغتيلَ في العاشر من كانون الثاني/يناير 1948 يبدو أنَّ البشريةَ لم تسمعْ رسالةَ اللاعنف التي أرادَ أنْ يقدِّمَها للعالَم. فالعنف هو دائماً المادة الأولى لأخبارنا اليومية ومازال يُغرِق تاريخَنا في غياهب الظلمات. فاليومَ كما في الأمس، يرى قليلٌ جداً من الناس أنه من المنطقي التأكيد على أن اللاعنف الذي يطرحه غاندي هو في الحقيقة الحكمةُ التي من شأنها أنْ تتيحَ للبشر التصديَ للتحديات التي يواجهونها في النهاية هذه للعصر.



ما هي الصورة التي يأخذها الغربيُّون اليومَ عن غاندي، وما هي الفكرة التي يُكَوِّنونها عن اللاعنف الذي عاش لأجله ومات لأجله؟ لا ريب في أن الجميع تقريباً يعرِفون اسمَ هذا الهندي ووجهَه؛ ويعرفون على الأرجح أنه ثارَ على الاحتلال الاستعماري لبلاده وناضل من أجل تحرير شعبه رافضاً اللجوءَ إلى أسلحة العنف



الفتَّاكة. لكنهم إذا أقرُّوا بسهولة بأن اللاعنف هو مثال أعلى مثير للإعجاب فإنهم لا يعتقدون مع ذلك بأنه يمكن أنْ يكون ذا فائدة ما لهم من أجل أنْ يواجهوا مواجهَةً واقعيةً وفعَّالةً الأحداثَ التي تشكِّلُ هنا والآنَ نسيجَ تاريخهم.

غاندي لم «يبتكر» اللاعنفَ. فكلمةُ لاعنف هي ترجمة للمصطلح السنسكريتي أهيمسا ahimsa المستخدَم في النصوص الفلسفية للأدبيات الهندوسية والجاينية «اليانية» jaïniste والبوذية. وهذه الكلمة مكوَّنة منى بادئة النفي «أ» ومن الاسم himsa «هيمسا» الذي يعني الرغبةَ في الأذى، في تعنيف كائنٍ حي. الأهيمسا هي إذاً السيطرة على رغبة العنف في الإنسان والتخلِّي عنها. واللاعنف موجود في صُلْب كبرى موروثات الحكمة التي تشكِّل التراثَ العالميَّ للبشرية. وهكذا علَّمَ اللاعنفَ كلٌّ من الماهافيرا والبوذا وپاتانجالي ويسوع.

الماهافيرا، «البطل الأكبر»، أو الجاينا أيضاً، «المنتصر» «المظفَّر»، واسمُه الحقيقي ناتاپوتا فردامانا Nâtaputta Vardhâmana، عاش في القرن السادس قبل الميلاد في شمال شرق الهند. ويُعَدُّ مؤسسَ الجاينية jaïn-isme، على الرغم من أن تعليمه يتأصل مباشرةً في موروث موغل في القدم. عاصرَ البوذا وكان يكبره ببضع سنوات. ومع كونه ابنَ مَلِك لدولة إقطاعية صغيرة، وكان قد ناهزَ الثلاثين من عمره، وفي حين أنه كان متزوجاً وأباً لطفلة، فقد ذهبَ ليعيشَ في الغابة ونذرَ نذورَ النُّسَّاك الأربعة التي كان أولها الأهيمسا. وبعد أنْ بلغَ المعرفةَ بالممارسة الدؤوبة للتأمل والتطهر، «خلال الثلاثين سنة التالية، طاف عدةَ مناطقَ في الهند، مقدِّماً في كل مكان رسالتَه في السلام والحب واللاعنف تجاه كل كائن حي»[1]. وكما أشار پول دي بروي Paul de Breuil، فإن عظمة أخلاق الأهيمسا:

تفرض نفسها في الجاينية بكلمات سامية: «يجب عدم قتل أي نوع من الكائنات الحية وأي جنس من المخلوقات وأي صنف من الحيوانات وأي كائن من أي نوع ولا إساءة معاملته ولا شتمه ولا تعذيبه ولا مطاردته. هذا هو التعليم النقي والخالد والثابت للدين والذي نادى به الحكماءُ الذين يدركون العالَم «2».

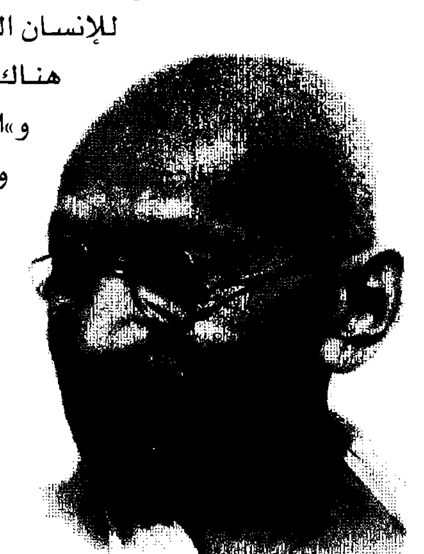
سيكتب غاندي: «**تُعَلِّم الجاينيةُ الرحمةَ بالمخلوقات الحية وواجبَ اللاعنف**» «3».

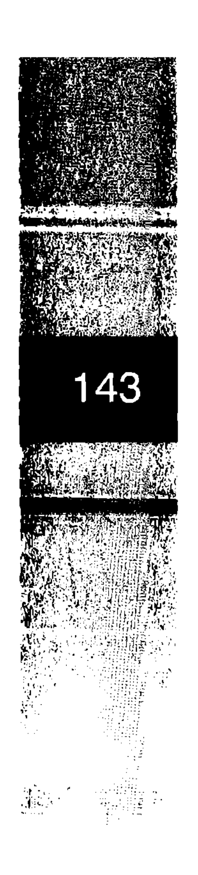
عاش البوذا، الـ«مستنير»، الذي كان اسمه سيدهارتا غوتاما، في شمال الهند أيضاً في القرن السادس قبل الميلاد. وأول الوصايا الخمس التي علَّمها لتلاميذه تتعلق باللاعنف:

لا أرى من بين هذه التصرفات العديدة إلاَّ سلوكاً واحداً إذا التزمنا به والتزمنا به دائماً نحصل على السعادة بين البشر ونحصل على السعادة في أعالي السماء وننال بلوغَ النيرفانا: إنه عدم قتل الكائنات الحية «4».

وفي نص آخر علَّم البوذا أن من بين الطرق الثماني التي تتيح للإنسان التحررَ من كل إرادة سيئة فتتيح له بذلك بلوغَ الحكمة هناك «النية الصحيحة» التي تستوجب «نيةَ عدم الأذى»، و«الكلام الصحيح» الذي ينطوي على «تجنب الكذب وتجنب النميمة وتجنب الشتيمة»، والعمل الصحيح الذي يقوم على «تجنب القتل» «5».

نجهل كلَّ شيء عن حياة پاتانجالي. ولا نعرف إنْ كان قد عاش في القرن الرابع أم في القرن الثاني قبل الميلاد. مع ذلك نعتبره مؤلِّفَ «مجموعة» اليوغا-سوترا





التي تعرض وتُصنِّف، في نص قصير مؤلَّف من 195 قولاً مأثوراً «مثلاً» مكتوباً بالسنسكريتية، أحدَ أقدم الموروثات الفلسفية للهند. إنَّ الأهيمسا وفقاً لتعاليمه هي أُولى «القواعد الخمس للحياة في العلاقة مع الآخرين «6»». هذه القواعد للحياة هي عالمية «صالحة لكل زمان ومكان»، لأنها «لا تتعلق لا بطريقة عيش ولا بمكان ولا بعصر ولا بظروف «7»». وما يعكِّر سلوكَ الإنسان، عندما يخالف هذه القواعدَ الخاصة بالحياة، هو أفكاره، و«هذه الأفكارُ، مثل العنف، سواء عشناه أم حرَّضْنا عليه أم وافقْنا عليه، يسبِّبها الجزعُ والغضب والخطأ«8»». فإذا كان الإنسانُ من خلال موقفه الداخلي يعيش حالةَ لاعنف فإنه يستطيع التوصلَ إلى نزْعِ فتيلِ عنفِ الآخرين: «إذا استقرَّ أحدكم في اللاعنف فإن العداوةَ ستزول من حوله «9»». لقد أقرَّ غاندي بأن نظرية اللاعنف «قد وضعَها وصاغها پاتانجالي «10»».

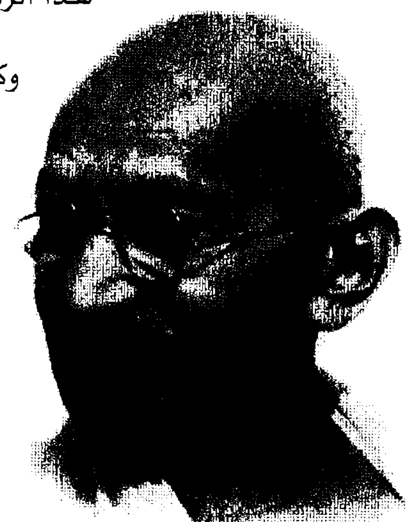
وما بَرِحَ يسوع الناصريُّ الذي عاش في فلسطين في بداية تاريخنا الميلادي يُعَلِّم أصحابَه اللاعنفَ. فيضع يسوعُ لشابٍّ يسأله أيَّ صلاح يعمل لتكونَ له الحياةُ الأبديةُ يضع وصيةَ «لا تقتلْ» في المقام الأول من بين الوصايا التي يجب عليه حفظُها لكي «يدخلَ الحياةَ «11»». كما يطلب يسوع من أصحابه ألاَّ ينتقموا من الشرير وأنْ يُحبُّوا أعداءهم في كل الأحوال وألاَّ يرجموا الزانيةَ وأنْ يغمدوا سيوفَهم وأنْ يديروا خدَّهم الآخر لمن ضربهم على خدهم الأيمن.

سيطالب غاندي، من جهته، صراحةً بهذا الإرث الرباعي ويؤكد اتِّباعَه، ببساطةٍ وتواضُع، الطريقَ التي خطَّها هؤلاء المعلمون الكبار في البشرية. لكنَّ مساهمةَ غاندي كانت أساسيةً لفهم اللاعنف وتحديداً لأنه أراد أنْ يأخذَ على محمل الجد هذه التعاليمَ في حين أن الذين ينادون بها حادوا عنها في أغلب الأحيان.

لا شك في أن هناك مرحلةَ ما قبل غاندي ومرحلةَ ما بعد غاندي سواء في التفكير الفلسفي حولفريضة اللاعنف التي تؤسس إنسانيةَ الإنسان أم في تجريب استراتيجية العمل اللاعنفي التي تتيح الحلَّ السِّلْمي للنزاعات.

كتبَ غاندي: اللاعنفُ التام هو الغياب التام لسوء النية mal-veillance تجاه كل حي. «...» ويُعبَّر عن اللاعنف بشكله الفاعل من خلال حب الخير bien-veillance لكل ما هو حي. إنه الحب الخالص«12» «13».

قيل غالباً بأن اختيارَ كلمة «لاعنف» غير موفَّق لأنها تحمل صيغةَ السلب. لكنْ لأنَّ ثقافتنا غَرَسَتْ فينا مفهوماً سلبياً عن اللاعنف. فكلُّ عنفٍ يمارَس على الإنسان هو اغتصاب: اغتصاب لهُويَّته، لشخصيته، لإنسانيته. العنف يجرح ويمزِّق إنسانيةَ من يتعرَّض له. لكن الإنسان لا يُعاني فقط من العنف الذي يتعرض له، إنما يُعاينُ أنه هو نفسه قادر على ممارسة العنف على الآخرين. الإنسانُ، عند التفكير، يكتشف نفسَه عنيفاً. والعنف يجرح ويمزِّق إنسانيةَ من يمارسه أولاً. إنَّ كلمةَ «لاعنف» حاسمةٌ لأنها تُعَبِّر عن رفض جميع عمليات الشرعنة التي تجعل من العنف حقاً للإنسان ولأنها تتيح بذلك نزعَ الشرعيةِ عنه. هذا الرفضُ يفتح الطريقَ إلى حب الخير للإنسان الآخر.



وكتبَ غاندي أيضاً: ليس هناك من لفظة إنكليزية أخرى يمكنها أنْ تُعَبِّر عن جميع معاني أهيمسا أفضلَ مما تُعبِّر كلمةُ براءة innocence. يمكن اعتبارُ كلمتَي أهيمسا وبراءة مفردتَين مترادفتَين«14».

في الواقع، إنَّ الأصلَين الاشتقاقيَّين لهاتين الكلمتين متماثلان: فكلمة in-nocent مشتقة من اللاتينية



in-nocens والفعلُ nocere (أساءَ، آذى) مشتقٌّ هو الآخر من nex necis، بمعنى الموت العنيف، القتل. وهكذا فإن البراءة، بالمعنى الدقيق للكلمة، هي فضيلة من لا يرتكب بحق الآخرين أيَّ عنف قاتل. غير أنه في أيامنا هذه، توحي كلمةُ براءة بالأحرى بالنقاء المشكوك فيه لمن لا يرتكب الشرَّ عن جهل وعجز أكثر منه عن فضيلة بكثير. لا يمكن خلط اللاعنف بهذه البراءة، إلاَّ أنَّ التواءَ المعنى هذا له دلالة: وكأنَّ عدمَ ارتكابِ الشرِّ يَنِمُّ عن ضَرْب من ضُروب العجز... إنَّ اللاعنف يردُّ الاعتبارَ للبراءة كفضيلة الإنسان القوي وكحكمة الإنسان العادل.

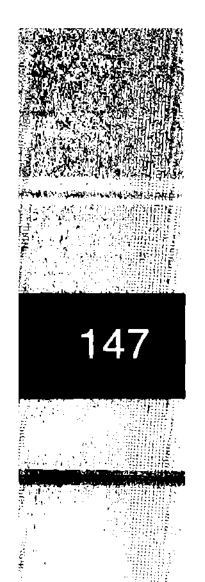
وهكذا فإنَّ اختيارَ اللاعنف يعني إرادةَ احترام حياة جميع الكائنات الحية. لكنَّ غاندي يعي أكثر من أي إنسان آخر أنه قد يكون من الحماقة أنْ يدَّعيَ المرءُ عيشَ لاعنف مطْلَق (أيْ، بحسب المعنى الاشتقاقي

لهذه الكلمة، منفصلاً dé-liée عن الواقع)؛ فاللاعنف لدى الإنسان لا يمكن أنْ يكونَ إلاَّ نسبياً (أي مرتبطاً re-liée بالواقع). فيؤكد أنه «مادمنا كائنات متجسدةً فإنَّ اللاعنفَ الكاملَ ليس إلاَّ نظريةً كنظرية النقطة أو كنظرية الخط المستقيم عند أقليدس، لكنْ يجب علينا السعيُ للاقتراب منه في كل لحظة من حياتنا»«15». ويشير إلى أنَّ

مبدأ اللاعنف واسع ومرن. ولسنا سوى بشر فانين بدون دفاع، واقعين تحت الضربة الهائلة لقوى العنف. إنَّ لمقولة «الحياةُ تتغذّى من الحياة» معنىً عميقاً. فالإنسان لا يمكنه أنْ يعيشَ لحظةً واحدةً بدون أنْ يقومَ بفعلِ عُنْفٍ نحو الخارج، سواء عن قصد أم عن غير قصد. فحتى بمجرَّد أنه يعيش يأكل ويشرب ويتحرَّك حوله فإنَّ ذلك ينطوي بالضرورة على نصيب من عنف ومن هدْم لحياة، مهما كان ذلك النصيبُ ضئيلاً جداً. فالذي نذرَ أنْ يعيشَ اللاعنفَ يبقى إذاً مخْلصاً لإيمانه إذا كانت الرحمةُ هي الدافع لجميع أفعاله وإذا اجتهدَ بأفضل ما يستطيع لكي يتجنَّبَ تدميرَ الكائنات الحية حتى أصغرها وإذا سعى إلى صَوْن كل ما يعيش وناضلَ كذلك باستمرار ليتحرَّرَ من القبضة القاتلة لقوى العنف. فلا تزال الرصانةُ والرحمةُ تَكْبُرانِ فيه؛ مما لا يمنع ألاَّ يصلَ أبداً إلى التحرر الكامل وإلى عدم ارتكاب أفعالِ عنفٍ تجاه الخارج «16».

وإذا كان لا يمكن للاَّعنف أنْ يكونَ مطْلَقاً فيجب أنْ يكون جذرياً radicale (من اللاتينية radix الذي يعني الجذر)، أيْ يجب أنْ يسعى إلى استئصال جذور العنف، إلى إزالته من خلال القضاء على جذوره الثقافية والإيديولوجية والاجتماعية والسياسية.

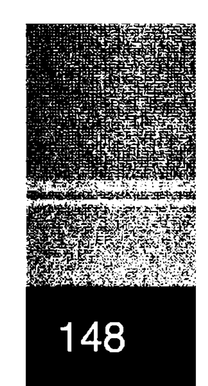
في جنوب أفريقيا حيث أقام غاندي من عام 1893

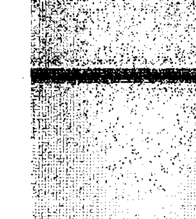


إلى عام 1914 أسَّسَ لأول مرة مقاومةً لاعنفية. وكان هدفه آنذاك هو إتاحة الفرصة للهنود المهاجرين في ذاك البلد ليحصلوا على الاعتراف بحقوقهم واحترامها أمام سلطة البيض العنصرية. فيما بعد، في عام 1942، يروي أنَّ «المسألة كانت بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت، وأنا أعالج هذه المشكلة حضرني ذلك المنهجُ في اللاعنف (this method ofahimsa «هذا المنهج في الأهيمسا»). لم تكن الإجراءات المختلفة التي اتَّخذْتُها في ذلك الحين عملَ إنسانٍ راءٍ أو حالم. كانت فِعْلَ رَجُل عملي في صراع مع مشاكلَ عمليةٍ«17». وعندما بدأ غاندي تنظيمَ هذا الكفاح اقتبسَ من اللغة الإنكليزية تعبيرَ «passive resistance» «مقاوَمة سلبية» ليشيرَ إلى المنهج الذي يطبِّقه. ويَذْكُر أنه «كلما كانت أقليةٌ صغيرةٌ بين ظَهْرانَيّ الإنكليزِ تستنكر تشريعاً معيَّناً ضاراً كانت بدلاً من التمرد تتبنَّى موقفَ المقاومة السلبية من خلال عدم طاعة القانون ومن خلال التعرُّض للعقوبات بسبب عصيانها«18». إلاَّ أنه يدرك في الوقت الذي يكبر فيه الكفاح أن هذا التعبير «يسبِّب الالتباسَ بلا أدنى شك«19» و«يكاد يثير سوءَ فهم فظيع«20»: كتبَ يقول:

كانت المقاومة السلبية تُفهم على أنها سلاح الضعيف وكان يُنظَر إليها على هذا الأساس. وعلى الرغم من أنها تتجنَّب العنفَ، وهي التي لم تكنْ ممكنةً للضعيف، لم تستبعد استعمالَه بحسب رأي من يلجأ إلى المقاومة السلبية إذا استدعَت الظروفُ ذلك«21».

يرى غاندي أنه من الضروري إيضاحُ أنه إذا تخلَّى هنودُ جنوبِ أفريقيا عن اللجوء إلى العنف فليس ذلك عن ضعف فيهم، بل على العكس لأنهم يمتلكون قوةَ التغلُّب على رغبتهم في الثأر من أجل البحث عن حل سِلْمي للنزاع الذي يواجههم مع البيض. عندئذ أراد أنْ يبتكرَ كلمةً جديدة ليسمِّيَ بها كفاحَه. وفي





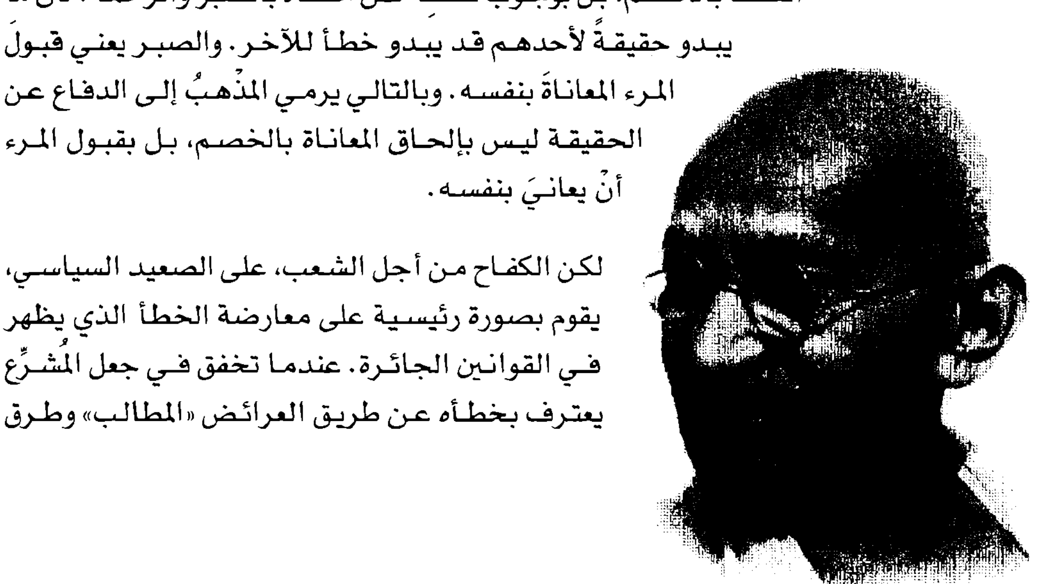
نهاية المطاف، أخذَ بالمصطلح السنسكريتي ساتياغراها Satyagraha: وأوضحَ أنَّ

ساتيا Satya (الحقيقة) تنطوي على الحب وأغراها «أچراها» agraha (الثبات) تفيد كمرادف للقوة. فبدأتُ إذاً أدعو الحركةَ الهنديةَ باسم «ساتياغراها». وكنتُ أعني بذلك القوةَ التي تُوَلَدُ من الحقيقة ومن الحب. ومنذ ذلك الحين هجَرْنا هجراناً كاملاً استعمالَ تعبير «المقاومة السلبية»(22).

وهكذا، خلافاً لما يقال في بعض الأحيان، لم ينحتْ كلمةَ ساتياغراها ليضعها في مكان مصطلح أهيمسا، بل ليضعَها في مكان تعبير «المقاومة السلبية».

وهكذا يشير غاندي أيضاً إلى معنى مصطلح ساتياغراها بقوله:

معناه الاشتقاقي هو الالتزام بالحقيقة، ومن هنا تأتي قوة الحقيقة. دعَوْتُه أيضاً قوةَ الحب أو قوةَ النفس. عند تطبيق الساتياغراها اكتشفْتُ منذ المراحل الأولى أن البحث عن الحقيقة لا يقبل بإنزال العنف بالخصم، بل بوجوب فصلِه عن خطأه بالصبر والرحمة. لأنَّ ما يبدو حقيقةً لأحدهم قد يبدو خطأ للآخر. والصبر يعني قبولَ المرء المعاناةَ بنفسه. وبالتالي يرمي المذْهبُ إلى الدفاع عن الحقيقة ليس بإلحاق المعاناة بالخصم، بل بقبول المرء أنْ يعانيَ بنفسه.

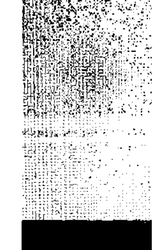


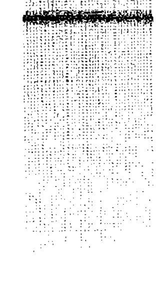
لكن الكفاح من أجل الشعب، على الصعيد السياسي، يقوم بصورة رئيسية على معارضة الخطأ الذي يظهر في القوانين الجائرة. عندما تخفق في جعل المُشرِّع يعترف بخطأه عن طريق العرائض «المطالب» وطرق



مشابهة فإن الوسيلة الوحيدة المتبقية أمامك إذا لم تُرِدِ الاستسلامَ للخطأ تقوم على إرغامه على الاستسلام لك بالقوة الجسدية أو على المعاناة بنفسك مسبباً العقوبةَ المنصوص عليها مقابل خرق القانون. ولذلك تبدو الساتياغراها للرأي العام مقابِلةً للعصيان المدني أو للمقاومة المدنية. وكلاهما مدني بمعنى أنه ليس جنائياً«23».

فيما بعد، استعملَ غاندي في أغلب الأحيان كلمةَ أهيمسا للتعبير عن قناعته بأنَّ العنفَ يتعارض تعارضاً جذرياً مع النداء الإنساني الداخلي للإنسان وبأنَّ على هذا الإنسان إذاً أنْ يتبنّى موقفاً آخر ويفكر في طريقة أخرى للكفاح. للأسف، مازال تعبير «المقاومة السلبية» هو المستعمَل غالباً في الغرب للدلالة على المقاومة اللاعنفية. غير أن هذا المفهوم يشتمل على تناقض جوهري يجعل استعمالَه غير مناسب. فالمقاومة، في الواقع، لا يمكنها



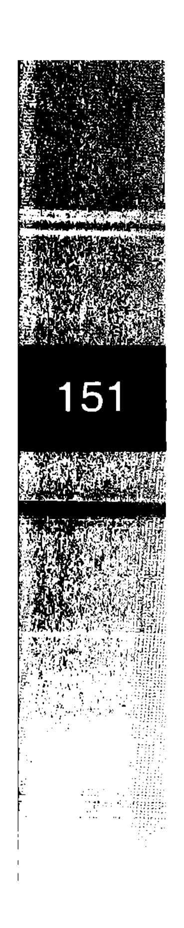


أن تكون سلبية: تتميَّز السلبيةُ تحديداً بأنها لا تُبدي أيةَ مقاوَمة لأيٍّ كان. يحمل تعبيرُ «المقاومة السلبية» طابعَ الإيديولوجيا السائدة التي تقول بأنه لا يمكن أنْ يكون العمل إلاَّ عنيفاً؛ عندئذ لا يمكن أنْ يُعبِّرَ رفضُ العنف إلاَّ عن السلبية. وهكذا يصبح اللاعنفُ في الغالب بدون أي اعتبار بحُجَّةِ أنه لا يمكنه إلاَّ أنْ يفيد الطغاةَ بدون أنْ يقصدَ وذلك من خلال نزع سلاح المضطَهدين والحكم عليهم بإيقاف العمل.

العنف قبل كل شيء هو عنفُ مواقف الظلم التي تُغَرِّب البشرَ وتشوِّههم. فاللاعنفُ إذاً هو قبل كل شيء كفاح ضد الظلم. إلاَّ أنَّ غاندي، على الرغم من تأكيده على ضرورة محاربة النظام الذي يُنتِج الظلمَ ويرسِّخه، يريد احترامَ شخص المسؤولين عن هذا الظلم لأنهم هم الآخرون ضحاياه. كتبَ غاندي:

الإنسانُ وأفعالُه شيئان متمايزان. «...» اللاعنف هو أساس البحث عن الحقيقة. ولا يمرُّ يومٌ إلاَّ وأُدرِكُ فيه في الواقع أن هذا البحث يكون سُدىً إذا لم يستندْ إلى اللاعنف. إنَّ مواجهةَ نظام ما ومهاجمتَه أمرٌ حسَن؛ لكنَّ مواجهة فاعله ومهاجمتَه يساوي مواجهةَ المرء نفسَه وتحوُّلَه إلى مهاجم نفسِه«24».

لا بد لنا من الاعتراف بأن إيديولوجيا العنف الضروري والشرعي والمحترم التي تسيطر على مجتمعاتنا مازالت تترك مجالاً قليلاً جداً للتفكير باللاعنف. فمادام العنفُ يَظهَر على أنه فضيلة الرجل القوي الذي يمتلك شجاعةَ ركوب أعظم المخاطر من أجل مكافحة الظلم والدفاع عن الحرية فإن اللاعنف سيُعَدُّ ضعفَ الرجل الجبان الرعديد الذي يستسلم ليرزحَ تحت نير الطغاة والذي يتواطأ سلفاً مع المعتدين. إلاَّ أنَّ ما أظهره غاندي



بالتحديد، وذلك ليس بالقول فقط وإنما بالعمل أيضاً، هو أنه إذا كان العنف أفضل من الجبن فإن اللاعنف موقف أكثر شجاعةً من العنف. فيؤكد في عام 1920:

أعتقد حقاً بأنه عندما لا يكون هناك من خيار إلاَّ بين الجبن وبين العنف فإنني أنصح بالعنف. «...» ولذلك أوصي الذين يؤمنون بالعنف أنْ يتعلموا استخدامَ السلاح. ودِدْتُ لو أنَّ الهند تلجأ إلى السلاح دفاعاً عن شرفها بدلاً من أنْ نراها بدافع الجبن تصبح أو تظلُّ الشاهدَ العاجزَ على خِزْيها وذُلِّها. لكنني أعتقد بأنَّ اللاعنف أرقى بكثير جداً من العنف وبأنَّ العفو أكثر إنسانيةً من العقاب. «...» فاللاعنفُ هو قانون الجنس البشري مثلما أن العنف هو قانون البهيمة. فالعقل نائم عند البهيمة فهي لا تعرف قانوناً آخرَ غيرَ القوةِ البدنية. كرامةُ الإنسان تستوجب منه الخضوعَ لقانون أسمى، لقوة العقل «25».

وهكذا يرى غاندي بأن اللاعنف ليس فقط وليس بالأساس منهاجَ عمل، إنه موقف، أيْ إنه بصورة أساسية نظرةٌ، نظرةُ عطف وطيبة إلى الإنسان الآخر. اللاعنف في نظر غاندي مبدأ: إذْ يؤكد قائلاً: «أؤمن بمبدأ اللاعنف» (I believe in the principle of non-violence» «26).
فيراه المبدأَ نفسَه للبحث عن الحقيقة، وبالتالي فهو بهذا المعنى المبدأُ نفسُه للفلسفة: يؤكد صراحةً أنه الطريق الوحيد الذي يقود الإنسانَ نحو الحقيقة. كتبَ أنَّ:

اللاعنف والحقيقة متشابكان تشابكاً وثيقاً يستحيل معه فك الواحد عن الآخر أو فصل أحدهما عن الآخر. فهُما وجهان لقطعة معدنية واحدة أو بالأحرى لقرص معدني صقيل لا يحمل أيةَ علامة. فمن يستطيع أنْ يميِّز بين وجهه الأول ووجهه الآخر«27»؟

يتطلّب البحثُ عن الحقيقة على طريق اللاعنف تطبيقَ وسائلَ عملٍ تنسجم مع الغاية المنشودة. لقد أجابَ غاندي أحدَ مُحاوريه الذي أكّد على أنَّ جميعَ الوسائل صالحةٌ، بما فيها العنف، للوصول إلى غاية عادلة، فأكد غاندي قائلاً:

إنكَ لترتكِبُ خطأً جسيماً باعتقادكَ بأنْ لا علاقةَ بين الوسائل والغاية. «...» فتفكيركَ هذا كتفكيرِ امرئٍ يصرُّ على القول بأننا نستطيع الحصولَ على وردة إذا زرعنا عشباً ضاراً. «...» فالوسائلُ يمكن مقارنتُها بالحبة والغايةُ يمكن مقارنتُها بالشجرة؛ والعلاقةُ غيرُ الملموسة الموجودةُ بين الوسائل والغاية هي العلاقة نفسُها الموجودة بين الحبة والشجرة«28».

اشتُهر غاندي بأنه رجل متديِّن. فمن الصحيح أنه كان يتكلم غالباً جداً عن الله وأنه هو نفسه أعطى غالباً التعبيرَ عن قناعته بشأن اللاعنف مدلولاً دينياً. مع ذلك فإن غاندي لم يكن رجلاً «متديِّناً» بالمعنى التقليدي للكلمة، بمعنى أنه لم تكن له من علاقة شخصية مع إله شخصي وأنه لم يُرِد الامتثالَ لأي وحي خارجي. فهو يرى بأن «الله ليس شخصاً» «29». لذلك فإن اللهِ الذي يُجِلُّه غاندي لا اسم له ولا وجه: يعترف بالقول: «لم أرَ الله، ولم أعرفه. «...» ولا أمتلك أيةَ كلمة لوصف إيماني بالله» «30». في المحصلِّة، الله في نظر غاندي هو الحقيقة المطبوعة في سريرة الكائن الإنساني. ولذلك توصَّلَ إلى إبدال التأكيد الديني: «الله هو الحقيقة» بالعبارة التالية: «الحقيقةُ هي الله» «31». هناك أكثر من فَرْق بسيط بين الخطوات التي تتضمَّنُها هاتان الصياغتان. فالذي يعتقد بأنَّ «الله هو الحقيقة» يرى بأنه يكفيه أنْ يؤمنَ بكلام الله الموحى في الدِّين» أيْ في دِينِه هو» لكي يمتلكَ



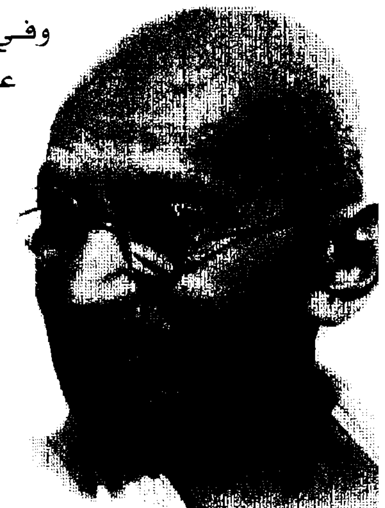
الحقيقةَ. فيقتنع عندئذٍ بسهولةٍ بأنَّ من يرفض الإيمانَ بهذا الوحي يكون على ضلالة. ولكي يدافعَ عن الحقيقة ويحاربَ الضلالَ يأخذ على نفسِه واجبَ مهاجمة الهرطقات «البِدَع»، وليس هذا فحسبُ، بل يوجب على نفسه شنَّ الحرب على الهراطقة. الخطر إذاً جسيم في أنْ تصبحَ عبارةُ «الله هو الحقيقة» تأكيداً شمولياً «توتاليتارياً» يؤدي إلى الحرب المقدَّسة «الجهاد». يُلفِتُ غاندي النظرَ إلى أن «ملايين البشر في الواقع استحوَذَ عليهم اسمُ الله فارتكبوا وهم يتضرَّعون إليه فظاعاتٍ تَدِقُّ عن الوصف» «32».

الاعتقاد بأنَّ «الحقيقة هي الله» ينطوي على خُطْوَةٍ فكرية وروحية أخرى مختلفة. لأنَّ الحقيقةَ، عندئذٍ، لا تُعَرِّفُ بنفسها للإنسان من خلال وحيٍ خارجي، بل من خلال فريضة داخلية تُعَبِّرُ عن نفسها من خلال «الصوت الخافت الهادئ» لضميره، أيْ من خلال

عقله. وبذلك يؤكد غاندي تفوُّقَ العقل على الدين ويريد أنْ ينظرَ بنفسه في صحة النصوص المقدَّسة وفقاً لمتطلبات العقل. ولذلك فإنَّ غاندي «لديه قناعة راسخة بأنه لا دِينَ إلاَّ الحقيقة»«33».

لقد بقيَتْ حياةُ غاندي وفكرُه لا يُلْقَى لهما بالٌ على نطاق واسع لدى الأوروبيين وخاصةً الفرنسيين منهم. وقد امتدَّ عمَلُ غاندي على مدى أربع وخمسين سنةً أولاً في جنوب أفريقيا من عام 1894 إلى عام 1914، ثم في الهند حتى رحيله في عام 1948. ولذلك لم تتمكَّنْ سِيَرُ حياتِه «ترجماته» من عرض دقيق وصارم لجميع أقواله وأفعاله وحركاته. كتاباتُ غاندي وأقوالُه لا تُحصَى، لكنها ما تزال في سياقها «ظرفها». ولفهمها فهماً صحيحاً يجب إعادة وضعها في السياق المحدَّد الذي تكلَّمَ فيه غاندي. وإذا اكتفينا بالنصوص المنشورة بالفرنسية فإنها لم تكن في الغالب إلاَّ «شذرات مختارةً» لا تتيح الحصولَ سوى على رؤية جزئية لفكره وعمله. وقد جُمِعَتْ أقوالُه وكتاباتُه سواء المقالات أو الخطابات أو الرسائل أو المقابلات ونُشِرَتْ بالإنكليزية في تسعين مجلَّداً يضم كلُّ مجلَّد أربعمئة وثمانين صفحة وسطياً: The Collected works of Mahatma Ghandi «الأعمال الكاملة للمهاتما غاندي». تشكِّل هذه النصوصُ مادةً أوليةً ذات غنى مدهش، لكنْ يجب الاعترافُ بأنه من الصعب الاستفادة منها. وفي الواقع، لم يُستفَدْ منها إلاَّ نادراً. وإذا استطعنا العثورَ على بعض الإشارات المرجعية إلى غاندي في الأعمال الفلسفية المعاصرة فإنه من الملفت للانتباه أن غاندي لم يكن مرجعاً للفلاسفة المعاصرين. فقد أُهمِلَ عموماً؛ بل أكثر من ذلك، لقد عُتِّمَ عليه.

من جهة أخرى، فقد جعلوا أحياناً من الملحمة البطولية الغاندية أسطورةً: قدَّموا لنا عندئذٍ المشهدَ الريفيَّ

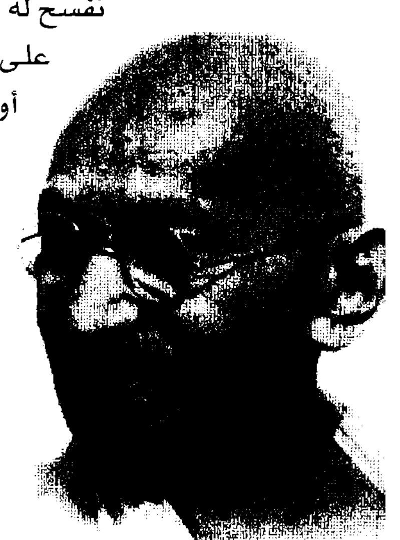


الغزليَّ لمواجهةٍ سِلْمية يواجه فيه هنودٌ لاعنفيون رجالاً بريطانيين رفيعي التهذيب «جنتلمان»، مما يوهم بأن غاندي كان سيجترح معجزةَ تحريرٍ وطني بدون إراقة دماء. إن تاريخ الأحداث التي جرت في الهند في الفترة من 6 نيسان/أبريل 1919 م يوم إطلاق غاندي لحملته في المقاومة المدنية وحتى تاريخ 15 آب 1947 م يوم استقلال الهند يُظهِر لنا أن أعمال عنف عديدة ارتُكِبَتْ من جهة كل طرف من الطرفين المتواجهَين. فمن جهة، لم يتردد البريطانيون للدفاع عن إمبراطوريتهم من اللجوء عندما يرون ذلك ضرورياً إلى أسوأ أساليب القمع بحق الهنود. ومن جهة أخرى، يجب ألاَّ نخطئَ في الأمر: نضالُ الشعب الهندي ضد المحتل والذي قاده غاندي لا يقدِّم لنا، كما أراد البعضُ أن يزعموا، النموذجَ الكاملَ لاستراتيجية العمل اللاعنفي. فقد استشاط الهنودُ غضباً عدةَ مرات وأطلقوا العِنانَ لرغبتهم في العنف ضد المحتل ضاربين عُرْضَ الحائط بتعاليم اللاعنف التي أعلنها غاندي.

لم نكن نطمح عند كتابة هذا الكتاب إلى تقديم دراسة معمقة عن فكر غاندي«34»، ولا إلى تقديم مجمل عمله؛ أردنا فقط أنْ نرسمَ صورةً لغاندي تتيح لنا الولوجَ إلى معرفةِ وفهمِ شخصيته وفكره وعمله. ولأجل ذلك اخترنا تركيزَ دراستنا على «مسيرة المِلْح» التي جرَت في الفترة من 12 آذار/مارس ولغاية 6 نيسان/أبريل 1930 والتي تشكِّل بالتأكيد الحدثَ الأهمَّ في الملحمة الغاندية. هذه المسيرة افتتحَت حملةَ عصيان مدني كان هدفُها المعلَنُ ليس أقلَّ من الحصول على استقلال الهند بالكامل. وهذه الحملة امتدَّت أربعَ سنوات ابتداءً من 6 نيسان/ أبريل 1930 بالضبط، اليوم الذي خرقَ فيه غاندي عن عمد القانونَ البريطاني من خلال التقاط قليل من المِلْحِ الذي خلَّفَتْه الأمواجُ على شاطئ البحر،

وحتى تاريخ 7 نيسان/أبريل 1934، اليوم الذي أَعلَنَ فيه قراره بإنهاء العصيان المدني. تتضمَّنُ هذه السنواتُ الأربعُ ثلاثَ مراحلَ متمايزةٍ تماماً. تمتد المرحلةُ الأولى من 6 نيسان/أبريل 1930 إلى 4 آذار/مارس 1931، اليوم الذي وقَّع فيه غاندي ونائب ملك الهند معاهدةَ سلام لتعليق حركة العصيان المدني. والثانية هي وقت «الهدنة» التي زار خلالها غاندي لندنَ للمشاركة في مؤتمر الطاولة «المائدة» المستديرة الذي كان عليه أنْ يبتَّ في الدستور المستقبلي للهند. وتمتد من تاريخ 4 آذار/مارس 1931 حتى 3 كانون الثاني/يناير 1932، اليوم الذي قرر فيه غاندي استئنافَ حركة العصيان المدني بعد أن تأكد من رفض السلطات البريطانية قبولَ حوار بَنَّاء معه. وتمتد المرحلةُ الثالثة إذاً من 3 كانون الثاني/يناير 1932 إلى 7 نيسان/أبريل 1934. ومن أجل فهم مدى أهمية هذه الأحداث، ينبغي وضعُها في الإطار التاريخي الإجمالي لنضال الهنود من أجل الاستقلال. ولذلك سنَعرض باختصارٍ المراحلَ التي مرَّت قبل المرحلة التي آثرْنا دراستَها وبعدها.

على طول هذه «المسيرة الطويلة»، سنعمل جاهدين على تقَفِّي «خُطى» غاندي «خطوةً بخطوة» إلى حد ما، من خلال مشاهدته وهو يعمل والإنصاتِ إليه وهو يتكلم عن مواضيعَ شتَّى. وبدا لنا من الضروري أنْ نفسحَ له المجالَ للكلام مطوَّلاً بغيةَ إتاحة الفرصة للقارئ ليتعرَّفَ على جميع جوانب شخصيته. وهذا سيتيح لنا رسمَ صورة أولية عن غاندي تتطابق مع حقيقة شخصيته أفضلَ مطابقة وتعطي كلَّ قارئ إمكانيةَ ملاءمة نظرته شيئاً فشيئاً مع هذه الحقيقة. فيجوز له عندئذٍ تشكيلَ حكمه الخاص.



لم تكن فرضيتُنا في العمل هي أنَّ غاندي كان مُحقَّاً دائماً في جميع الظروف. وعندما نستشهد بقول له



فهذا لا يعني أننا نوافق بالضرورة على ما يقول. لا شك في أننا لن نتوانى عن تقديم انتقاداتنا إذا اقتضى الأمر ذلك، لكننا في الغالب لن نثقلَ النصَّ بتعليق شخصي.

وفي أغلب الأحيان، سنأخذ وقتاً لنروحَ نقرأُ ما كتبَتْه الصحفُ الفرنسيةُ عن غاندي على مر هذه السنوات الأربع. كانت «الاضطرابات في الهند» تحتل في الواقع مكاناً مهماً نسبياً في صحافة العصر وكانت تعليقات الصحفيين ترسم صورةً متناقضة جداً لقائد التمرُّد الهندي، ولكنها مفيدة جداً علمياً.

في الحقيقة غاندي شخصية معقَّدة. فقد كان جواهَرلال نِهْرو Jawaharlal Nehru يؤكد: «كان تناقضاً «ظاهرياً» غيرَ عادي ذلك الرجل» «35». كان غاندي رجلاً يدرك بالحدس وكان فكره، تبعاً للحدث دائماً، يُظهِر غالباً مفارَقاتٍ تصدم تفكيراتِنا الديكارتيةَ «المنطقية» ويمكن

أنْ تضعنا في حيرة من أمرنا. وهكذا حصلَ له أنْ تنقَّلَ بين مثالية أخلاقية غامضة إلى حد ما وبين واقعية سياسية صارمة جداً. فلا يمكننا إذاً تجميد فكره في «غاندية» ما.

لفهم هذا «التناقض» فهماً أفضل، سنستعين غالباً بشهادة نهرو. فذلك الرجل كان أحدَ أقرب الأصحاب لغاندي، لكنه في الوقت نفسه لم يكن واحداً من تلاميذه التابعين inconditionnels. فبالإضافة إلى أنه لم يكن للرَّجُلَين الطينةُ «الجِبِلَّةُ» نفسُها، كان يحصل لهم غالباً ألاَّ يكون لهما التحليلُ نفسُه للأحداث. فضلاً عن أنَّ نهرو لم يكنْ يتردَّد، عندما يرى ضرورةً لذلك، في تأكيد خلافاته مع من كان يسمِّيه الهنودُ مهاتما (الـ«الروح العظيمة» la «grande âme»)، لكنه لم يكن يستطيع أنْ يمنعَ نفسَه من الشعور تجاهه بأشد إعجاب وبأكثر مودة. في الواقع، كان هذا الرجل المتناقض «ظاهرياً» يستهويه فيؤكد لنا أن شخصه كان جذاباً أكثر من شخصيته:

كان يمتلك ابتسامةً عذبة وضحكةً مُعْدية؛ كان يُشِعُّ مرحاً. كان في داخله شيء طفولي ممتلئ سحراً. عندما كان يدخل غرفةً كانت نسمة هواء عليل تلطِّف الجوَّ«36».

هذا هو الإنسان الذي يودُّ هذا الكتابُ اكتشافَه.



مراجع المقالة السابقة

«1» بول دي بروي، جاينيو الهند، باريس، أوبييه، 1990، ص 55.

«2» المرجع السابق، ص 28.

«3» غاندي، The Collected works of Mahatma Ghandi «الأعمال الكاملة للمهاتما غاندي»، أحمد آباد Ahmedabad، قسم المنشورات، وزارة الإعلام والإذاعة، حكومة الهند، 1965، المجلّد رقم 15، ص 399. من الآن فصاعداً عندما نرجع إلى



الأعمال الكاملة – The Collected works لغاندي سنشير مباشرةً إلى رقم المجلّد.

«4» Paroles du Boudha «أقوال البوذا»، نصوص ترجمَها عن الصينية جان إيراكل Jean Éracle، باريس، لوسوي 1991، Le Seuil، سلسلة «پوان ساجيس» «Points Sagesse»، ص 69.

«5» المرجع السابق، ص 159.

«6» پاتانجالي، يوغا-سوترا، ترجمها عن السنسكريتية فرانسواز مازيه Françoise Mazet، باريس، ألبان ميشيل، 1991، 2، 30.

«7» المرجع السابق، 2، 31.

«8» المرجع السابق، 2، 34.

«9» المرجع السابق، 2، 35.

«10» ذكَرَه س. أ. باري S. A. Bari، Gandhi's Doctrine of Civil Resistance «مذهب غاندي في المقاومة المدنية»، نيودلهي، 1971، Kalamkar Prakashan Pvt. Limited، ص 8.

«11» الإنجيل بحسب متَّى، 19، 16 وما يليها.

«12» تُعَبِّر الكلمتان، كلمةُ mal-veillance (من اللاتينية male volens، سيء النية) وكلمة bien-veillance (من اللاتينية bene volens، حَسَن النية)، بحسب معناهما الاشتقاقي، عن فكرتَي «إرادة الشر» و«إرادة الخير». يستعمل غاندي الكلمتين الإنكليزيتين: ill-will «سوء النية» وgood-will «حُسْن النية».

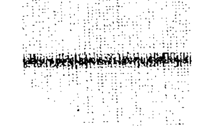
«13» غاندي، Young India «شباب الهند»، 1919–1922، مادراس Madras، الناشر س. غانيسان S.Ganesan Publisher، 1924، ص 286.

«14» المجلَّد 18، ص 265.

«15» غاندي، All Men are brothers «جميع البشر إخْوة»، أحمد آباد Ah-medabad، دار ناڤاجيڤان Navajivan للنشر، 1960، ص 119.

«16» غاندي، Autobiographie ou mes expériences de vérité «السيرة الذاتية أو خبراتي في الحقيقة»، باريس، مطابع فرنسا الجامعية، 1964، ترجمة جورج بيلمون Georges Belmont، الصفحتان 444 و445.

«17» ذكَرَه د. ج. تيندولكار D.G.Tendulkar Mahatma: Life of Mohandas Karamchand Gandhi «المهاتما: حياة موهانداس كارامشاند غاندي»، مجلَّد 6، نيودلهي، قسم المنشورات، وزارة الإعلام والإذاعة، حكومة الهند، 1969، ص 41.



«18» غاندي، M.K. Gandhi à l'œuvre «م. ك. غاندي في العمل»، باريس، منشورات ريدر Rieder ،1934، ص 172.

«19» المرجع نفسه، ص 169.

«20» المرجع نفسه، ص 171.

«21» غاندي، Satyagraha Non-Violent Resistance «ساتياغراها، المقاوَمة اللاعنفية»، أحمد آباد Ahmedabad، دار نافاجيفان Navajivan للنشر، 1951، ص 3.

«22» M.K. Gandhi à l'œuvre «م. ك. غاندي في العمل»، سبق ذِكْرُه، ص 170.

«23» Satyagraha «الساتياغراها»، سبق ذِكْرُه، ص 6 و7.

«24» غاندي، Autobiographie ou mes expériences de vérité «السيرة الذاتية»، سبقَ ذِكْرُه، ص 348.

«25» المجلد 18، ص 123 و133.

«26» المجلد 18، ص 265.

«27» المجلد 44، ص 59.

«28» غاندي، Hind Swaraj or Indian Home Rule، أحمد آباد Ahmedabad، دار نافاجيفان Navajivan للنشر، 1938، ص 71.

«29» All Men are brothers «جميع البشر إخْوة»، سبق ذكره، ص 76.

«30» Tous les hommes sont frères «جميع البشر إخْوة»، باريس، غاليمار Gallimard، سلسلة «إيديه» «Idées» «أفكار»، 1969، ص 109 و110.

«31» المجلد 44، ص 40.

«32» Lettres à l'ashram «رسائل إلى الأشرم»، باريس، آلبان ميشيل، 1960، ص 103.

«33» Tous les hommes sont frères «جميع البشر إخْوة»، سبق ذكره، ص 134.

«34» قدَّمْنا دراسةً عن فكر غاندي في «كتاب Le Principe de non-violence. Parcours philosophique مبدأ اللاعنف. وجهة نظر فلسفية»، ديكليه دو برُوِّير Desclée de Brouwer ، 1995، الفصلان 13 و14.

«35» الپانديت نِهْرو Pandit Nehru Ma vie et mes prisons «حياتي وسجني»، باريس، دونويل Denoël، 1952، ص 364.

«36» المرجع السابق.





أسطورة غاندي

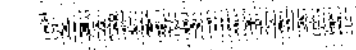
بقلم د. خالد بن محمد الغيث
جامعة أم القرى - كلية الشريعة
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

لقد كان الزعيم الهندي غاندي من الزعماء القلائل الذين نالوا شهرة واسعة في هذا العصر، وحيثما ذكر نجد الثناء العطر يرافق سيرته، وأنه بطل المقاومة السلمية التي يحرص الغرب على تصديرها إلى العالم الإسلامي، وتذكيرهم بها في كل مناسبة.. فيا ترى ما سر هذا الرجل الذي ظهر فجأة على المسرح السياسي في الديار الهندية؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا العودة إلى القرن 16م، الذي شهد الانطلاقة الحديثة للحروب الصليبية.

لقد كان هدف الموجة الجديدة من الحروب الصليبية الأوربية في القرن 16م هو الالتفاف حول العالم الإسلامي من الخلف لخنقه اقتصادياً، من أجل إضعاف الدولتين المملوكية والعثمانية، لكن أوربا فوجئت بأن العمق الإسلامي يمتد في وحدة دينية فريدة وخطيرة حتى يصل إلى جزر الفلبين، ماراً بالهند، التي أثارت لوحدها شهية الأوربيين بشكل عجيب، لكونها من أعظم المراكز الاقتصادية الإسلامية في ذلك الوقت، هذا وقد استغل الأوربيون سماحة السلطان المغولي المسلم (جها نكير) فبدأوا بالتسلل إلى الهند كتجار، حتى تمكن الإنجليزي (وليم هوكنز) من مقابلة السلطان (جها نكير) في عام (1017هـ / 1608م) بصفته مبعوثاً من الملك الانجليزي (جيمس الأول)، وقد حاول (وليم هوكنز)

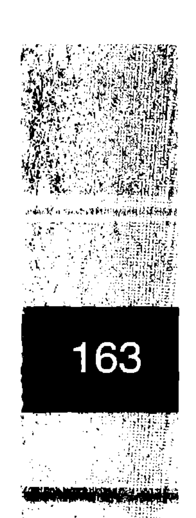






استثمار مقابلته للسلطان (جها نكير) بأن يأخذ منه خطاب مجاملة إلى الملك (جيمس الأول) لكن الوزير الأول في بلاط السلطان رد عليه قائلاً: (إنه مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم أن يكتب كتاباً إلى سيد جزيرة صغيرة يسكنها صيادون !).

لقد عرف الإنجليز أن وجود الحكم الإسلامي في الهند كفيل بتعطيل أحلامهم الصليبية لذا فقد اكتفوا بما كان من تأسيسهم لشركة الهند الشرقية للتجارة الإنجليزية في الهند والأقطار المجاورة في عام (1009هـ /1600م). ومع الوقت كانت شركة الهند الشرقية تتوسع وتزداد فروعها في أرجاء الهند، ومع الوقت بدأت حقيقة هذه الشركة وفروعها تتكشف فلم تكن إلا قواعد عسكرية إنجليزية، وبؤر تجسسية كان هدفها تجنيد المنافقين من أبناء المسلمين، والعملاء من أبناء الهندوس، والسيخ.



وفي عام (1170هـ / 1757م) وفي إبان الغزو الشيعي الصفوي الإيراني للهند قام الجيش البريطاني التابع لشركة الهند الشرقية باستغلال هذا الظرف الحرج فتمكن من هزيمة المسلمين في منطقة البنغال في معركة (بلاسي) التي تعد أول المعارك الحاسمة بين الطرفين، وقد تم لهم ذلك بمساعدة المنافقين والعملاء الذين تم تجنيدهم عبر عشرات السنين، إلا أن احتلال الإنجليز للهند لم يتم إلا بعد قرن من الزمان وبعد معارك طاحنة بين الطرفين، انتهت بعزل (بهادر شاه) آخر السلاطين المسلمين ونفيه إلى بورما حيث توفي عام (1279هـ / 1862م) لذلك فقد قامت بريطانيا في عام (1275هـ /1858م) بضم الهند إلى التاج البريطاني رسمياً، لتصبح درة التاج البريطاني منذ ذلك التاريخ.

تقريب الهنادكة:

لقد عرف الاحتلال البريطاني أنه من المستحيل أن يقبل المسلمون في الهند الرضوخ لسياسة الأمر الواقع وفي ذلك يقول (النبرو) الحاكم البريطاني في الهند: (إن العنصر الإسلامي في الهند عدو بريطانيا اللدود، وإن السياسة البريطانية يجب أن تهدف إلى تقريب العناصر الهندوكية إليها، لتساعدهم في القضاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد).

وفي عام (1303هـ / 1885م) قامت بريطانيا بتأسيس حزب المؤتمر الوطني الهندي، ومن خلال هذا الحزب تم إحياء القومية الهندوسية الوثنية القديمة، لتكون عوناً لبريطانيا في محاربتها للإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية.

سياسة بريطانيا تجاه المسلمين:

لقد كانت بريطانيا تعلم أن بقاءها في الهند لن يكتب له الاستمرار في ظل مقاومة إسلامية صلبة ترفض الذوبان والانبطاح والتوسل للمحتل، لذا فقد لجأت إلى تنفيذ سلسلة من الخطوات الرامية إلى خلخلة هذه المقاومة وكسرها، ومن ذلك:

1 - إقامة المذابح للمسلمين في كل مكان، وفي ذلك يقول أحد الكتاب الإنجليز: (إن ما ارتكبه جنودنا من ظلم ووحشية، ومن حرق وتقتيل، لا نجد له مثيلاً في أي عصر).

2 - زرع العصبية الجاهلية داخل المجتمع المسلم، حيث قسموا المسلمين إلى طوائف اجتماعية، وأجبروهم على تسجيل أنفسهم رسمياً حسب هذا التقسيم الطائفي.

3 - العبث بمناهج التعليم لتخدم سياسة الاحتلال البريطاني، مما جعل المسلمين ينفرون من المدارس العلمانية خوفاً على عقيدة أبنائهم.

4 - نشر الانحلال والمجون والإباحية والفساد.

5 - تأسيس الحركات الهدامة التي تتسمى باسم الإسلام مثل القاديانية، التي نفت مبدأ ختم النبوة، ونبذت الجهاد ومقاومة المحتل، ودعت إلى طاعة الإنجليز والقبول بسياسة الأمر الواقع.

6 - تزوير التاريخ الجهادي للأمة المسلمة عن طريق نشر الكتب والمؤلفات التي تنبذ الجهاد والمقاومة، ومن ذلك كتاب المستشرق، تومس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام.





7 - إبعاد العلماء وعزلهم عن قيادة وتوجيه الجماهير المسلمة.

8 - إيجاد زعامات قومية إسلامية، تفتخر بقوميتها على حساب انتمائها إلى دينها وإسلامها، وقد كان هؤلاء ممن تخرجوا من المدارس والكليات العلمانية.



صناعة غاندي:

عندما توفي السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله (886هـ) وهو يحاصر روما دعا بابا الفاتيكان في روما النصارى في أوروبا إلى الصلاة شكراً لله ابتهاجاً بوفاة محمد الفاتح.

هـذه الحالـة مـن الرعـب والفـزع لـم تكـن لتغيـب عـن أوروبـا الصليبيـة فـي نظرتهـا إلـى العالـم الإسـلامي، لـذا فقـد كان أخطـر عمـل قامـت بـه بريطانيـا هـو إلغـاء الخلافـة الإسـلامية وإسـقاط الدولـة العثمانيـة وتفتيت العالمين العربـي والإسـلامي، حتـى لا تضطـر أوربـا لإقامـة صـلاة الشـكر مـرة أخـرى.

لقـد أدى قيـام بريطانيـا الصليبيـة بإلغـاء الخلافـة الإسـلامية إلـى إذكـاء روح المقاومـة الإسـلامية فـي الهنـد، ومـن ذلـك تأسيس المسلمين جمعيـة إنقـاذ الخلافـة فـي عـام (1920م)، وقامـوا بجمـع (سـبعة عشـر مليـون روبيـة) لأجـل هـذا الغـرض.

وهنـا طفـا علـى السـطح فجـأة شـخص هنـدوسـي اسـمه (غانـدي) وقـام بالتقـرب إلـى جمعيـة إنقـاذ الخلافـة وطـرح عليهم فكـرة التعاون مع حـزب المؤتمـر الوطنـي الهنـدي، فـرحـب المسـلمون بذلـك، ولمـا عقـد أول اجتمـاع بـين الطـرفـين، طـرح المسـلمون شـعـار اسـتقلال الهنـد عـن بريطانيـا، بدلاً عـن فكـرة إصـلاح حالـة الهنـد التـي كانـت شـعار المؤتمـر الوطنـي، لكـن (غانـدي) عـارض هـذا المقتـرح وثبـط الهمـم، وفـي عـام (1921م) عقـد الطرفان اجتماعاً مهما تمكن فيـه المسلمون من فرض شـعار الاسـتقلال عـن بريطانيـا وقامـوا بتشـكيل حكومـة وطنيـة لإدارة البـلاد.

هـذا التطـور الخطيـر لـم تكـن بريطانيـا لتسـمح لـه بإفسـاد فرحتها بإسقاط الدولة العثمانية وتقسيم العالم الإسلامي، لذا فقد قام (ريدينج) الحاكم البريطاني للهند بالاجتماع (بغاندي) وقال له: (إن مصدر الحركة الاستقلالية في الهنـد هـم المسـلمون، وأهدافهـا بأيـدي زعمائهـم، ولـو أجبنـا مطالبكـم، وسـلمنا لكـم مقاليـد الحكـم، صـارت البـلاد للمسـلمين، وإن الطريـق الصحيـح هـو أن تسـعوا





أولاً لكسر شوكة المسلمين، بالتعاون مع بريطانيا، وحينئذ لن تتمهل بريطانيا في الاعتراف لكم بالاستقلال، وتسليم مقاليد الحكم في البلاد إليكم).

وبناء على التنسيق والتفاهم الذي تم بين (ريدينج) و(غاندي) قامت بريطانيا بالقبض على الزعماء المسلمين المنادين بالاستقلال، فأصبح الطريق ممهداً أمام (غاندي) الذي طلب من هيئة المؤتمر الإسلامي الهندوسي، بأن تسلم له مقاليد الأمور بصفة مؤقتة نظراً لقبض بريطانيا على الزعماء المسلمين، وعندما عقد أول اجتماع برئاسة (غاندي) نفذ ما تم الاتفاق عليه مع الحاكم البريطاني (ريدينج) وأعلن أن الوقت لم يحن بعد لاستقلال الهند.

وفي الفترة من (1921 - 1948م) نجد أن بريطانيا قد طبقت في الهند ما طبقته في فلسطين مع الصهاينة «انظر الجذور التوراتية للسياسة البريطانية «مقال بصفحة الكاتب في الموقع»، حيث قامت بتسليح الهندوس وتدريبهم، والتنسيق معهم لإقامة المذابح

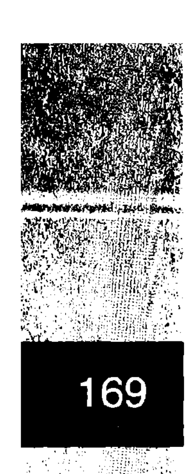
للمسلمين، أما غاندي الذي أصبح كل شيء بعد تلميعه في مسرحية نفيه المؤقت إلى جنوب أفريقيا فقد قام بمذبحة ثقافية بشعة للحضارة الإسلامية في الهند، وفي ذلك يقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله: (لقد كانت دعوة غاندي إلى ما سماه اكتشاف الروح الهندي الصميم، والرجوع إلى الحضارة الهندية، هو بمثابة إعلان حرب على الحضارة الإسلامية التي عاشت على أرض الهند أربعة عشر قرناً، وغيرت كل مفاهيم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل إنها قد غيرت مفاهيم الهندوكية نفسها).

وعندما اطمأنت بريطانيا على مقدرة الهندوس على حكم الهند قامت بترتيب الأمور لاستقلال الهند.

لقد كان عام (1948م) الفصل الأخير من مسرحية غاندي وبريطانيا حيث سلب الحق من أهله بإعلان استقلال الهند عن بريطانيا في تلك السنة، لكن مسرحية المقاومة السلمية التي قام غاندي فيها بدور البطل لا تزال تعرض إلى يومنا هذا.

بقي أن نشير إلى أن من يطلق شرارة الحقد والكراهية لا بد أن يكتوي بنارها، فقد مات غاندي مقتولاً عند استقلال الهند، ثم تبعه في عام 1978م آخر حاكم بريطاني للهند حيث قتل على أيدي الثوار الإيرلنديين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

انتهى مقال د. خالد الغيث.



من كتاب: (عظماء أسلموا)

للدكتور راغب السرجاني

قصة اسلام هيرالال ابن غاندي

هيرالال غاندي

هيرالال ابن الزعيم غاندي.. لبيت نداء الحق هو ابن الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) الذي انشغل بالنضال من أجل استقلال بلاده، وتعمّق هيرالال غاندي Hiralal Gandhi في بادئ الأمر في دراسة الديانة الهندوسية وطائفتها البراهمية، التي تُعَدُّ من أرقى الطوائف الهندية.

قصة إسلام هيرالال غاندي

لم يكن هيرالال غاندي في بادئ الأمر يُلقي بالاً للتناقضات التي تزخر بها الديانة الهندوسية، واندمج في دراسته حتى تخرّج محامياً، وتزوّج وكوّن أسرة، وشغف بالمحاماة والأدب.



وقد أتاح له عمله بالمحاماة فرصة التعرُّف على الظروف الاجتماعية السيئة التي يحياها الناس في بلاده، ومدى الظلم الذي مارسه الهندوس ضد غيرهم من الطوائف، بل مع أبناء طائفتهم ذاتها، ممن يُطلقون عليهم اسم (المنبوذين)، الذين يقومون بخدمة البراهمة، ومن دون هذه الخدمة ليس لهم أجر أو ثواب.

كان هذا الظلم الاجتماعي من الأسباب التي دفعت هيرالال غاندي إلى البحث عن الحقيقة، وكان يعلم الكثير عن الدين الإسلامي، من جرّاء اطلاعاته على ما كُتب عنه؛ ولذلك أحسّ أن شيئاً من الحقِّ يسطع أمامه، وأنه قد وجد بداية طريقه نحو الحقيقة التي يبحث عنها؛ ولذلك عزم على إشهار إسلامه بعد أن قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾«آل عمران: 85». بعد ذلك أعلن هيرالال غاندي إسلامه، وتسمّى بـ«عبد الله غاندي».

إسهامات هيرالال غاندي

قام هيرالال غاندي بالدفاع عن الدين الإسلامي بعد إسلامه؛ فبعد أن أشهر إسلامه تناقلت الصحف هذا الخبر، وقامت بالكثير من حملات التشهير عليه، وانهالت حملات المهاتما غاندي على ولده، كما هاجمته الجمعيات والصحف الوثنية.

وقد دافع هيرالال غاندي عن الإسلام وقال: «لست بنادم ولا متأسِّف لاعتناقي الدين الإسلامي الحنيف كما يقولون ويُشيعونَ، والله يعلم ويشهد أني ما فعلت أكثر من تلبيتي نداء الحقِّ، ونداء ضميري، ورضوخي واستسلامي إلى الضالّة المنشودة، والحلقة المفقودة التي كانت ضائعة مني، قد وجدتها أمامي أخيراً متمثِّلة في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سيرة رسوله الأعظم صلوات الله عليه».

ودافع هيرالال غاندي عن الإسلام، وطالب كلّ مَنْ يهاجمه أن يحاول أن يفهم الدين الإسلامي ويعرف





حقيقته قبل أن يُهاجمه، فيخاطب الهندوس قائلاً:

«خيرٌ لهؤلاء القوم إذا رغبوا في التخلُّص من حياتهم المريرة هذه، أن يُلقوا نظرة بسيطة خالية من التعصب، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامي -وإن لم يعتنقوا الإسلام- ثم لينصفوا بعد ذلك من تلقاء أنفسهم، وليعلنوا النتيجة لنا ولأمة المهاتما غاندي، ثم إلى العالم الشرقي والغربي».



نلاحظ هنا أن هيرالال غاندي يدعو الناس أولاً إلى معرفة الدين الإسلامي والقراءة عنه قبل مهاجمته والتعصُّب ضده، ونلاحظ -أيضاً- كيف حوّل الإسلام هيرالال غاندي وجعله يدافع عن هذا الدين بكل ما يملك من قوّة بعد أن اقتنع أن هذا الدين هو الدين الحقُّ.

انتهى مقال الأستاذ راغب السرجاني.

هل غاندي كان يحب المسلمين حقا؟؟؟

بقلم الأستاذ أنور الجندي رحمه الله

عن المهاتما غاندي:في كتابه «رجال اختلف فيهم الرأي»ـ: بعنوان غاندي سرق الحركة الوطنية من المسلمين. إنهُ الهندوسي الهندي المتعصب. الذي أخفى هندوسيته البغيضة وراء المغزل والشاة. وكان أول سياسي طالب بتأجيل الاستقلال منادياً بمهادنة السلطة وعدم مناوأة حكومة الاستعمار. وكانت فلسفة غاندي هي التعامي عن تصرفات المستعمر والاستسلام له.

والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيقي وعينوا قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا كل السلطات وقد ظهرت آثار المسلمين واضحة في الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوس فحاربوا المسلمين بكل سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والدس الرخيص.

عمد غاندي إلى القضاء على الحركة الاسلامية بأسلوب غاية في المكر والبراعة نحى بها المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس كان حريصاً ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند بعد أن ظلت تحكم الهند أكثر من خمسمائة عام مرة أخرى بعد أن أسقط دولتهم..



والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية، انتشرت في «لاهور» و« لكنؤ» ولم تلبث



أن حققت تقدما واضحا في هذا المجال.

فألفت الجمعية الإسلامية العامة في لكنو (بمباوي) وكان يشرف عليها كبار المسلمين في الهند مطالبين بحقوق المسلمين في الهند كوطنيين، وفي عام 1916 تنبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسيني أن يغادر الهند وقبض على أعوانه: أبو الكلام أزاد، حسرت مهاني، ظفر الله خان، محمد على، شوكت على.

وفي عام 1919 أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسية المسلمين، كان «غاندي» إلى تلك الآونة غير معروف في الهيئات السياسية في الهند، وكان متطوعاً في فرقة تمريض الجنود، وكان اسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل.

فتيامن به زعماء المسلمين رغم تحذيرهم منه وندبوه السعي إلى ذلك فقام وطاف الهند على

حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة، ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافة بالانضمام إلى الكونجرس «المؤتمر الوطني» الذى تأسس لملاحقة المسلمون، وانتزع حقوقهم في الهند.

فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكازاً على الثقة في «غاندي» وشرعت الأحزاب الهندوسية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات.

فارتاعت الحكومة «البريطانية» لهذا التغيير وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء الإسلاميين وزجتهم في السجون. ثم قد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل الوفاق القومي بين المسلمين والهندوس وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر.

فقد نقل إلى اللورد قال لغاندى: «إن مصدر الحركة الاستقلالية في الهند هم المسلمون، وأهدافها بأيدي زعماءها فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم، إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولا لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة ولما عقد اجتماع الكونجرس «ديسمبر سنة 1920» حضر غاندي وقال: «بما أن الزعماء يعتقلون، ولا سبيل للمداولة معهم في منهاج أعمال المؤتمر فاقترح عليكم تعييني رئيسا للمؤتمر، وتخويلي السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الاجراءات».





فوافقتـه اللجنـة علـى ذلـك دون أن تتنبـه إلـى مـا كان يغمـره هـو مـن المقاصد التي قد لا تنفق مع خطة المؤتمر، لذلك وقبل اجتماع مؤتمر الخلافـة قـال غانـدي للحكيـم أجمـل خـان: «إن إعـلان الاسـتقلال فـي الظـروف الواهنـة غيـر مناسـب». ومـا زال بـه حتـى أقنعـه بالعـدول عـن إعـلان ذلـك مـع أن الزعمـاء المسيحيون كانـوا ينتظـرون بفـارغ الصبـر،

فـي أغسـطس 1921 اجتمـع الكونجـرس تحـت رئاسـة غانـدي فـي أحمـد أبـاد فأعلـن أن الوقـت الذى يصـر فـيه المؤتمر باسـتقلال الهنـد لـم يحـن بعـد، فهـاج الأعضـاء وماجـوا.

وبعد ظهور هذا الفشل الكبير في سياسة البلاد اعترت المسلمين شكوك فـي تصرفـات غانـدي، واسـتيقنوا أن زعمـاء الهنـدوس متفقـون علـى ذلـك فـدب الانشـقاق بين الطرفين.

هـذا هـو النـص الـذى أورده العلامـة الزعيـم عبـد العزيـز الثعالبـي عـن دور المسلمين فـي الحركة الوطنيـة الهندية وكيـف قضـى عليـه غانـدي بالتآمـر مـع النفـوذ البريطانـي فانهـار مخطـط الاسـتقلال.

وفـي خلال سـجن زعماء الحركة المسلمين تسلم غاندي الحركة وحولها إلـى وجهة أخرى مخالفـة ممـا دعـا المسلمين مـن بعد إلـى المطالبة بكيان خـاص لهم.

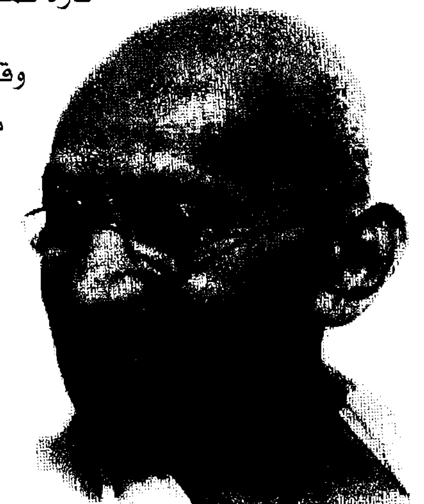
هذا هو غاندي في حقيقته التي لم تعرف في بلادنا وفـي المشرق.

والتـي أخفـيت عنـا تمامـاً خـلال تلك الفتـرة التـي كان المصريـون بتوجيـه مـن السياسـة البريطانيـة يعجبـون بغانـدي ويدعون بدعوته إلى استسـلام النفـوذ الأجنبـي وقبـول مـا يعـرض وعـدم العنـف.

وهـذه هـي الفلسـفة التـي استقاها غانـدي مـن تولستوي وذاعـت كثيـراً فـي بلاد المسلمين معارضة لمفهوم الإسـلام الصحيح من الجهاد المقدس فـي سـبيل اسـتخلاص الحقـوق المغتصبـة أبـان الحركة الوطنيـة المصريـة فـإن هـذه الصفحـات التـي ينشـرها بعـض الكتـاب لرسـم صـورة مزخرفـة لغاندي يجب أن لا تخدعنا كثيراً فإنه رجل هندوسـي متعصب لهندوسيته كاره للمسلمين.

وقـد كان هـو وتلميـذه نهـرو أشـد عنفـاً وقسـوة فـي معاملـة مسـلمي الهنـد، وقـد كانـت أنديـرا غانـدي ابنـة نهـرو أبان حكمهـا قـد حكمـت علـى المسلمين فـي بعـض المناطـق بتعقيمهـم عـن طريـق العمليـات الجراحيـة عمـلا علـى الحـد مـن تعـداد المسلمين فـي الهنـد.

فـيجب علينـا أن نعـرف الحقائـق ولا تخدعنـا الأوهـام

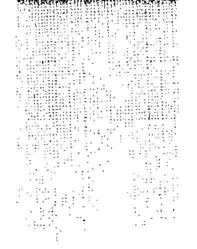




الكاذبة والصور البراقة التي يراد بها تغطية حقيقة وجريمة كبرى هي أن غاندي في الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحركة البريطانية وأدخل أمثال محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين أدخلهم السجون، وسحب الحركة الوطنية بالتآمر من أيديهم، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة. وذلك للعمل لخدمة الاستعمار البريطاني وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقلية فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيام باكستان والتحرير من نفوذ غاندي والهندوكية والاستعمار البريطاني..) ا. هـ

انتهى مقال الأستاذ أنور الجندي.





غاندي والساتياغراها

بقلم: رغداء زيدان/سوريا

هل تطبيق سياسة اللاعنف في حياتنا مهمة مستحيلة؟

تمهيد:

اشتهر غاندي بين الناس بأنه صاحب الدعوة إلى مبدأ الساتياغراها أواللاعنف مبدأ المقاومة السلمية ولكن سيرة هذا الرجل جديرة بالاهتمام لما فيها من أمور مهمة أخرى نحن بحاجة لتذكرها والعمل بها.

في هذا المقال أود الحديث عن بعض هذه الأمور كمسألة الخدمة العامة والتطهير الذاتي والأهميسا (الحب) ومبدأ الساتياغراها الذي أطلقه غاندي والذي عمل طوال حياته على ترسيخه وتفعيله في مجتمعه. وأود أيضاً أن أتحدث عن بعض تجارب غاندي في هذا المجال والأسباب التي دفعته لاتخاذه كوسيلة للمقاومة وخدمة المجتمع.

والهدف من هذا كله تذكير القراء بهذه المبادئ في وقت أصبحنا نعاني فيه من فقدان الحس بالمسؤولية والفاعلية ومن فرط العنف وسيادة لغة القوة والبطش في كل مكان في العالم سواء على المستوى العام بين الدول مع بعضها وبين الحكومات والمعارضة أم على مستوى العلاقات الإنسانية في نطاقها الضيق في البيت والمدرسة والشارع. وسأعتمد في حديثي على كتاب غاندي (قصة تجاربي مع الحقيقة سيرة المهاتما غاندي بقلمه) والذي أصدرته دار العلم للملايين في بيروت بترجمة منير البعلبكي.



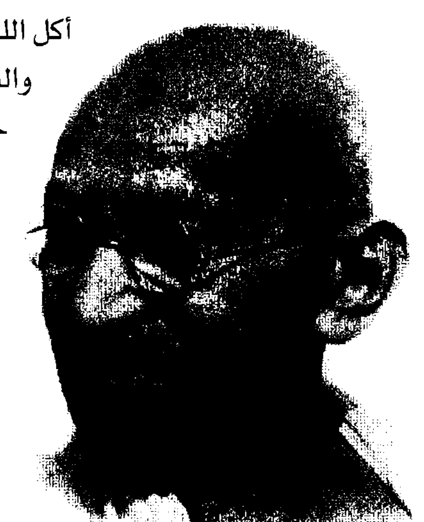
غاندي وقصة تجاربي مع الحقيقة:

كتب غاندي سيرته الذاتية بهدف تقديم مثال مفيد للناس في رحلة البحث عن الحقيقة. التي هي «المبدأ السيد والذي يشمل مبادئ أخرى عديدة وهذه الحقيقة ليست هي الصدق في الكلمة فحسب ولكنها الصدق في الفكر أيضاً وليست هي الحقيقة النسبية كما نتصورها فحسب بل الحقيقة المطلقة المبدأ الأزلي يعني الله أيضاً» (ص 8).

لقد انطلق غاندي من مبدأ البحث عن الحقيقة ليصل إلى أننا في هذا الكون نعيش لهدف وغاية وأننا حتى نصل إلى الحقيقة لابد لنا من أن نعرف طريقنا في هذه الحياة والغاية من وجودنا وقد عرف غاندي أن الإنسان وُجد لكي يكون مفيداً لغيره وليقدم ما يستطيع من أجل خير الجميع جميع الكائنات في هذه الأرض.

ولن يستطيع هذا الإنسان أن يكون مفيداً إلا إذا أحب مجتمعه وما فيه ولذلك فقد اعتبر غاندي أن الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقيقة هي (الأهميسا) والتي تعني الحب هذا الحب الذي يدفع الإنسان إلى خدمة مجتمعه والعمل على إصلاحه «فرؤية الحقيقة الكاملة **لا يمكن أن تتم إلا بعد تحقيق الأهميسا (الحب) تحقيقاً كاملاً.** ولكي يرى المرء «روح الحقيقة» الكلية الشاملة في كل شيء وجهاً لوجه يتعين عليه أن يحب أحقر الكائنات حبه لنفسه والرجل الذي يطمح إلى ذلك لا يستطيع أن يعتزل أي حقل من حقول الحياة وهذا هو السبب الذي من أجله قادني تعبدي للحقيقة إلى حقل السياسة» (ص 576).

من منطلق الحب هذا ولتحقيق هدف الخدمة الاجتماعية انطلق غاندي في رحلته فبدأ بنفسه محاولاً تطهير ذاته ليهيئ نفسه لخدمة مجتمعه. ويسرد لنا في كتابه هذا تجارب كثيرة وحوادث كثيرة يصف فيها طريقته في تطهير ذاته والتحكم بشهواته وضبط نفسه. وقد كان بالفعل صاحب إرادة قوية وعزيمة تستحق الإحترام بغض النظر عن موافقتنا أو رفضنا لما ألزم به نفسه من أنواع الأطعمة مثلاً سواء بهدف التطهير الذاتي أم الاستشفاء من الأمراض المختلفة فقد كان يعتبر الغذاء هو أساس الصحة (كان غاندي نباتياً وقد امتنع عن أكل اللحم والذي يعني عنده كل ما تنتجه الحيوانات كالحليب والبيض أيضاً وكان امتناعه هذا لسبب ديني فأكل اللحم حرام في شريعته الهندوسية ورغم كل الضغوط التي واجهها لم يتراجع عن امتناعه هذا وسنجده فيما بعد قد اقتصر على أنواع محددة من الأطعمة النباتية حسب ما كان يعتقده من ضرورة للتطهير الذاتي) أو بما حرمه على نفسه كاعتزال زوجته في آخر الأمر مبرراً ذلك أن الأمر ليس مجرد مسألة من مسائل





الجسد فالأمر يبدأ بالكبح الجسدي ولكنه لا ينتهي هناك بل إنه يصل في غاية كماله إلى طهارة الفكر فلا يخطر على البال خاطر الشهوة أصلاً. هذا بالإضافة إلى لجوئه إلى الصيام في حالات كثيرة فكان يعتبره دواء وكفارة للخطايا فكان إذا حصل معه ما يراه خطأ سارع إلى الصيام كتكفير لهذا الخطأ.

والملفت أن غاندي كان لا يعتبر امتناعه هذا نوعاً من الحرمان بل إنه كان يدفع نفسه إلى الاستمتاع بوضعه الجديد قدر استطاعته وكان يشجع أفراد أسرته على ضبط النفس والالتزام بما هو مفيد لصحتهم من وجهة نظره مهما كان صعباً (مرضت زوجته مرضاً خطيراً مرة فتوسل إليها بعد أن أخفقت جميع أدويته لأنه كان هو الذي يتولى علاجها بطرقه الخاصة المعتمدة على العلاجات بالماء والتراب توسل إليها أن تجتنب الحبوب والملح ولكنها رفضت ذلك وقالت له إنه شخصياً لن يجتنب الملح والحبوب إذا طُلب منه ذلك فقال لها أنت مخطئة. لو كنت مكانك لاجتنبتها وأعلن أمامها أنه سيترك تناول الملح والحبوب عاماً كاملاً سواء فعلت هي مثله أم لا مما جعل زوجته تلتزم بنصيحته ولم يتراجع غاندي عما ألزم به نفسه وبالفعل امتنع عن أكل الحبوب والملح كما قال عاماً كاملاً ص 379).

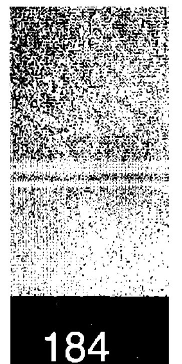
ومن خلال التطهير الذاتي استطاع غاندي أن يتخلص من مظاهر استلابية كثيرة فبعد أن كان يخجل من لباسه الهندي البسيط عندما سافر إلى بريطانية لإكمال دراسته نجده قد اعتمد هذا اللباس في مراحل حياته التالية. ونجده أيضاً وقد عرف أن تقليد المظاهر الحضارية ليس هو التحضر المطلوب ففي بريطانية ذلك البلد الأوروبي الذي له عاداته وتقاليده التي تختلف كلياً عن عادات بلد فقير كالهند حاول غاندي تقليد هذه العادات حتى لا يبدو متخلفاً ولا يصبح أضحوكة فصرف مبلغاً ضخماً لتفصيل بدلة على الطراز الغربي وسجل في دورة للرقص وفي دورة لتعلم الكمان ودروة للخطابة كل هذا حتى يصبح رجلاً متحضراً في عيون الإنكليز الذين يتعامل معهم. ثم انتبه إلى نفسه سريعاً وعرف أنه وقع في فخ شبيه بالفخ الذي وقع فيه ذلك الناسك الذي وجد قطة فأراد إطعامها فاشترى بقرة ثم وجد أن هذه البقرة بحاجة إلى من يعتني بها فاستأجر رجلاً للقيام بهذه المهمة وهكذا حتى تضخمت الطلبات وعجز عن الوفاء بها. لقد عرف غاندي أن هذا الالتزام بهذه المظاهر لا يدل على التحضر الحقيقي ووجد أنه ينفق ماله ووقته على أشياء ليس بحاجة لها فقرر ترك دورات الكمان والخطابة والرقص وعمل جهده على تعلم ما يفيده ويفيد بلده فعمل على الاهتمام بدرسه وعلمه حتى أكمل تحصيله العلمي في الحقوق وعاد إلى بلده الهند.

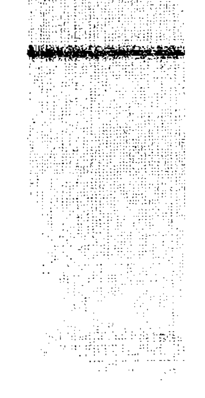
ويذكر لنا غاندي أنه عندما عاد للهند وجد أن الاجتماعات المهمة يتم الخطابة فيها باللغة الانكليزية فمرة حضر مؤتمراً وعندما طلبوا منه أن يخطب فيه قال جملة واحدة بالهندوستانية فوجد أن الكل جاؤوا لتهنئته وقالوا إنها المرة الأولى التي يتحدث فيها رجل باللغة الهندوستانية في اجتماع كهذا. وقد قال غاندي واصفاً



الألم الذي شعر فيه جراء هذه الحادثة: «كان في التهنئات الموجهة إلي واكتشافي أني كنت أول من تكلم بالهندوستانية في اجتماع برئاسة نائب الملك أقول كان في تلك التهنئات وذلك الاكتشاف ما جرح كبريائي الوطنية. لقد شعرت وكأني أتقلص في جلدي. فيالها من فاجعة أن تكون لغة البلاد محرمة في اجتماعات تعقد في البلاد من أجل عمل يتصل بالبلاد وأن يكون خطاب يلقيه بالهندوستانية شخص ضال مثلي مسألة تستحق التهنئة! إن أحداثاً مثل هذه لتذكرنا بالدرك الخفيض الذي تردينا فيه» (ص511)

أصر غاندي على تعليم أولاده لغتهم الأصلية حتى وهو في غربته في جنوب إفريقيا في وقت كان فيه تعلم الثقافة الإنكليزية مطلب من المستحيل التخلي عنه لمن أراد الحصول على مكانة اجتماعية مرموقة.



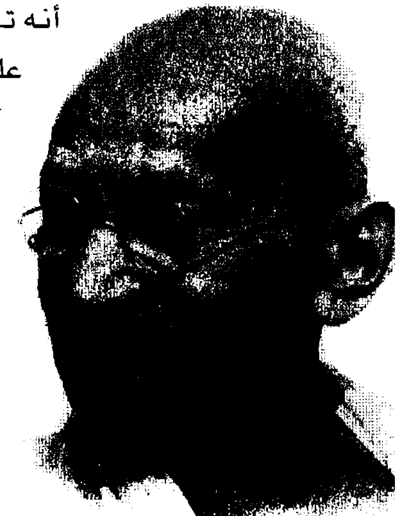


لقد أراد غاندي لأولاده أن يكونوا هنوداً حقيقيين فمن كان همه الخدمة العامة يجب أن لا يكون غريباً بفكره وروحه عن مجتمعه.

وهذا الذي تنبه إليه غاندي بفطرته يغفل عنه معظم إخواننا العرب المغتربين في البلاد الغربية فيهملون تعليم أولادهم لغتهم العربية ويعيشون حالة من الازدواجية الغريبة والمؤلمة التي تجعلهم غرباء عن أوطانهم وغرباء عن البلاد التي يقيمون فيها.

لقد فهم غاندي أن ما يحتاجه التحضر ليس هذه المظاهر ولكنه يحتاج إلى تهيئة النفس لتكون قادرة على خدمة المجتمع وهكذا فقد انتقل من الاستلاب إلى التأصيل رغم أنه لم ينغرس في استلابه كثيراً لأنه كان رجلاً فطرياً متمسكاً بالأخلاق وكان صاحب هدف يسعى لتحقيقه من خلال تطهير نفسه وتهيئتها لتكون قادرة على بلوغ ذلك الهدف المنشود وهو الخدمة العامة التي عاش حياته كلها في سبيلها.

هذا الضبط الذاتي جعل بإمكان غاندي أن يتحكم بقضية المصاريف أيضاً فكان رجلاً مقتصداً لا ينفق المال إلا في مكانه وقد تعلم ذلك منذ أن كان طالباً في إنكلترا فقد كان يتلقى المال من أخيه في الهند وكان لا يريد تحميل أخاه تكاليف إضافية فوق ما يحتمله يكفي أنه ترك زوجته وابنه في رعايته وأنه يعتمد في مصروفه عليه أيضاً فصار يسجل مصاريفه ويراجعها وعندما يجد أنه أنفق ماله على أشياء غير ضرورية كان يلغي بند الإنفاق هذا حتى قلص مصروفاته إلى الحد الأدنى.



وبقي غاندي رجلاً مقتصداً طوال حياته وهذا لا يعني أنه كان بخيلاً بل كان ينفق أموالاً كثيرة إذا وجد ضرورة لذلك ولكنه كان حريصاً على وضع



كل قرش في مكانه الصحيح وهذا ما جعله أهلاً لثقة الهنود فكانوا يضعون مدخراتهم عنده ويأتمنونه على ما يملكون.

وفي حقل الخدمة العامة لم يكن غاندي منظّراً فقط بل كان إنساناً لا يتوانى عن القيام بأي عمل مهما كان في سبيل إصلاح مجتمعه وخدمته حتى لو اضطر إلى تنظيف المراحيض وقد فعل ذلك. ومراحيض تلك الأيام ليست كما هي اليوم (أذكر القارئ أن غاندي من مواليد 1869 وتوفي سنة 1948م) لقد كانت أشبه بحوش وهو يحتاج إلى تنظيف دائم وإلا أصبح مرتعاً للجراثيم ومصدراً للأمراض وهذا ما حصل بالفعل وقد كان غاندي يقوم بما يراه ضرورياً من أعمال التنظيف تلك.

وعلى ما يبدو فإن الهنود لم يكونوا يهتمون بالنظافة العامة وقد وجد غاندي أن الناس في القطارات مثلاً يوسخون ويبصقون ويرمون قاذوراتهم في كل مكان

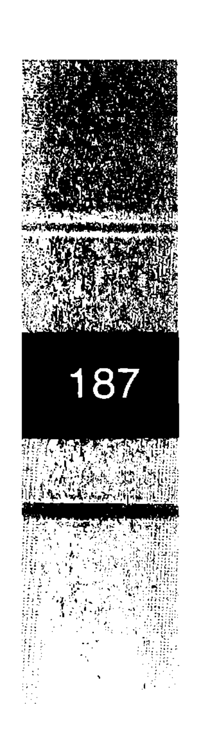
ويتلفظون بالكلام البذيء وغير ذلك من المظاهر المزعجة ومسؤولو السكك الحديدية لا يفعلون شيئاً حيال ذلك فكانت عربات القطار أشبه بحظيرة قذرة فقرر غاندي تكثيف رحلاته في تلك القطارات وصار يقوم بتوعية الناس وحثهم على النظافة المادية والمعنوية وصار يبعث بخطابات الشكوى إلى مسؤولي السكك الحديدية بسبب مظاهر الإهمال مرات ومرات حتى أوجع رؤوسهم كل هذا حتى يستطيع إصلاح هذا الوضع المزري. صحيح هو لم يصل إلى التغيير الشامل ولكنه بذر بذرة ذلك التغيير.

إننا نجد في سيرة غاندي صورة للرجل العامل الذي كان يندفع للتطبيق العملي ولا يقتصر على الخطابات والوعظ بل إنه كان يقوم بأيٍ عمل يستطيعه في سبيل المصلحة العامة مهما كان هذا العمل حقيراً يترفع عن القيام به الآخرون وكان يعلم أولاده ذلك وقد أوكل إليهم مهمات كثيرة من هذا القبيل فكانوا لا يترفعون عن القيام بأعمال التنظيف والأعمال الأخرى التي تخدم أمتهم.

ورجل كغاندي كان يهمه الخدمة العامة كان حريصاً على التعاون مع كل رجل مهتم بهذه الخدمة العامة مهما كان دينه أو عرقه أو طبقته. ونحن نعلم أن الهند مجتمع خليط من الأديان والأعراق والطبقات فهناك المسلم والمسيحي والهندوسي...وهناك أهل الطبقة العليا والمنبوذون.....إلخ



غاندي لم يكن يفرق بين أحد من الناس فقد كان يتعامل مع الجميع باحترام ومحبة وكان يحترم الأديان ومعتقدات الناس فكان له أصدقاء مسلمون ومسيحيون بل إنه تعامل مع المنبوذين وهنا أذكّر القارئ بأنه يوجد مبدأ في الديانة الهندوسية



يسمى مبدأ (اللامساسية) ووفق هذا المبدأ يحرم مثلاً على المنبوذ أن يملأ دلوه من بئر يشرب منه أهل الطبقة الأعلى حتى لا تسقط قطرات من دلوه فتتجس ذلك البئر وهؤلاء المنبوذون ليس لهم أمل في الانتقال إلى طبقة أعلى. غاندي كان من أسرة محترمة ولم يكن من المنبوذين ولكنه مع ذلك كان لا يؤمن بمبدأ اللامساسية هذا وكان يختلط بالمنبوذين وقد عاش مع أسرة منهم في معبد وكان يأكل معهم ويتعامل معهم كما يتعامل مع غيرهم بكل احترام وود بل إن الطاعون عندما حل في البلد مرة قام غاندي وجماعة معه بالتفتيش في مراحيض هؤلاء المنبوذين والغريب أنه وجدها كما قال أكثر نظافة من مراحيض الأغنياء ووجد منهم كل تعاون وترحيب.

لقد كان غاندي يسعى لخدمة مجتمعه بكل ما يملك من إمكانات وكان يسعى لإصلاح نفسه بالتوازي مع خدمة مجتمعه فلم ينتظر أن يصير قديساً حتى يبدأ بالخدمة العامة ولكن عمله في إصلاح نفسه وفي خدمة مجتمعه كانا يسيران معاً وكم من مرة اعترف بخطأ ارتكبه مهما كان ذلك مكلفاً وبأنه تسرع في أمر ما ويذكر لنا مثلاً كيف غيّر معاملته لزوجته فبعد أن كان يراها للمتعة فقط وكان يعاملها معاملة سيئة متسلطة عرف قيمتها وصار يحاول إشراكها في أعماله لقد فهم أنها شريكته وأن لها كيانها وشخصيتها.

إن مراجعة صغيرة لسيرة غاندي تعطينا صورة لرجل أخلاقي بالفطرة رجل كان صادقاً في وعده موفياً بما ألزم به نفسه صاحب إرادة قوية وصاحب رسالة سامية.

إن محبته لمجتمعه ولما حوله من الكائنات جعلته يعتمد مبدأ الساتياغراها ذلك المبدأ الذي شرحه وحاول تطبيقه بشكل عملي من أجل تخليص بلده من الاستعمار البريطاني. فما هو هذا المبدأ؟

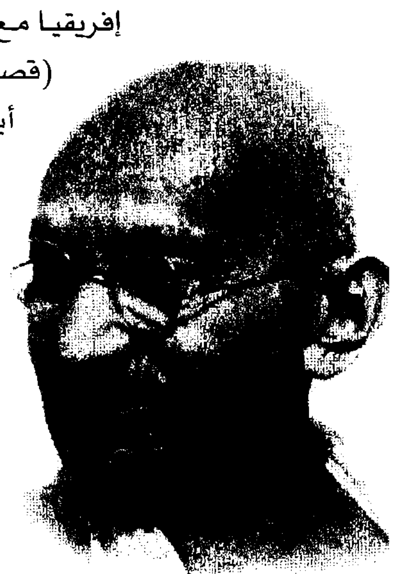
الساتياغراها أو اللاعنف:

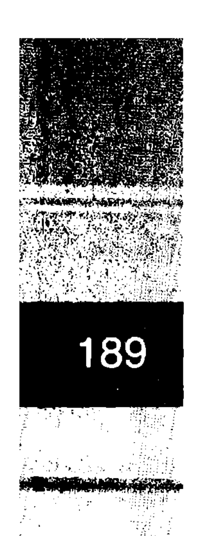
يقول غاندي إن مبدأ الساتياغراها وُلد عندما كان مقيماً في جنوب إفريقيا ذلك البلد العنصري الذي كانت تقيم فيه جالية هندية كبيرة كانت تتعرض للتمييز العنصري البغيض بصورة بشعة وقد ذكر لنا غاندي قصصاً كثيرة تظهر بشاعة هذا التمييز الذي كان يتعرض له كل من ليس أوروبياً في تلك البلاد.

أما مبدأ الساتياغراها فقد نشأ هناك وكانت هذه الحركة كما يقول غاندي تسمى «المقاومة السلبية» وقد اكتشف غاندي في اجتماع لبعض الأوروبيين أن تعبير «المقاومة السلبية» كان يؤول تأويلاً ضيقاً حتى لقد أُفترض أنه سلاح الضعيف وأنه قد يتميز بالبغض وأنه قد يتخذ آخر الأمر شكل العنف وهنا رأى غاندي أنه يتوجب عليه شرح حقيقة هذه الحركة الهندية وأراد اختيار اسم يعبر عن مضمون الحركة فأعلن في مجلة «الرأي الهندي» أنه سيقدم هدية رمزية للقارئ الذي يقترح اسماً مناسباً للحركة فتقدم أحدهم باسم (ساداغراها: ساد= الحقيقة وآغراها= الثبات) فصار اسم الحركة بعد تصحيفه «ساتياغراها» والتي تعني «الثبات على الحقيقة». (ص371). (سرد غاندي تجاربه في جنوب إفريقيا مع الساتياغراها في كتاب وقد تُرجم إلى العربية بعنوان (قصة اللاعنف في جنوب إفريقيا) ترجمه منيرالبعلبكي أيضاً ونشرته دار العلم للملايين في بيروت).

ومن خلال القصص التي ذكرها غاندي في سيرته نستطيع أن نلخص خصائص الساتياغراها عدة نقاط:

1 - الساتياغراها لا تعني الضعف بأي حال من الأحوال بل هي تعني القوة بأجلى صورها إن الثبات







على الحقيقة الثبات على الموقف وعلى الحق يحتاج إلى إرادة كبيرة لا تتوفر لأي كان لأن هذا الثبات سيتعرض لامتحانات كثيرة قد تجبر كثيرين على التراجع والتسليم. كما أن الثبات على الحقيقة يتطلب أن يكون الإنسان مستعداً للتضحية مستعداً للاضطهاد وهذا كله يحتاج إلى قوة وإرادة واستعداد للبذل.



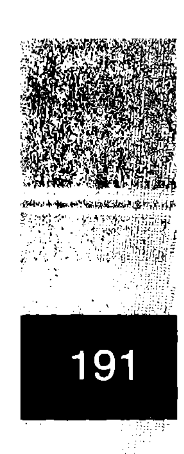
2 - الساتياغراها لا تكتمل إلا بالحب فهي لا تؤدي إلى كره من نقاومه فقد كان غاندي يحث أتباعه على كره الإثم وليس كره الآثم. إن الساتياغراها هي مبدأ الحب حب الخير للجميع ومن دون هذا الحب فإن العنف سيطل برأسه وستمتلأ النفس بالرغبة بالانتقام والبغض.

3 - الساتياغراها إذا أُستخدمت بشكلها الصحيح



فإنها لا تحتاج إلى العنف ولكنها تحتاج إلى ضبط النفس والتحكم بالذات والصبر وقوة الاحتمال فمن يتعرض للأذى بسبب موقفه الثابت على الحق ولا يرد العنف بمثله ولا يسمح للبغض أو الرغبة في الانتقام بالتسلل إلى نفسه فهو إنسان قوي جداً وليس ضعيفاً أبداً بل إننا نرى أن اللجوء إلى العنف هو وسيلة سهلة بالمقارنة مع ضبط النفس وكبحها وعدم الرد على الإساءة بمثلها وفوق ذلك أن يتمتع (الساتياغراهي) بالحب الذي يدفع إلى الإحسان إلى من أساء.

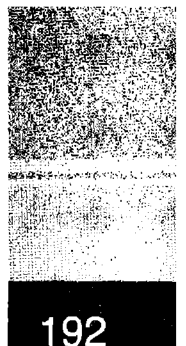
4 - الساتياغراهي كما قال غاندي «يطيع قوانين المجتمع طاعة عاقلة وبمحض إرادته لأنه يعتبر أن ذلك واجب مقدس ولن يكون في ميسور المرء أن يبدي رأياً في القوانين ويصف بعضها بالصلاح والعدل

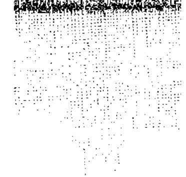


وبعضها الآخر بالطلاح والاجحاف إلا إذا أطاع قوانين المجتمع على هذا النحو والتزمها التزاماً دقيقاً عندئذ فقط يصبح ذا حق في أن يعصي القوانين عصياناً مدنياً في ظروف محددة» (ص541). إن هذا الكلام يعني أن الساتياغراها ليست حركة رفض غير واعي لمجرد الرفض بل هي حركة واعية عاقلة تعرف ما تريد وتعرف لماذا تقاوم ليست حركة فوضى وشغب بل حركة بناء وتصحيح.

لقد وجد غاندي من خلال تجاربه أن مبدأ الساتياغراها بحاجة إلى نشر بصورته الصحيحة بين الناس ووجد أن الشعب لن يفهم هذا المبدأ ما لم تقم فئة واعية باستخدامه بينهم بصورته السليمة الصحيحة لذلك فقد توجه إلى العمل على إيجاد فئة واعية تفهم مبادئ الساتياغراها ويكون عليها إفهامها للناس بشكل عمليّ واضح وعن طريق التثقيف والتوعية العامة.

إن إصرار غاندي على نشر مبدأ الساتياغراها يدل على إيمانه العميق بها وبأنها السبيل الأسلم للمقاومة ولا ننسى أن غاندي استخدم الساتياغراها في جنوب إفريقيا كما قلنا وهي بلد عنصري له ظروفه الخاصة والهنود كانوا فيه جالية مهاجرة وهذه الجالية ليست لوناً واحداً إنها مجتمع الهند المصغر بطوائفه وأعراقه وأديانه وعندما عاد غاندي للهند استمر في دعوته للاعنف رغم أن الهند كانت بلداً محتلاً عمل فيه الانكليز على تفرقة الناس وإثارة النعرات الطائفية بين الناس وقد وجد غاندي أن العنف لن يؤدي إلا إلى الخراب والتدمير وبينما الثبات على الحقيقة سيجمع أفراد الشعب الهندي وسيجعلهم قوة لا يستهان بها ستتحقق النصر المنشود في النهاية دون ريب.





هل تطبيق سياسة اللاعنف في حياتنا مهمة مستحيلة؟

في دين الإسلام مبادئ هامة وعظيمة ونحن للأسف نذكرها دون أن نفعّلها في حياتنا. فمن منا لا يتذكر الآيات الكثيرة التي تدعو إلى العفو والتسامح وعدم رد السوء بمثله من مثل قوله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:199). وقوله تعالى:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:134). وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان: من الآية63) وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:35)

ومن منا لا يتذكر كيف ثبت أصحاب النبي ﷺ على تعذيب الكفار لهم في مكة دون أن يتراجعوا عن الحق الذي يؤمنون به ودون أن يلجؤوا إلى الانتقام بعد أن واتتهم الفرصة لذلك.

ومن منا لا يتذكر تلك القصص التي تصور رجلاً يمسك بخناق الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف تعامل النبي معه بصبر وكيف منع الصحابة من الرد على هذا الرجل الجاهل بعنف؟



ومن لا يتذكر وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه في حروبه التي خاضها والتي حفظوها وبلغوها لبعضهم بعضاً بعدم قطع الأشجار وعدم قتل الحيوانات وعدم الاعتداء على ممتلكات الناس وعدم قتال إلا من قاتلهم؟

للأسف فإن كل هذه التعاليم تُردد دون أي تفعيل عملي على أرض الواقع وكأنها وُجدت للقراءة فقط وكأنها غير قابلة للتطبيق أصلاً.



إن دراستنا لمبدأ الساتياغراها يهدف بالدرجة الأولى إلى تذكير القراء بنموذج (عملي معاصر) نُفّذ على أرض الواقع لسياسة اللاعنف سياسة الثبات على الحق دون كره أو بغض. صحيح هو مثال ليس إسلامياً ولكنه رغم ذلك يتوافق مع تعاليم الإسلام التي أُهملت وغُيّبت عن حياتنا وتعاملاتنا.

كثيرة هي مظاهر العنف في حياتنا بدءاً من البيت وصراخ الأم على أطفالها وضرب الأب لأولاده ومشاجرات الأخوة مع بعضهم إلى المدرسة وتعنيف المدرس لطلابه بالضرب والشتائم ومشاجرات الطلاب مع بعضهم إلى الشارع وتحفز الناس ضد بعضهم البعض بدءاً من الحافلة إلى الدائرة الحكومية إلى المستشفيات.....إلخ حتى نصل إلى المستوى العام وما نراه من مظاهر البطش والعنف داخل الدولة الواحدة كما في العراق مثلاً أو بين الدول.

لقد صارت مظاهر العنف والبطش وما يرافقها من بغض وكره منتشرة بصورة كبيرة بيننا ونحن نلمس الآثار السيئة جداً من جراء ذلك وانعكاساتها على حياتنا.

فغياب التراحم والمودة في الأسرة الواحدة وسيادة الكره والبغضاء والاحتقار بين المدرس وتلميذه وغياب التسامح واللطافة في تعاملات الناس مع بعضهم إلى انتشار الحروب وغياب الأمن وانتشار الفقر وصرف المال اللازم للتعليم والصحة على التسلح......إلخ كل هذا ما هو إلا بعض الآثار السيئة لسيادة لغة العنف والبطش بين الناس.

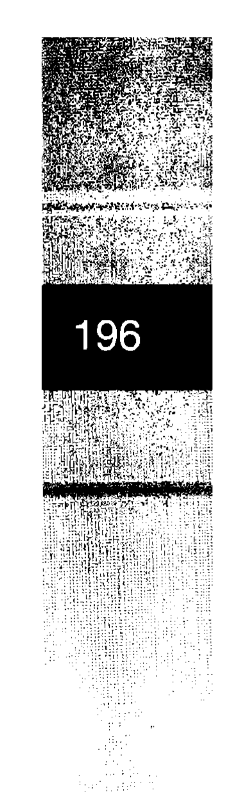
وإذا تساءلنا عن أسباب انتشار العنف بهذا الشكل سنجد أننا بحاجة لدراسة موسعة ليس هنا مجالها ولكن يكفي أن نشير إلى أن التعبير العنيف أسهل بكثير من ضبط النفس وهو مظهر ضعف ويعبر عن فشل في التعامل مع الأوضاع والأشخاص كما أنه يعبر قبل كل ذلك عن غياب المحبة محبة الأوطان والأشخاص فالإنسان الذي يلجأ للبطش والتخريب يكون على استعداد للتضحية ببيئته ووطنه وتصرفه هذا يدل على عدم حرصه على هذا الوطن وعدم تقديره لقيمة الحياة بمعناها الإنساني السامي.

إن الدعوة إلى اللاعنف هي دعوة إلى القوة وإلى ضبط النفس وإلى الثبات على الحقيقة وللأسف فإننا لا نجد بين مثقفينا من يدعو إلى هذا المبدأ إلا نادراً (جودت سعيد وهو أكثر من دعا إلى مبدأ اللاعنف مازالت دعوته حبيسة إطارها النظري التنظيري البعيد عن الإطار العملي المطلوب) بل إننا نجد أن من يدعو إلى اللاعنف يُخوّن ويوصف بالضعف والتخاذل والانبطاح.....

والملفت أن هؤلاء حكموا على هذه الدعوة دون أن يحاولوا تطبيقها أو فهمها أصلاً ولا نكاد نرى محاولة للتطبيق حتى على المستوى الضيق في إطار البيت أو المدرسة مثلاً فكيف سنجد لها تطبيقاً على مستوى مقاومة العدو بهدف استعادة الحقوق المسلوبة؟



إن نظرة سريعة لما يجري حولنا من أحداث تؤكد أن العنف لا يخدم إلا الأعداء أنفسهم وأنه وسيلة تدمير ذاتية ولنا في مثال العراق وفلسطين عبرة إن ما يجري الآن في العراق مثلاً من تفجيرات وتقتيل وتخريب لا يصب إلا في مصلحة العدو ويزيد من الضعف والتشرذم والبغضاء. أما في فلسطين فإن المسارعة إلى حل الخلافات الناشئة بين أهل البلد الواحد عن طريق البندقية أدى إلى تقسيم القوى وتشتيت الجهود الرامية إلى مقاومة العدو الأساسي وهو إسرائيل وتوجهت الجهود كلها لتبرر عنف كل طرف تجاه الآخر وفي النهاية فإن



من يدفع الثمن ثمن كل هذا العنف هم الناس البسطاء الذين صاروا الآن في حبس داخل حبس ويعانون من عنف مركب قلب حياتهم جحيماً.

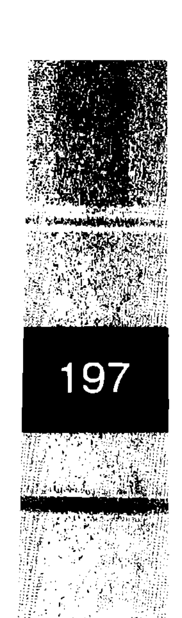
لن أخوض في أمثلة أخرى قد يفسرها بعض القراء على أنها دعوة إلى التخاذل أو المهادنة ولكنني أدعو القراء الكرام لمراجعة لسيرة الرسول ﷺ وكيف كان تعامله مع أعدائه إن الحروب التي خاضها الرسول ﷺ كانت تتبع المصلحة العامة تلك المصلحة التي تعني الحفاظ على الحياة والحفاظ على البيئة والأرواح وعدم التضحية بما لا داعي للتضحية به عدم تخريب ما لا حاجة لتخريبه بل إن كل حروبه ﷺ تعطينا مثلاً واضحاً على الحب الذي كان الدافع إلى العمل على تقليل الخسائر إلى حدها الأدنى سوآءا في صفوف المسلمين أم في صفوف أعدائهم ولا بد من أن نتذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء:107).

أما إذا حاولنا أن نجيب على السؤال الذي عنونا به هذه الفقرة فإننا نقول إن تطبيق سياسة اللاعنف في حياتنا ليست مهمة مستحيلة ولكنها مهمة ملحة في وقتنا الحالي إنها مهمة ضرورية ولازمة في زمن نعاني منه من فرط العنف في كل مكان. ويمكن الوصول إليها وتطبيقها بشرط أن نتعرف على خصائص هذه السياسة وفوائدها ونربي أنفسنا وأولادنا عليها فالتربية هي الوسيلة التي ستوجد فئة واعية تستطيع نشر هذه السياسة بين الناس عن طريق تطبيقها العملي الصحيح.



وقبل كل ذلك أن نحب أوطاننا وأهلنا ونحب الحياة والكائنات وهنا أكرر أن الدعوة إلى اللاعنف لا تعني الضعف والتخاذل والتنازل عن الحقوق ولكنها تعني الثبات والإرادة والقوة ومعرفة ما نريد وكيفية الوصول إليه وتحقيقه.

انتهى مقال الأستاذة رغداء زيدان.



غاندي والبقرة:

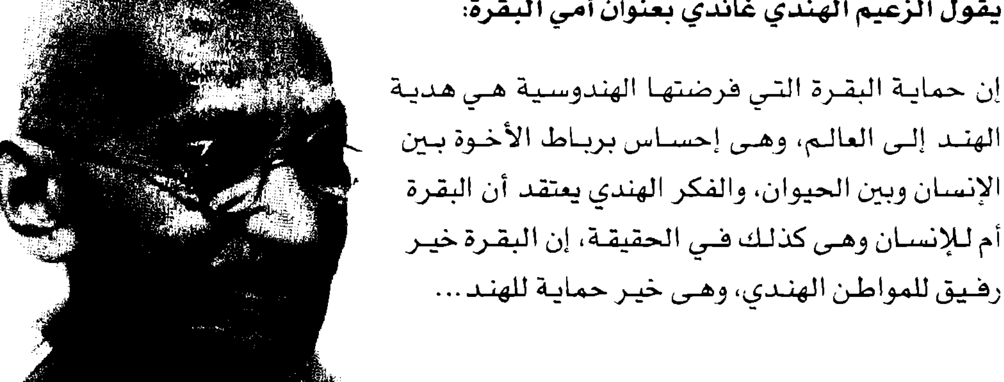
من كتاب (أديان الهند الكبرى - الدكتور أحمد شلبي - ص60):



اقرأ ما يقوله غاندي لتعرف حجم المأساة عندما تُغيب القدوات الحقيقية ويربى أولادنا على تعظيم غاندي. وتذكر أنه كان في الهند أبطال حقيقيون من علماء المسلمين الذين غُيبوا وقتلوا على يد الاحتلال البريطاني بلا رحمة ولم يُلمعوا كما لمع غاندي:



يقول الزعيم الهندي غاندي بعنوان أمي البقرة:



إن حماية البقرة التي فرضتها الهندوسية هي هدية الهند إلى العالم، وهى إحساس برباط الأخوة بين الإنسان وبين الحيوان، والفكر الهندي يعتقد أن البقرة أم للإنسان وهى كذلك في الحقيقة، إن البقرة خير رفيق للمواطن الهندي، وهى خير حماية للهند...

عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً، لأنى أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع....

وأمي البقرة افضل من أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً، ولا تتطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي.

وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة، وأما أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئاً ذا بال، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهى حية، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون، أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم، ولكن لأبين السبب الذى دعاني لعبادة البقرة، إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعد نفسى واحداً من هؤلاء الملايين

يتحدث الكتاب عن انتقال المهاتما غاندي الى قرية اسمها سيغاون في عام 1936. واعاد تسمية القرية لتكون سافاغرام، أي قرية الخدمات.
غاندي مع زوجته كاستوربا كانا يستقبلان سيلا متواصلا من الضيوف في لحظات كان يوثقها الشاب كانو غاندي قريب الصلة بالمهاتما بالصور التي كان يلتقطها للزعيم بكاميرا من نوع روليفليكس كان غاندي طلب سعرها من رجل أعمال 100 روبية (1.49 دولار) قدمها لكانوا ليشتري بها الكاميرا.



ظهرت الى العلن 92 صورة نادرة للمهاتما غاندي التقطها شاب مقرب منه خلال العقد الأخير من


صور نادرة للمهاتما غاندي في آخر 10 سنوات من حياته!

حياته في كتاب انيق من انتاج مؤسسة نزار غير الربحية التي أنشأها اثنان من اشهر مصوري الهند هما براشانت بانجيار ودنيش خانا.

شروط الزعيم!

الزعيم فرض ثلاثة شروط على المصور الشاب. إذ منعه من استخدام ضوء الفلاش أو الطلب بالتوقف لتصويره أو تولي الكوميونة تغطية تكاليف التصوير. التقط كانو خلال السنوات الممتدة حتى اغتيال غاندي عام 1948 نحو 2000 صورة فوتوغرافية لأعظم زعيم قاد الحركة من أجل استقلال الهند. وظلت صوره مغمورة حتى ظهرت مرة واحدة لدى باحث الماني بدأ يجمعها ويبيعها. وتلاقي الصور رواجا تجاريا واسعا بسبب موضوعها الذي كان رجلا اضرب عن الطعام اكثر من 12 مرة في اطار احتجاجات لاعنفية لتحقيق الاستقلال والسلام ومطالب المسلمين الهنود أو التنديد بأعمال الشغب.

امتحان الذات

ونقلت بي بي سي عن المصور سانجيف سيث الذي أسهم في اعداد الكتاب المصوَّر قوله انها «صور رجل كان دائم الامتحان لنفسه» وهي تروي الكثير عن غاندي. ولاحظ المصور بانجيار ان كانو كان يستطيع الوصول الى غاندي بسهولة ولكنه دائما حافظ على مسافة من الاحترام بينه وبين الزعيم الايقونة ربما بسبب مشاعر الاجلال التي يكنها لغاندي ومع ذلك تمكن من نقل احساس بالحميمية والقرب في صوره.

ويؤرخ كتاب كانو الأول من الصور الفوتوغرافية، رحلة الزعيم السياسية والشخصية في العقد الأخير من حياته بتفصيل حي. ويضم الكتاب صورا لغاندي في العديد من امزجته ومع انصاره. يقول المصور بانجيار: «ان هذه الصور قد تكون قديمة ولكنها ليست من الطراز القديم بل جرى التقاطها بطريقة جميلة واضحة وتأطير حريص، انها صور انيقة كانت شعبية».

ونقلت بي بي سي عن المصور سانجيبف سيث ان صورة كاستوربا زوجة غاندي ممددة على السرير في عام 1944 قبل اشهر على وفاتها من الصور المفضلة لديه. وقال انها صورة امرأة متقشفة تحتضر على السرير وهي «صورة تهزني»، على حد تعبيره.

ويضم الكتاب سلسلة من الصور يظهر فيها غاندي وهو يجمع تبرعات لصندوق أُنشئ من اجل افراد طبقة المنبوذين خلال رحلة استمرت ثلاثة اشهر بالقطار الى البنغال واسام وجنوب الهند في 1945. ويظهر غاندي في بعض الصور مادا يده من عربة



القطار الى المحسنين وفي اخرى محاطا بأشخاص ويجمع النقود في سلة. وقال سيث ان غاندي شيخ طاعن في السن ولكنه خفيف الحركة ويكاد ان يستجدي الصدقات وهو يجمع كل قطعة من النقود في سبيل قضية نبيلة. «فهو يفهم قوة المال». كان كانو يلتقط صورا كل يوم لكونه الوحيد المسموح له بتصوير غاندي في اي وقت. وسُمح له بتصوير غاندي يبتهل بجانب سرير زوجته التي توفيت في فبراير 1944، تلك ليلة باردة قال المهاتما فيها: «بعد 60 عاما من الرفقة الدائمة لا أستطيع ان اتخيل الحياة بدونها». المفارقة الكبرى ان المصور كانو الذي رافق غاندي كظله كان في منطقة نواخالي في البنغال الشرقية حين قُتل زعيمه عام 1948. وقال المصور بانجيار «ان موت غاندي ترك أثرا عميقا في حياة كانو وزوجته ابها. وان التصوير الفوتوغرافي لم يعد عند كانو مهما بقدر أهمية الحاجة الى نقل رسالة الزعيم». توفي كانو غاندي بعد اصابته بنوبة قلبية اثناء الحج في شمال الهند في شباط 1986.

تنهت مقالة عاندي والبقرة» للدكتورة أحمد شلبي.



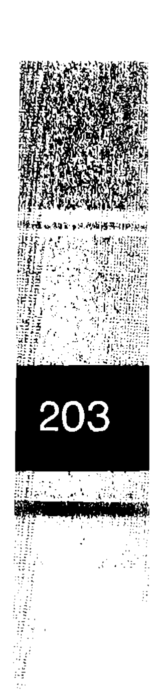
قراءة فـي كتاب:
" طموح غاندي العاري"
يتصدر مبيعات الكتب فـي الهند

للمؤرخ الإنجليزي جاد آدمز

وبعد مرور أكثر من ستين عاما على وفاة غاندي «أبو الأمة» كما يطلق علية فـي الهند صدر كتاب Gandhi» : Naked ambition» «غاندي: الطموح العاري» للمؤرخ الإنجليزي جاد آدمز، والذى تصدر قائمة مبيعات أكثر الكتب مبيعا فـي الهند وسط حالة من الجدل داخل الأوساط الثقافية هناك بسبب تناوله للجانب الجنسي من حياة غاندي.

ويقول المؤرخ جاد آدمز: «شخصية غاندي تحظى باهتمام تاريخي، فعلى الرغم من تداول السلطة فى الهند بين عدد من الحكام أثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فإن غاندي يبقى الشخصية الأهم والأكثر تأثيرا، وفى كتاب (غاندي: الطموح العاري) قدمت الجانب السياسي والروحي والأسرى فى حياة غاندي، ولم أتجاهل الجانب الجنسي خاصة وأنه لا ينتقص من عظمة غاندي أن علاقاته الجنسية كانت معقدة».

تناول آدمز فـي القسم الأول من الكتاب حياة غاندي منذ ولادته فـي ولاية جوجارات عام 1869 أثناء الحكم البريطاني وسط عائلة تعمل بالسياسة، حيث شغل كل من والده وجده منصب رئيس وزراء إمارة بوربندر، وتزوج غاندي وعمره ثلاثة عشر عاماً حسب التقاليد الهندية، ليسافر بعدها إلى إنجلترا



لدراسة القانون، ويعود إلى الهند ومنها إلى جنوب أفريقيا للعمل مع إحدى الشركات الهندية، ذلك البلد الذى لم يكن يعرف عنه إلا كونه واحداً من المستعمرات الخاضعة للتاج البريطاني، لكن يمكن القول إن هذه الأراضي المجهولة جعلته يفتح عينيه على عالم آخر أكثر قسوة،

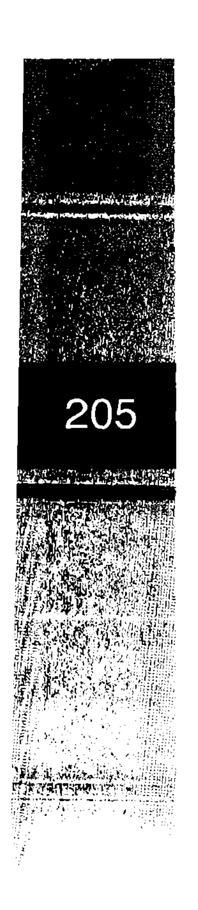
وهاله حالة التفرقة العنصرية التي تؤجج نارها القوات البريطانية ولتجعل من هذه الدولة مركزاً لجميع أنواع التفرقة العنصرية بداية من التفرقة بين البيض والسود، المسلمين والمسيحيين وأصحاب الديانات الأخرى، وبدأت أفكار غاندي تتشكل تجاه أساليب الاحتجاج السلمية مثل: الاعتصامات، المظاهرات، الصيام، والمقاطعة والتي يسود الاعتقاد بأنها وسائل سلبية إلا أنها ذات قوة عظيمة لمن يؤمن بها، بل إن هذه الوسائل مكنته من كسب بعض معاركه ضد سلطات الاحتلال البريطاني في جنوب أفريقيا، مثل إلغاء قانون حظر الاقتراع العام للهنود، وإلغاء عقود الزواج لغير المسيحيين.

وعندما عاد غاندي إلى الهند عام 1915 كانت شهرته تسبقه وأصبحت أفكاره أكثر تنظيماً ووضوحاً ليقود عدداً من احتجاجات الفلاحين ضد الضرائب، وقيادة حملة لتخفيف حدة الفقر وزيادة حقوق المرأة الهندية والابتعاد عن التمييز بين أبناء الوطن الواحد وتحقيق الاندماج الديني، ومنذ عام 1918 قاد غاندي حركة للعصيان المدني وصلت إلى الصدام بين الشرطة والجماهير بهدف الحصول على استقلال الهند، والتي انتهت باعتقاله ليبدأ بعدها مرحلة أخرى من العلاقة مع السلطات البريطانية متبعاً الأسلوب الشهير بمساندة الحلفاء ضد دول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية في مقابل الحصول على وعد باستقلال الهند في حال انتصار الحلفاء.



ولأن غاندي كان ضد فكرة استقلال المسلمين عن الهند في دولة خاصة (باكستان)، أو التفرقة بين المسلمين والهندوس فقد تعرض للاغتيال على يد أحد المتطرفين الهندوس عام 1948.

وإذا كان القسم الاول من الكتاب لم يقدم أي جديد في حياة غاندي إلا أن القسم الثاني كان الأكثر إثارة وجدلاً حيث تناول الجانب الجنسي في حياة غاندي، أو كما قال المؤلف جاد آدمز لـ«المصرى اليوم» إنه أراد إلقاء الضوء على جوانب أكثر حميمية وقربا من حياة غاندي اعتمد فيها على المواد التي كتبها غاندي بنفسه والتي كان يتحدث عنها بشكل علني لتلاميذه وتم جمعها بعد وفاته في مجموعة كاملة تحمل اسم «المهاتما غاندي»، وكذلك كتابات شقيقتيه بيرالار وسوشلا نيرال التى قامتا بتسجيل أنشطة غاندي بالتفصيل خلال الثلاثين عاما الأخيرة من حياته، فصورة القديس غاندي لم تظهر إلا بعد وفاته وهى صورة بعيدة عن شخصية الرجل الحقيقية، لكن عقب موته تراجع الحديث



عـن هـذه الممارسـات لتحـل مكانهـا صـورة البطـل الشـعبي زعيـم حركـة استـقلال الهنـد.

وقـد ذكـر الكاتـب أنـه فـي الفتـرة الاولـى مـن حيـاة غانـدي عـاش حيـاة طبيعيـة، فهـو زوج وأب لأربعـة أبنـاء، إلا أنـه عـام 1900 عقـب وفـاة والـده أخـذ غانـدي علـى نفسـه نـذراً بعـدم الانسـياق لرغباتـه الحسـية ومنهـا الجنـس، ومنـذ عودتـه إلـى الهنـد بـدأ فـي محاضـرة أتباعـه بالابتعـاد عـن ممارسـة الجنـس حتـى لـو كانـوا مـن المتزوجين، ونصحهـم بضـرورة الاسـتحمام بمـاء بـارد عنـد الشـعور بـأي رغبـة وأنـه شـخصيا امتنـع عـن معاشـرة زوجتـه.

إلا أن غانـدي كان يقـوم بعـدد مـن الممارسـات التـي تخالـف تمامـا فكـرة الزاهـد الهندوسـي، فقـد كان يقـوم بمشـاركة السـيدات العرايـا الاسـتحمام وجلسـات التدليـك بالإضافـة إلـى النـوم فـى فـراش واحـد، والمدهـش أن بعضـاً مـن هـؤلاء السـيدات كـن مـن الشـخصيات الشـهيرة فـى المجتمـع الهنـدي مثـل سوشـليا نايـر شـقيقة سـكرتير غانـدي، بالإضافـة إلـى زوجـات عـدد مـن تلاميـذ غانـدي واللاتـي كان محرمـاً عليهـن ممارسـة الحـب مـع أزواجهـم تبعـا لتعاليـم الزعيـم الهنـدي، وهـو مـا تسـبب ففـي موجـة مـن الانتقـادات والتذمـر تجـاه غانـدي الـذى أعلـن أن هـذه الممارسـات ليسـت جنسـية بالمعنـى المتعـارف عليـه لكـن هدفهـا الأساسـي إثبـات قدرتـه علـى التحكـم فـى شـهواته وتوجيـه طاقتـه فـى هـذا الجانـب الحسـى إلـى طاقـة روحيـة.

بعـد وفـاة غانـدي، صعـدت إلـى المشـهد صورتـه كقديـس واختفـى أي حديـث عـن أفعالـه المثيـرة للجـدل، حتـى جـاء هـذا الكتـاب ليعيـد فتـح الحـوار والجـدل حـول شـخصية المهاتمـا.

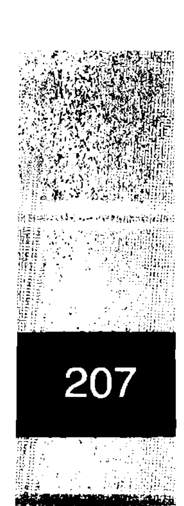
قراءة فـي كتاب:



كتاب "قصة تجاربي مع الحقيقة"
مذكرات المهاتما غاندي



«تمنى العديد ممن يعرفونني أو من لا يعرفونني لكن سمعوا بي أو قرئوا كتبي أن يستمعوا إلى ما يجول بداخلي الآن، في هذه اللحظة، وأنا أدون اعترافاتي، إنهم لا يستطيعون الاطلاع على ما في قلبي، مع أن حقيقتي تكمن في قلبي، لذلك فهم يرغبون في



قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

الاستماع إلى حقيقتي تلك، التي لا تستطيع أعينهم أو آذانهم الوصول إليه» كانت تلك هي الكلمات التي بدأ بها السياسي البارز والزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند «موهانداس كرمشاند غاندي»، تدوين سيرته الذاتية في كتاب «قصة تجاربي مع الحقيقة» والتي يروى فيها غاندي تفاصيل حياته وتجاربه منذ أن كان صغيراً إلى أن وصل إلى ما هو عليه.

عن هذا الكتاب:

إن هذا الكتاب هو السيرة الذاتية التي كتبها «غاندي» واختار له عنواناً فرعياً «قصة تجاربي مع الحقيقة»، فهو يرى أن حياته تتألف من تلك التجارب فقط، من أجل ذلك فإن سردها سيكون بمنزلة كتابة سيرته الذاتية، وقد خاض غاندي تجاربه بواسطة تعمد إدخال أفكار وأساليب معيشة وتحديات وقيود جديدة على حياته أو حياة الآخرين، ثم دراسة نتائجها وأخذها في الاعتبار من أجل أية دراسة مستقبلية، ويشير غاندي إلى تلك التجارب على مدار الكتاب، مثل تجاربه الغذائية ووسائل التعامل مع المرض والممارسات الروحانية ونماذج الحياة الجماعية والتحزب السياسي، ولقد ساعدت تلك التجارب «غاندي» في اختبار شخصيته ذاتها وتوجيهها إلى اتجاهات كثيرة رأى صحتها..

لقد سعى غاندي إلى إحداث تحول اجتماعي وفردي عميق دون وجود مشاعر التعصب والكره وأحداث القتل التي تلازم الكثير من الصراعات العنيفة.. فهو الذى يقول: «لست أقدم تعاليم جديدة للبشر؛ فالحقيقة واللاعنف قديمان قدم التاريخ».

يقول غاندي في مذكراته:

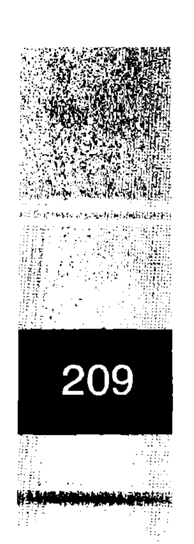
قراءة في كتاب: ”قصة تجاربي مع الحقيقة“

الفصل الأول

المولد والنسب



تنتمي عائلة غاندي إلى طبقة التجار بالهند (بانيا). ويبدو أنهم كانوا في الأصل يشتغلون بالبقالة. لكنهم شغلوا منصب رئيس الوزراء لثلاثة أجيال متتابعة في ولايات عدة بكاثياوار Kathiawar، بداية بجدي. وقد كان جدي أوتمشاند غاندي، والمعروف باسم أوتا غاندي، بلا شك رجلاً نزيهاً. وقد اضطرته الدسائس السياسية داخل الولاية إلى مغادرة بورباندار Porbandar حيث كان يشغل منصب رئيس الوزراء (ديوان)، ففر هارباً إلى ولاية جوناجاده Junagadh. وعند وصوله إليها حيا حاكمها (نواب) بيده اليسرى.



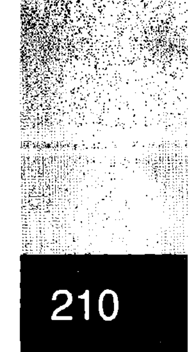
قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

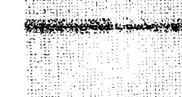
فسأله أحدهم، عندما لاحظ عدم لياقة أوتا غاندي، عن سبب ذلك، فأجاب قائلا: «إن اليد اليمنى تدين بالولاء إلى حاكم بورباندار.»

تزوج أوتا غاندي زواجه الثاني بعد وفاة زوجته الأولى. وقد رزق من زوجته الأولى بأربعة أبناء ومن زوجته الثانية باثنين. ولم أعلم في طفولتي قط أو أشعر أن أبناءه ليسوا أخوة من أم واحدة. وقد كان خامس أبنائه كارامشاند غاندي، والمعروف باسم كابا غاندي، أما الابن السادس فكان يدعى تولسيداس غاندي. وقد شغل هذان الأخوان منصب رئيس وزراء بورباندار في مدتين متتاليتين. كابا غاندي هو والدي، وكان عضواً في محكمة راجاسانيك Rajasthanik Court، التي لا وجود لها حاليًا، لكنها في ذلك الحين كانت تضطلع بدور كبير في فض النزاعات التي تنشأ بين الزعماء وأفراد عشيرتهم. وقد شغل والدي منصب رئيس الوزراء في راجكوت Rajkot لبعض الوقت ثم في فانكانر Vankaner. وقد وافته المنية وهو متقاعد بولاية راجكوت.

تزوج كابا غاندي أربع زيجات متتالية، فكلما أفقده الموت زوجة تزوج بأخرى. وقد رزق من زوجتيه الأولى والثانية بفتاتين، ورزق من زوجته الرابعة، بوتليباي، بفتاة وثلاثة أبناء كنت أنا أصغرهم

كان والدي محبًا لعشيرته ويتسم بالصدق والشجاعة والكرم، ولكنه مع هذا كله كان سريع الانفعال. كما يمكن القول إنه كان يميل إلى الملذات الشهوانية بدرجة ما، حيث إنه تزوج زواجه الرابع وكان عمره قد جاوز الأربعين. كان والدي مستقيماً، وقد عُرف بنزاهته التامة داخل العائلة وخارجها، وكان ولاؤه للولاية معلوماً للجميع. فحينما وجه مساعد المعتمد البريطاني إهانة إلى أمير راجكوت، رئيس والدي، قام بالرد عليه، الأمر





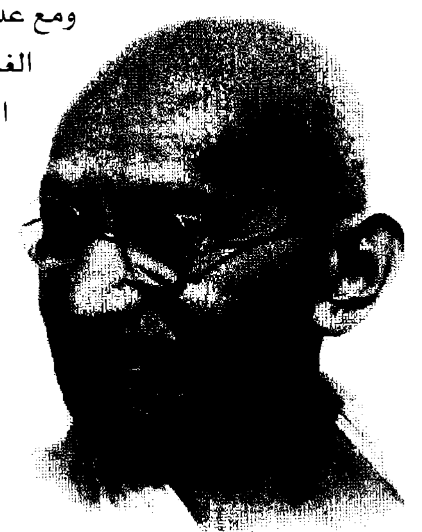
قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "



الذي أثار حفيظة مساعد المعتمد البريطاني، فطلب أن يعتذر والدي عما بدر منه، لكن كابا رفض الاعتذار فكانت النتيجة أنه ظل محتجزاً لبضع ساعات، فلما لمس مساعد المعتمد البريطاني منه العناد، أمر بإخلاء سبيله.

لم يشغل والدي نفسه قط بجمع الثروة، وقد ترك لنا عند وفاته قدراً يسيراً من الأملاك.

ولم يتلق والدي تعليماً أكاديميًا، بل تعلم من خبراته. وعلى أفضل تقدير، يمكن أن يكون قد درس حتى مستوى الصف الخامس الجوجراتي. ومع عدم معرفته بالتاريخ والجغرافيا، ساعدته خبرته العملية الغزيرة في حل أصعب المشكلات، وفي أن يسوس مئات الأشخاص. كما تلقى تعليماً دينيًا متواضعاً، ومع ذلك كان يتمتع بذلك النوع من الثقافة الدينية التي تمنحها الزيارات المتكررة للمعابد والاستماع إلى المحاضرات الدينية للعديد من الهندوس. في السنوات الأخيرة من عمره، بدأ كابا غاندي في قراءة «الجيتا» بناء على طلب أحد أصدقاء العائلة، وهو عالم ينتمي

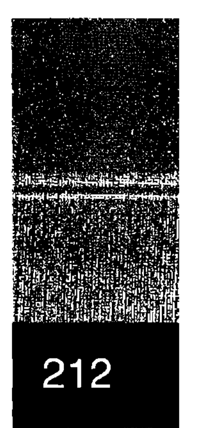


قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "



إلى طائفة البراهمة الهندوسية. كما اعتاد على قراءة بعض الأجزاء منها بصوت عال كل يوم في أوقات الصلاة.

كان الورع هو أجلّ انطباع خلفته والدتي في ذاكرتي، فقد كانت على درجة كبيرة من التدين. فكانت لا تتناول الطعام قبل أن تتلو صلواتها اليومية، وكانت زيارة معبد الإله فيشنو (هافيلي) بالنسبة إليها بمنزلة فرض يومي، وأذكر أن والدتي لم تترك صيام أيٍّ من الشهور الأربعة المقدسة (شاتورماس) قط، وكانت توجب على نفسها أصعب النذور وتحافظ عليها دون تهاون، حتى إن المرض بالنسبة إليها لم يكن يوماً عذراً للتفريط في ذلك الواجب المقدس، وأتذكر أنها ذات يوم سقطت مريضة في أثناء التزامها بعهد (شاندرايانا)، ولكنها لم تسمح للمرض بأن يعوقها

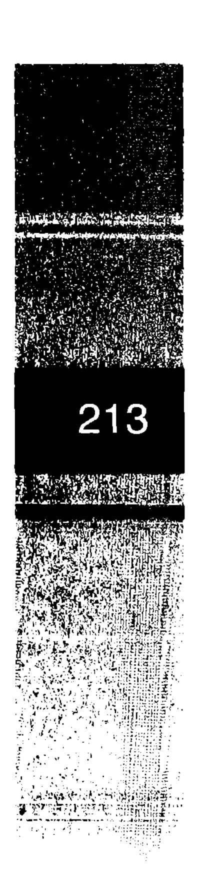


قراءة في كتاب: "قصة تجاربي مع الحقيقة"

عن الالتزام بالعهد. لم يمثل الصيام ليومين أو ثلاثة أيام متتابعة صعوبةً بالنسبة لها. وكان من عادتها أن تتناول وجبة واحدة يوميًا في مدة الشاتورماس. وبسبب شعورها بعدم الرضا لصيامها جميع أيام إحدى فترات الشاتورماس بالتناوب، نذرت في فترة شاتورماس أخرى ألا تأكل حتى ترى الشمس، وقد اعتدنا نحن الأطفال في تلك الأيام أن نقف محدقين في السماء، في انتظار أن تظهر الشمس فنبلغ والدتنا بظهورها. ونعلم جميعاً أن الشمس غالباً لا تظهر في ذروة الموسم المطير. وأتذكر أنه في بعض الأيام عندما كانت الشمس تظهر فجأة كنا نركض لنبلغ والدتنا بسطوعها، ولكنها كانت تصر على أن تذهب لتراها بأم عينيها، ولكن حينها تكون الشمس سريعة الزوال قد اختفت، حارمة إياها من تناول الطعام، فتقول بابتهاج: «هذا لا يهم، لم يرد الإله أن أتناول الطعام اليوم.» ثم تعود لممارسة مهامها.

كانت والدتي تتمتع برجاحة عقل شديدة، وكانت على دراية بجميع شئون الدولة، وكانت سيدات البلاط الملكي يُقررْنَ بذكائها. كنت كثيراً ما أرافقها، مستغلاً كوني في طور الطفولة، ولا زلت أتذكر العديد من المناقشات المثيرة التي جرت بينها وبين الأرملة والدة الأمير.

وُلدت في الثاني من أكتوبر / تشرين الأول 1869م في بورباندار، والتي تعرف أيضاً باسم سودامابوري، حيث أمضيت طفولتي. وأتذكر دخولي المدرسة، واجتيازي جداول الضرب بشق الأنفس. ولا أتذكر من هذه الأيام إلا قيامي، شأني شأن بقية الأولاد، بنعت المعلم بشتى الألفاظ البذيئة، وهذا يدل على قصور قدراتي الذهنية وضعف ذاكرتي.

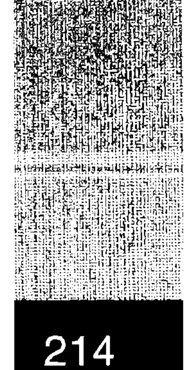


قراءة في كتاب: "قصة تجاربي مع الحقيقة"

الفصل الثاني
الطفولة

لا بد أنني كنت في السابعة من عمري عندما رحل والدي عن بورباندار متجهاً إلى راجكوت ليصبح عضواً في محكمة راجاسانيك، وقد ألحقني بمدرسة ابتدائية في راجكوت، ولازلت أتذكر تلك الأيام جيداً، لا سيما أسماء المعلمين الذين درّسوا لي وغيرها من التفاصيل. وكما كان الحال في بورباندار، لم يكن هناك أمر جدير بالذكر فيما يتعلق بدراستي، فقد كنت طالباً متوسط المستوى. وانتقلت من هذه المدرسة إلى مدرسة الضاحية، ثم إلى المدرسة الثانوية حين بلغت الثانية عشرة من عمري، ولا أذكر أني قد كذبت قط في تلك الفترة القصيرة، سواء على معلميّ أو زملائي. لقد كنت شديد الخجل وكنت أتحاشى الرفقة، فلم يكن لي رفيق سوى كتبي ودروسي. واعتدت أن أكون في المدرسة مع قرع جرس بداية اليوم الدراسي، وأن أعود راكضاً إلى المنزل فور انتهائه. وقد كنت أركض فعلاً إلى المنزل لأنني لم أكن أطيق التحدث إلى أي شخص، كما كنت أخشى «إلى حد بعيد» سخرية الآخرين.

وفي امتحان السنة الأولى من المدرسة الثانوية وقعت حادثة أرى أنها جديرة بالذكر، حضر السيد جيلز، المفتش التعليمي، في زيارة تفتيشية إلى المدرسة، ثم قام بإملاء خمس كلمات كتمرين على التهجي، وكانت إحدى تلك الكلمات الخمس كلمة «Kettle»، وقد أخطأت في تهجيها، حاول المعلم مساعدتي بوخزي بمقدمة حذائه، ولكن دون جدوى، فقد كان من الصعب عليّ أن أتخيل أن معلمي يريدني أن أغش من زميلي الذي بجواري، وذلك لأنني اعتقدت أن مهمة المعلم منعنا من الغش،



قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

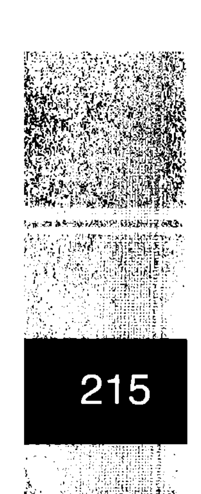


ونتيجة لذلك، تهجى جميع الطلاب الكلمة بصورة صحيحة، ما عدا أنا بالطبع؛ فقد كنت الأحمق الوحيد بينهم، وقد حاول المعلم لاحقاً أن يقنعني بتلك الحماقة ولكن هيهات، فلم أستطع قط تعلم مهارة «الغش».

ومع كل ما حدث، لم تؤثر تلك الواقعة مطلقاً على الاحترام الذي أكنه لمعلمي، فقد كان من طبيعتي ألا أَنتقد نقائص مَن هم أكبر مني. وقد نمى إلى علمي فيما بعد الكثير من نقائص ذلك المعلم، ومع ذلك ظل احترامي له كما هو. وذلك يرجع إلى أنني تعلمت تنفيذ أوامر من هم أكبر مني، وليس إحصاء معايبهم.

كما يعلق بذاكرتي حادثتان أخريان تعودان لنفس الفترة، فبصورة عامة، كنت أكره قراءة أي كتاب بخلاف الكتب المدرسية، وكان عليّ أن أؤدي الواجبات المدرسية نظراً لأنني كنت أكره أن أخدع معلمي بقدر كرهي لتكليفه إياي بفروض مدرسية، ولذلك، كنت أؤدي تلك الواجبات، لكن دون تركيز في أغلب الأحيان. ولذلك، حتى عندما كنت أعجز عن إنجاز واجباتي بصورة لائقة كان من المستحيل أن أطلع على أية كتب أخرى. وبطريقة ما

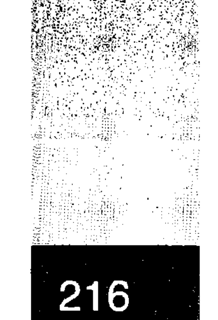




قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

وقعت عيني على كتاب كان قد اشتراه والدي، ويحمل اسم «شرافانا بيتريباكتي ناتاكا» (وكان مسرحية تتحدث عن برّ شرافانا بوالديه)، وقد قرأت ذلك الكتاب بشغف شديد. كما قدم إلى بلدتنا، تقريباً في المدة ذاتها، مجموعة متجولة من مقدمي العروض المسرحية. وقد رأيت شرافانا، في أحد المشاهد، وقد حمل والديه الكفيفين على كتفيه بوساطة حبل في أثناء رحلة الحج. ترك كل من الكتاب والمشهد لديّ انطباعاً لا ينسى، وقد حدثت نفسي قائلاً: «هذا نموذج يحتذى.» ولا يزال مشهد حزن وَالِدَيّ شرافانا لموته حيًّا في ذاكرتي. لقد تأثرت كثيراً بالموسيقى العذبة التي استمعت إليها، حتى إنني لعبت تلك الموسيقى على آلة الكونسيرتينا التي كان والدي قد اشتراها من أجلي.

وهناك واقعة مماثلة تتعلق بمسرحية أخرى، في تلك المدة كان والدي قد أذن لي بمشاهدة مسرحية تؤديها إحدى الفرق المسرحية، وقد سلبتني لبي تلك المسرحية التي تحمل اسم «هاريش تشندرا»، فلم أملّ أبداً من مشاهدتها، ولكن السؤال: كم مرة يمكن أن يسمح لي والدي بمشاهدتها؟ لقد استحوذت عليّ المسرحية، ومن المؤكد أنني أديتها لنفسي عدداً لا حصر له من المرات، وقد كنت أسأل نفسي ليلاً ونهاراً: «لماذا لا نكون جميعا صادقين مثل هاريش تشندرا؟» وكانت أفضل قيمة غرستها داخلي المسرحية هي التمسك بالحقيقة وخوض جميع المحن التي مر بها هاريش تشندرا. لقد آمنت بقصة هاريش تشندرا تماماً، وغالباً ما كانت الفكرة ككل تدفعني إلى البكاء، ويخبرني عقلي الآن بأن هاريش تشندرا لا يمكن أن يكون شخصية تاريخية، إلا أنه هو وشرافانا يمثلان حقيقة حية بالنسبة لي، وأنا على يقين من أنني سأتأثر إذا ما قرأت هاتين المسرحيتين الآن بنفس القدر الذي تأثرت به فيما مضى.



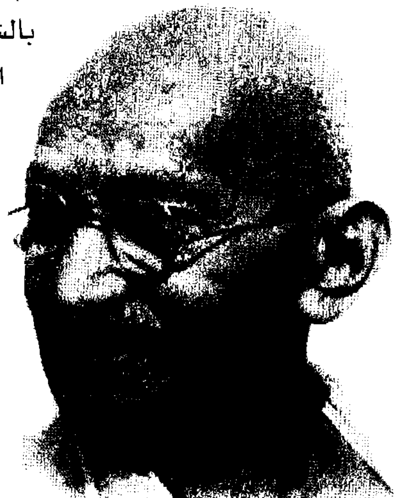
قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

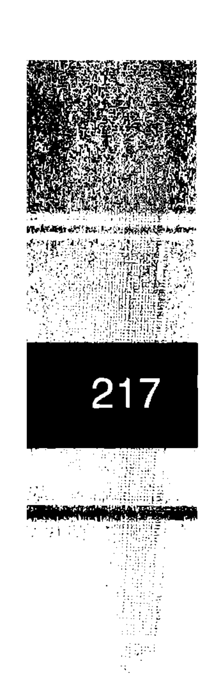
الفصل الثالث

الزواج طفلاً

كم كنت أود ألا أكتب هذا الفصل، لكن ليس بوسعي إغفال هذا الجانب مهما كان حجم المرارة التي أتجرعها وأنا أكتب هذه السطور، وإن كنت أدعي أنني من أنصار الحقيقة فليس بوسعي أن أفعل خلاف ذلك، فمن واجبي أن أذكر زواجي في سن الثالثة عشرة بغض النظر عن الألم الذي قد أعاني منه. حين أنظر إلى الأطفال الذين تقترب أعمارهم من ذلك العمر ممن هم تحت رعايتي، وأتذكر زواجي؛ أشعر بالشفقة على نفسي وبرغبة في تهنئتهم على الهروب من المصير الذي واجهته، فأنا لا أرى أي سبب أخلاقي يدعو إلى ذلك الزواج المبكر الذي ينافي المنطق.

أرجو ألا يخطأ القارئ الفهم، فقد كنت متزوجاً ولم أكن خاطباً. فهناك في كاثياوار نوعان من الطقوس: الخطوبة، والزواج. والخطوبة هي وعد أولي بالزواج بين والد الفتى ووالد الفتاة، ويمكن الرجوع عنه. ولا



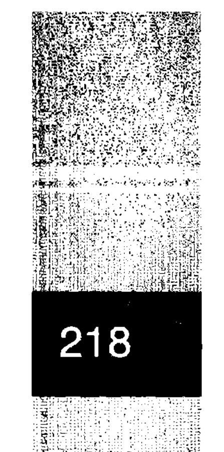


قراءة في كتاب: "قصة تجاربي مع الحقيقة"

يترتب على وفاة الفتى أن تصبح الفتاة أرملة، فهو اتفاق بين الآباء فحسب، وليس للأبناء شأن به، وفي أغلب الأحوال لا يعلم الأطفال عنه شيئاً. ويبدو أن والدي قد خطب لي ثلاث مرات دون علمي، حيث علمت بوفاة فتاتين كان والدي قد خطبهما لي. ومع ضعف ذاكرتي، فإنني أتذكر أن خطبتي الثالثة تمت وأنا في السابعة من عمري، لكنني لا أتذكر أن أحداً أخبرني بذلك. وسوف أتحدث في هذا الفصل عن زواجي الذي أتذكره بكل وضوح.

كنا ثلاثة إخوة، وكان أخونا الأكبر متزوجاً. فقرر الكبار أن يزوجوني أنا وأخي الآخر الذي يكبرني بسنتين أو ثلاث، وابن عمي الذي كان يكبرني بعام تقريباً، وأن يكون ذلك في يوم واحد. ولم يأخذوا بعين الاعتبار سعادتنا، ولا حتى رغباتنا. فقد كان الأمر يتعلق بمصلحتهم وتوفيرهم للأموال.

إن الزواج عند الهندوس ليس بالأمر الهين؛ فوالدا العروسين غالباً ما يشرفان على الإفلاس بسبب حفل الزفاف، فيهدران أموالهما وأوقاتهما، فالأمر يستغرق شهوراً للقيام بالاستعدادات، من إعداد الملابس والزخارف، وتوفير الأموال اللازمة للمآدب. ويحاول كل منهما التفوق على الآخر في عدد أصناف الأطعمة المقدمة وتنوعها. وتقوم النساء بالغناء، بغض النظر عن جمال أصواتهن أو قبحها، حتى تبح أصواتهن، بل ويمرضن. وكان ذلك يسبب إزعاجاً للجيران، الذين كانوا يتحملون بدورهم كل تلك الجلبة والصخب بهدوء، كما يتحملون كل القاذورات الناتجة عن بقايا الاحتفالات. ويرجع ذلك إلى أن الجيران كانوا على علم بأنه في يوم ما سيتصرفون على نفس النحو.



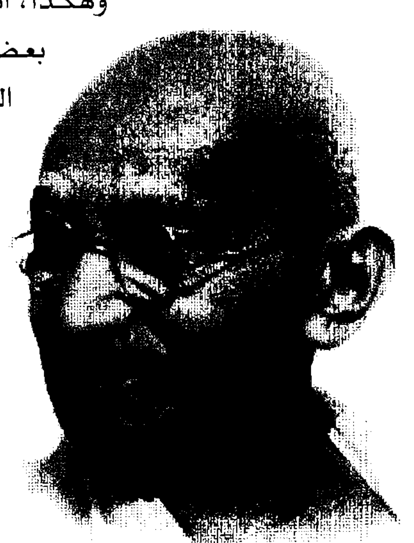
قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

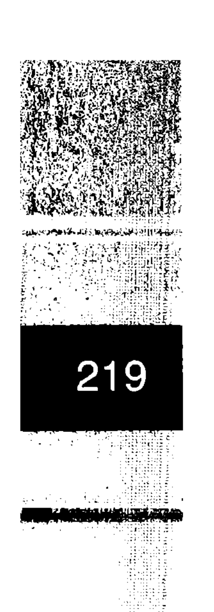
وقد رأى الكبار أن يتخلصوا من كل ذلك الصخب في يوم واحد وبصورة واحدة، بحيث ينفقون مبالغ أقل ويحققون منفعة أكبر. ويرجع ذلك في نظرهم إلى أنه يمكن إنفاق الأموال بسخاء إذا كانت ستنفق في ليلة واحدة وليس في ثلاث ليالٍ مختلفة. لقد كان والدي وعمي كبيرا السن، وكنا آخر أولادهم غير المتزوجين، وعلى الأرجح كانت غايتهم أن يشهدوا آخر أسعد لحظات حياتهم. ونظراً لكل هذه العوامل، جرى الاتفاق على إقامة زفاف ثلاثي. وكما سبق أن ذكرت استغرقت الاستعدادات للعرس عدة شهور.

وقد كانت تلك الاستعدادات هي الشيء الوحيد الذي أعلمنا بالحدث المنتظر. أعتقد أن الزواج كان لا يعني لي سوى ارتداء الملابس الأنيقة وقرع الطبول ومراسم الزفاف والمآدب الفخمة واللعب مع فتاة لا أعرفها، أما الرغبة الجسدية فجاءت لاحقاً. وقد رأيت أن أسدل الستار على هذا الموضوع المخزي، فيما عدا بعض التفاصيل التي تستحق الذكر، والتي سوف أتعرض لها فيما بعد. وذلك مع أن تلك التفاصيل ليست وثيقة الصلة بالفكرة الرئيسية التي كانت تدور بخلدي عند كتابة هذه القصة.

وهكذا، انطلقنا أنا وأخي من راجكوت إلى بورباندار. وهناك بعض التفاصيل المضحكة التي وقعت في أثناء الإجراءات التمهيدية للعرس، مثل تلطيخ أجسادنا بمعجون الكركم، لكن يتعين عليّ التغاضي عن مثل هذه التفاصيل.

كان والدي يشغل منصب ديوان، لكنه لم يكن مجرد موظفٍ حكوميّ لأنه كان موضع تقدير أمير الولاية. وحتى اللحظة الأخيرة، لم يكن الأمير موافقاً على سفر والدي. ولكن عندما وافق، أمر لوالدي بعربة





قراءة في كتاب: "قصة تجاربي مع الحقيقة"

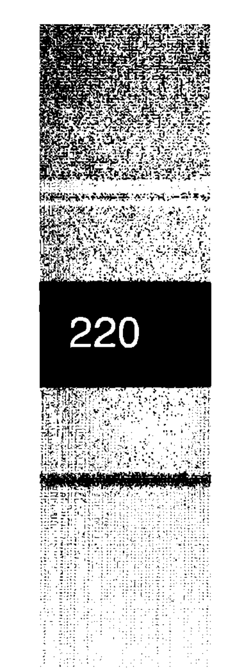
خاصة بأربع عجلات تجرها الخيول لتكون تحت تصرفه حتى يوفر يومين من زمن الرحلة، ولكن الأقدار شاءت غير هذا. إن بورباندار تبعد 120 ميلاً عن راجكوت، أي أن الرحلة كانت ستستغرق خمسة أيام بوساطة العربة، وقد استغرقت الرحلة من والدي ثلاثة أيام فقط، لكن العربة انقلبت في اليوم الثالث، مما تسبب له في إصابات بالغة، عندما وصل والدي كانت الضمادات تغطي جسده كله، ولقد أدت إصابته إلى ضياع جزء كبير من شغفنا بالحدث المرتقب، لكن كان علينا أن نقيم المراسم. فكيف يمكن أن يتغير موعد الزواج؟ على كل حال، أنستني سعادتي الطفولية بالزواج الحزن على إصابة والدي.

لقد كنت بارًّا بوالديّ، ولكنني كنت مولعاً أيضاً بالمشاعر الحسية. ومع ذلك، كان عليّ أن أتعلم أنه يجب التضحية بكافة أنواع السعادة والملذات من أجل خدمة والديّ.

وسوف أروي فيما بعد حادثة أخرى لا تزال عالقة في ذاكرتي، مع أنها كانت في صورة عقاب لرغباتي الشهوانية. يتغنى نيشكولاناند قائلاً: «لا يدوم التخلي عن الأشياء المادية طويلاً دون التخلي عن الشهوات مهما حاول المرء.» وكلما أنشدت هذه الأغنية أو استمعت إلى كلماتها، تذكرت تلك الحادثة المؤلمة وشعرت بالخجل يغمرني.

ومع الإصابات التي كان يعاني منها أبي تظاهر بالتماسك وشارك في الزفاف. وعند استرجاعي للأحداث، أستطيع أن أتذكر بوضوح الأماكن التي كان يجلس فيها ويتابع منها تفاصيل مراسم الزفاف المختلفة.

ولم يخطر ببالي حينها أنه سيأتي اليوم الذي أنتقد فيه والدي بشدة لتزويجي في تلك السن المبكرة؛



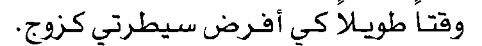
قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

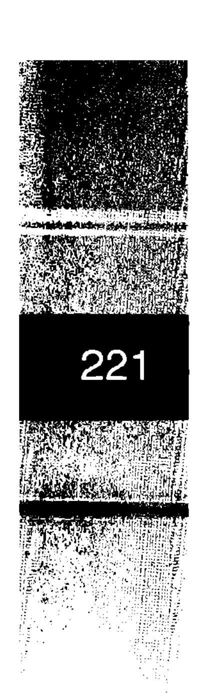
فقد بدا لي أن كل شيء في ذلك اليوم قد تم على نحو صحيح وكان مليئاً بالجمال والبهجة، ذلك بالإضافة إلى لهفتي للزواج.

ونظراً لأن كل ما فعله والدي آنذاك أثر في نفسي بدرجة لا تسمح لي بانتقاده، ما زلت أتذكر تلك الأحداث بوضوح، وحتى الآن أستطيع أن أتخيل كيف كنا نجلس على منصة الزفاف، وكيف قمنا بخطوات السابتابادي، وكيف وضع كل منا الكانسار اللذيذ في فم الآخر، وكيف بدأنا العيش معاً، والليلة الأولى، ويا لها من ليلة! طفلان بريئان قُذف بهما إلى بحر الحياة دون أن يدركا. لقد أعطتني زوجة أخي نصائح بشأن ما عليّ فعله في تلك الليلة، لكني لا أعلم مَن الذي قدم النصح إلى زوجتي، فلم أسألها قط عن ذلك، ولا أرغب في أن أسألها الآن.

لعل القارئ على يقين بأننا كنا متوترين للغاية بحيث لم يستطع أحدنا مواجهة الآخر.

كما كنا بالطبع شديدي الخجل. كيف كنت سأتحدث إليها، وماذا أقول؟ لم تنفعني النصائح كثيراً، فالنصائح ليس لها أهمية حقيقية في مثل هذه الأمور؛ لأن الأفكار الموروثة عن الحياة السابقة للإنسان تطغى على جميع النصائح وتجعلها غير ضرورية. وبدأنا نتعارف، ونتحدث تدريجيًا بحرية أكبر. ومع أن أعمارنا كانت متقاربة، فلم أحتجّ وقتاً طويلاً كي أفرض سيطرتي كزوج.





الفصل الرابع

ممارسة دور الزوج

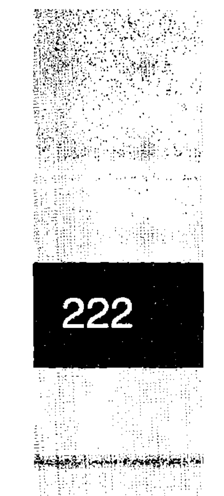
ظهر في المدة التي تزوجت فيها تقريبا، عدد قليل من الكتيبات موضوع مثل: الحب بين الزوج والزوجة، والاقتصاد في النفقات، وزواج الأطفال، وغيرها من الموضوعات، وكانت تباع مقابل بايس أو بأية (لا يحضرني المبلغ بالضبط) وكنت كلما وقعت عيني على أي من تلك الكتيبات أتصفحها بالكامل، ولكني كنت أنفذ الأجزاء التي تروقني، أما الاجزاء التي لا تروقني فكنت أنساها، فالإخلاص الأبدي للزوجة الذي تصوره تلك الكتيبات على أنه واجب على الزوج ظل مغروسا في قلبي الى الأبد.

ولما كان الصدق متأصلا في نفسي فقد كانت خيانة زوجتي مسألة مستحيلة، وبالإضافة الى ذلك لم يكن أمامي الكثير من فرص الخيانة في تلك السن الصغيرة.

ولكن درس الاخلاص هذا كان له أثر مشؤوم أيضا، حدثت نفسي قائلا: « اذا كنت سأخلص لزوجتي فيجب عليها أيضا أن تخلص لي ».

فجعلت تلك الفكرة مني زوجا غيورا، وتحول واجب اخلاصي لها ببساطة الى حقي في الحصول على اخلاصها المطلق، ولتحقيق ذلك الاخلاص المطلق كان علي أن أتمسك هذا بقوة ويقظة، بالطبع لم يكن هناك ما يدعوني للشك في اخلاص زوجتي، لكن الغيرة عمياء.

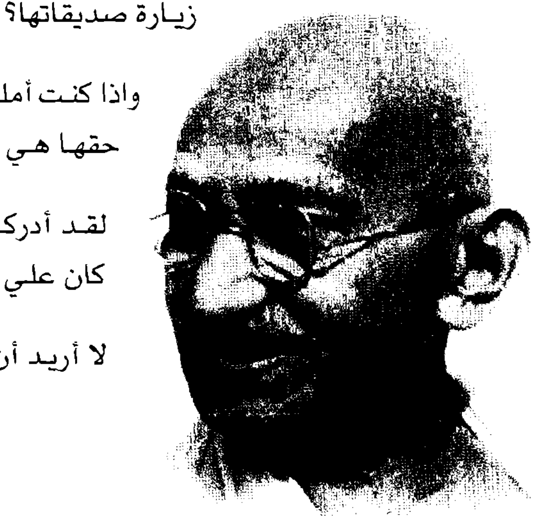
كان علي أن أراقب تحركاتها باستمرار، فكانت لات تسطيع الخروج دون اذني، وغرست هذه المسألة بذور





الشجار المر بيننا، وكانت القيود التي فرضتها عليها بمنزلة السجن، ولكن كاستوربا لم تكن من الفتيات اللاتي يمكن أن يتحملن مثل ذلك السجن، فقد حرصت أن تخرج وقتما شاءت، وكلما فرضت عليها مزيدا من القيود تصرفت هي بمزيد من الحرية

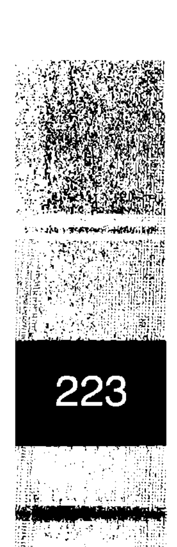
مما زاد من غضبي، فأصبح امتناع كل منا عن محادثة الآخر روتينا يوميا لحياتنا، ولا عجب فقد كنا مجرد أطفال وأجد أن تصرف كاستوربا بهذه الطريقة كان طبيعيا جدا، في ظل القيود التي فرضتها عليها، فكيف تتحمل فتاة بسيطة مثلها أية قيود تمنعها من زيارة المعبد أو زيارة صديقاتها؟



واذا كنت أملك الحق في فرض القيود عليها، أليس من حقها هي أيضا أن تفرض علي قيودا؟

لقد أدركت كل هذه الأمور الآن فقط، ولكن آنذاك كان علي النجاح في فرض سيطرتي كزوج.

لا أريد أن يظن القارئ أن حياتنا كانت مسلسلاً من



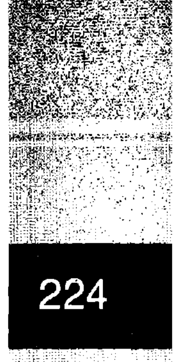
قراءة في كتاب: "قصة تجاربي مع الحقيقة"

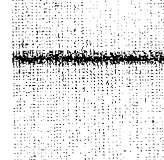
التعاسة المطلقة؛ فقسوتي على زوجتي كانت بدافع الحب، فقد كنت أطمح في أن أجعلها مثالية، وأن تحيا حياة نقية وأن تتعلم ما لديّ من علم وأن تتوحد حياتنا وأفكارنا.

لا أعلم ما إذا كان لدى كاستوربا مثل ذلك الطموح، فقد كانت أمية، إلى جانب أنها كانت بطبيعتها بسيطة ومستقلة ومحافظة ومثابرة، على الأقل حين تتعامل معي. وكانت متقبلة لجهلها، ولا أذكر أن دراساتي استطاعت قط أن تحفزها كي تخوض نفس تجربتي، ولذلك أعتقد أن طموحي كان أحادي الجانب. لقد كانت عاطفتي موجهة إلى امرأة واحدة فقط، وكنت أرغب في أن يكون الشعور متبادلاً، ومع أن ذلك الشعور لم يكن متبادلاً فإن الحياة لم تكن شقاءً دائماً لأن الحب كان موجوداً على الأقل من طرف واحد.

يجب أن أعترف أنني كنت مغرماً بها، حتى وأنا في المدرسة، اعتدت أن أفكر فيها وكان دائما ما يراودني حلول الليل ولقاؤنا المقبل، لم أكن أحتمل البعد عنها، وقد اعتدت أن أجعلها مستيقظة لساعات متأخرة من الليل وأنا أحدثها بكلام غير ذي قيمة. لو لم يصاحب هذه العاطفة الفياضة التزام شديد بالواجب، لكان من الممكن أن أقع فريسة للمرض والموت المبكر أو أن أغرق في ظلمات حياة مليئة بالهموم. كان عليّ أن أقوم بواجباتي صباح كل يوم. وكان من المستحيل أن أكذب على أي شخص، الأمر الذي أنجاني من الكثير من المصائب.

سبق أن ذكرت أن كاستوربا كانت أمية. وكنت أتوق لتعليمها، ولكنِ الحب الشهواني لم يُبقِ لي وقتاً كي أعلمها. فمن ناحية لم تكن ترغب في التعلم، ومن ناحية أخرى كان عليّ أن أعلمها ليلاً، لم أكن أجرؤ

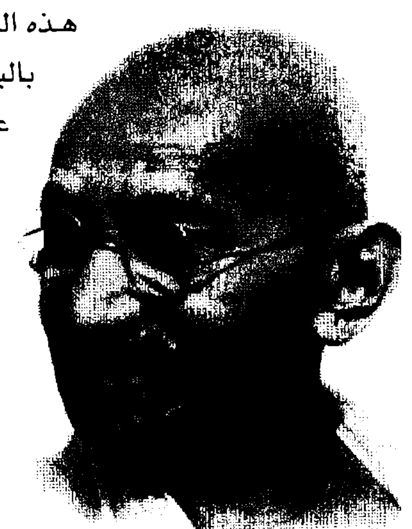


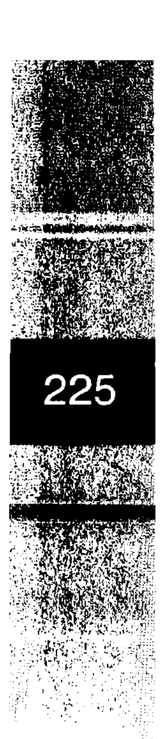


قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "

على أن أقابلها في حضور الكبار، ولا أن أحدثها بالطبع. كانت كاشياوار حينذاك تتبنى، ولا زالت بقدر ما، عادةَ حجاب النساء (البُردة)، التي أراها غريبة وعقيمة وهمجية، ومن ثَمّ، لم تكن الظروف مواتية لتعليمها. ويجب أن أعترف أن أغلب جهودي لتعليم كاستوربا في شبابنا باءت بالفشل، وعندما تحررت من أسر الشهوة، كنت قد انخرطت بالفعل في الحياة العامة التي لم تترك لي الكثير من وقت الفراغ. كما فشلت في تعليمها بوساطة معلمين خصوصيين، ونتيجة لذلك، لا تستطيع كاستوربا حالياً إلا كتابة بعض حروف قليلة وبصعوبة، بالإضافة إلى فهم اللغة الجوجراتية البسيطة. وأنا على يقين بأنه لو كان حبي لها خالياً تماماً من الشهوة، لأصبحت امرأة متعلمة الآن. ويرجع ذلك إلى أنني كنت سأستطيع حينها أن أقهر كرهها للدراسة، فلا شيء يستعصي على الحب الطاهر

سبق أن ذكرت إحدى الوقائع التي حدثت لي وساهمت بقدر ما في إنقاذي من مصائب الحب الشهواني، كما وقع حدث آخر يستحق الذكر أثبت لي «بجانب العديد من الأمثلة الأخرى» أن الإله ينجي أصحاب الدوافع النبيلة في النهاية. تسيطر على المجتمع الهندي عادة أخرى تحد إلى درجة ما من شر عادة تزويج الأطفال الوحشية، وتتمثل هذه العادة في أن الوالدين لا يسمحان للزوجين الصغيرين بالبقاء معاً لفترة طويلة. فتقضي الفتاة المتزوجة ما يزيد على نصف الوقت في منزل والدها، كما كان حالي مع زوجتي، ففي الخمس سنوات الأولى من زواجنا (من سن الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة)، لم نعش معاً فترة تزيد على ثلاث سنوات في مجموعها، وكنا نادراً ما نكمل ستة أشهر سويًا دون استدعاء والديها لها، لقد كان ذلك الأمر يضايقنا كثيراً





قراءة في كتاب: " قصة تجاربي مع الحقيقة "



في تلك الأيام ولكنه مع هذا كان درعاً لحمايتنا. وعند بلوغي سن الثامنة عشرة، رحلت إلى إنجلترا مما أدى إلى مدة طويلة وصحية من الانفصال. وحتى بعد عودتي من إنجلترا، كنا نادراً ما نمضي معاً فترة تزيد على ستة أشهر حيث إنني كنت أتنقل بين راجكوت وبومباي. ثم كانت دعوة جنوب أفريقيا، وكنت وقتها قد تخلصت تماماً من الشهوة الجسدية



أفضل أقوال مأثورة لـ " غاندي"

1 - الإيمان ليس شيئاً للفهم، أنه حالة لتنمو فيها.

2 - يكمن المجد في محاولة الشخص الوصول إلى هدف وليس عند الوصول إليه.

3 - إكره الخطيئة، وأحب الخاطىء.

4 - لا يمكن لحضارة العيش إذا كانت تحاول أن تكون حصرية.

5 - عش كما لو كنت ستموت غداً. تعلم كما لو كنت سأعيش للابد.

6 - الرجل ما هو إلا نتاج أفكاره. بما يفكر، يصبح عليه.

7 - لا يصبح الخطأ على وجه حق بسبب تضاعف الانتشار، ولا تصبح الحقيقة خطأ لأن لا أحد يراها.

8 - السعادة هي عندما يتوافق فكرك وقولك وفعلك.

9 - في مسائل الضمير، لا مكان لقانون الأغلبية.

10 - الفقر هو أسوأ أشكال العنف.

11 - يجب أن تكون أنت التغيير الذي تريد أن تراه في العالم.

12 - العناية الإلهية لديها ساعة مضبوطة لكل شيء. لا يمكننا قيادة النتائج، يمكننا فقط السعي جاهدين.





13 - الطريقة الأفضل لتجد نفسك هي أن تضيع في خدمة الآخرين.

14 - الجبان غير قادر على اظهار الحب، فهذا من امتياز الشجاع.

15 - أوقية من الخبرة تساوي أكثر من طن من الوعظ.

16 - أحياناً يختبر الله الذين يريد أن يباركهم إلى أقصى درجة.

17 - أنا على استعداد للموت، ولكن لا يوجد سبب من أجله أنا على استعداد للقتل.

18 - في الصلاة، من الأفضل أن يكون لديك قلب بلا كلمات عوضاً عن كلمات بلا قلب.

19 - لا تأتي قوة من القدرات الجسدية. إنما من العزيمة التي لا تقهر.

20 - لا يمكن للضعيف أن يغفر، الغفران هو سمة الأقوياء.

21 - لا يمكن لهم سلب احترامنا للذات، إذا لم نعطهم إياها.

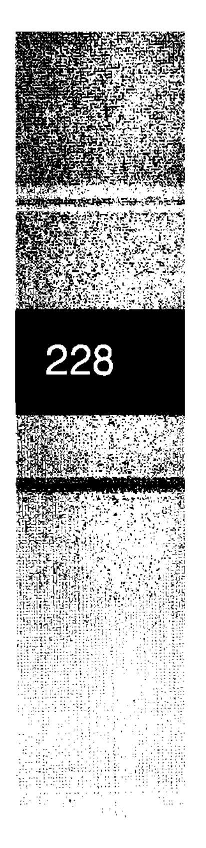
22 - الدين الذي لا يراعي الشؤون العملية ولا يساعد على حلها، ليس ديناً.



23 - الغضب والتعصب هم أعداء الفهم الصحيح.

24 - في اعتقادي الراسخ أنّ قوة الروح تنمو بتناسب مع إخضاعك للجسد.

25 - يصبح الإنسان عظيماً تماماً بالقدر الذي يعمل فيه من أجل رعاية أخيه الإنسان.



26 - اللاعنف يتطلب ضعف الإيمان، الإيمان بالله وأيضاً الإيمان في الإنسان.

27 - النصر الذي حققته العنف هو بمثابة هزيمة، لأنه مؤقت.

28 - ليس من الحكمة أن يكون الإنسان متأكد من حكمته، أنه أمر صحي أن يتم تذكيره بأنّ الأقوى يمكن أن يضعف، والأكثر حكمة يمكن أن يخطئ.

29 - أولاً يتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يقاتلونك، وبعد ذلك تفوز.

30 - أنظر فقط إلى الصفات الحسنة للناس. وكوني لست خالي من العيب، فلا يفترض أن أسبر عيوب الآخرين.

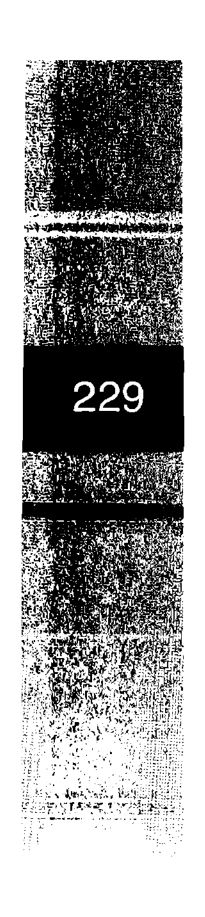
31 - في النهاية دين الإنسان هي مسألة بينه وبين خالقه ولا أحد آخر.

32 - الطاغية الوحيد الذي أقبله في هذا العالم هو الصوت الداخلي المتبقي.

33 - الـ «لا» التي تلفظ عن قناعة عميقة أفضل من الـ «نعم» التي تلفظ لمجرد الإرضاء، أو أسوأ من ذلك، لتجنب المتاعب.

34 - نحن لسنا بحاجة لجذب الاتباع عن طريق الكلام أو الكتابة يمكننا أن نفعل ذلك فقط من خلال حياتنا فلنجعل حياتنا كتبا مفتوحة يدرس فيها الجميع.

35 - العلاقة الروحية أغلى بكثير من المادية العلاقة الجسدية التي تم طلاقها من العلاقة الروحية هي جسد بلا روح.



36 - احترام الذات لا يعرف الاعتبارات.

37 - أفضل طريقة لتجد نفسك هو أن تفني نفسك في خدمة الآخرين.

38 - الصحة هي الثروة الحقيقية وليس قطعة من الذهب والفضة.

39 - لا أريد التنبؤ بالمستقبل انا مهتم بالحاضر فقط لأن الله لم يعطني أية سيطرة على اللحظة التالية.

40 - الخدمة التي يتم تقديمها دون شعور بالفرح لا تساعد من يقدمها ولا من يتقبلها ولكن كل المتع الأخرى والممتلكات تتضاءل للعدم امام الخدمة التي يتم تقديمها في جو من الفرح.

41 - نقاء الحياة الشخصية هو شرط لا غنى عنه لبناء تربية سليمة.

42 - اللاعنف هو أعظم قوة في متناول البشرية هو أقوى من أعتى أسلحة الدمار التي وضعتها براعة الانسان.

43 - أنا أعلم أن إبعاد الغضب تماما عن صدري هو مهمة صعبة لا يمكن أن تتحقق من خلال جهد شخصي محض وانما يمكن أن تتم فقط من خلال نعمة الله.

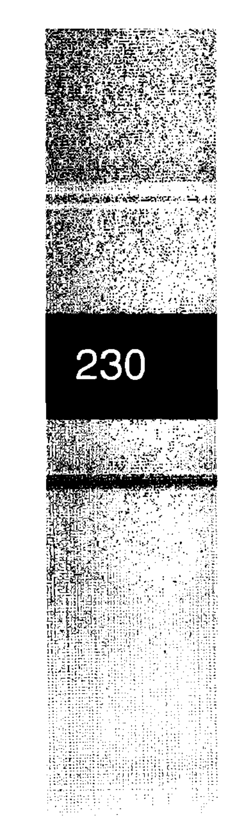
44 - نوعية عملنا هي التي سوف ترضي الله وليس كميتها.

45 - التقليد هو أصدق أنواع التملق.

46 - في اعتقادي الراسخ أن القوة الخاصة للروح تنمو في تناسب مع مقدار اخضاع الجسد.

47 - الخوف له استخدامه ولكن الجبن ليس له أي استخدام.





48 - الحق بطبيعته بديهيا بمجرد إزالة أنسجة العنكبوت من التجاهل التي تحيط به، يضيء بوضوح.

49 - أولئك الذين يقولون إن الدين ليس له علاقة بالسياسة لا يعرفون ما هو الدين.

50 - أمام عرش الله العلي القدير، سيتم الحكم على الرجل ليس من خلال تصرفاته ولكن عن طريق نواياه اذ ان الله وحده يقرأ قلوبنا.

51 - فليكن هدفك دائما ان يكون الفكر والقول والفعل في وئام تام نق أفكارك وسيكون كل شيء جيدا.

52 - دعونا نكون جميعا ذوي شجاعة كافية للموت كشهداء، ولكن دعونا لا يكون لدينا شهوة للاستشهاد.

53 - لا يمكن لأحد يؤذيني دون إذن مني.

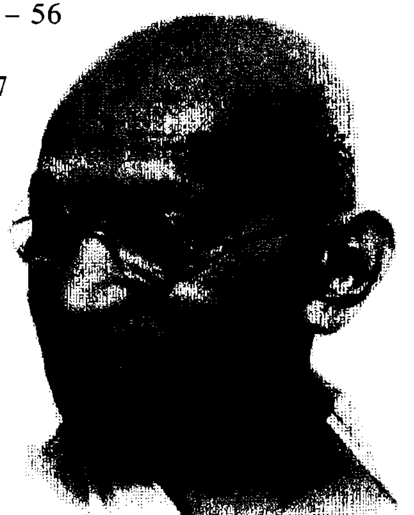
54 - أوقية عمل أهم من طن وعظ.

55 - لا يصبح الخطأ حقا بسبب انتشاره، ولا يصبح الحق خطأ لأن لا أحد يراه.

56 - في مسائل الضمير قانون الغالبية لا مكان له.

57 - الصلاة ليست هي السؤال - انها اشتياق الروح - انها القبول اليومي لضعفي - فمن الأفضل في الصلاة أن يكون لي قلب بلا كلمات عن أن تكون لي كلمات بلا قلب.

58 - الأخلاق هي أساس الاشياء، والحق هو جوهر كل الأخلاق.



59 - الصلاة هي مفتاح الصباح وترباس قفل المساء.

60 - هناك ما يكفي في العالم لحاجة الإنسان - ولكن ليس لجشعه.

61 - لا يمكن للرجل أبدا أن يكون على قدم المساواة مع المرأة في الروح المتفانية التي وهبتها لها الطبيعة.

62 - هناك أناس في العالم على درجة من الجوع (المادي)، لدرجة أن الله لا يمكن أن يظهر لهم إلا في شكل الخبز.

63 - هناك محكمة عليا أعلى من محاكم العدل والتي هي محكمة الضمير - انها تعلو بكثير عن كل المحاكم الأخرى.

64 - ليس لدي شيء جديد لتعليم العالم «الحقيقة واللاعنف هي قديمة قدم التلال» كل ما قمت به هو محاولة تجربتهما في اوسع نطاق حسبما استطعت.

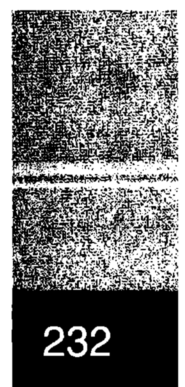
65 - حتى وإن كنتم أقلية تبقى الحقيقة حقيقه.

66 - يمكنك أن تقيدني، يمكنك أن تعذبني، يمكنك حتى أن تقوم بتدمير هذا الجسد، ولكنك لن تنجح أبدا في احتجاز ذهني.

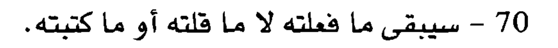
67 - أنا أنظر فقط إلى المزايا الحسنة في الناس ولأني لا أخلو من العيوب لا يفترض أن أتكلم عن أخطاء الآخرين.

68 - لو لم يكن لدي أي حس فكاهة لكنت قد انتحرت منذ فترة طويلة.

69 - إننا سوف نكسب معركتنا لا بمقدار ما نقتل من خصومنا ولكن بمقدار ما نقتل في نفوسنا الرغبة في القتل.







70 - سيبقى ما فعلته لا ما قلته أو ما كتبته.

71 - لا أحب كلمة التسامح ولكن لا أجد كلمة أفضل منها.

72 - الفقر هو أسوأ أشكال العنف.

73 - ما أفضل أن يخرس المرء عن ذكر الحقيقه إن لم ينطقها بلطف.

74 - الغاية هي الشجرة، والوسيلة هي البذرة.. إنّ الغاية موجودةٌ في الوسيلة كما أنّ الشجرة موجودةٌ في البذرة.

75 - دع أول شيء تقوم به كل صباح هو أن تعزم لذلك اليوم على: أن لن أخشى أحداً على هذه الأرض.. أن لن أخشى أحداً إلا الله.. أن لن أحمل ضغينة على أحد.. أن لن أخضع لظلم أي كان.. وأن أقهر الخرافة بالحقيقة.. وفي مقاومتي للخرافة سأصطبر على كل معاناة.

76 - إن مبدأ العين بالعين يجعل كل العالم أعمى.

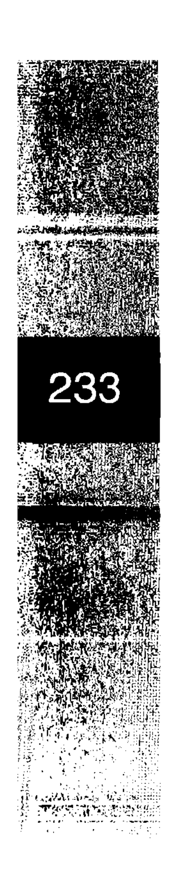
77 - ما الفارق الذي يحدثه للموتى وللأيتام والمشردين إذا جاء الدمار الجنوني تحت مسمى الشمولية أو بالاسم المقدس للحرية أو للديمقراطية؟.



78 - ليس عندي ما أعلمه للعالم، فالحقيقة واللاعنف موجودان منذ بداية الزمن.

79 - الحقيقة هي الحقيقة وإن كان الجميع ضد واحد.

80 - رماني الناس بالحجارة.. فجمعتها وبنيت بيتاً.



81 - في الضمير.. لا عبرة لقانون الأكثرية.

82 - لا أعرف خطيئة اعظم من اضطهاد بريء باسم الله.

83 - هل هناك حاجز لا يمكن للحبّ أن يكسره؟.

84 - يمكنك قتل الثوار لكن لا يمكنك قتل الثورة.

85 - إن المرء لن يستطيع أن يصل إلى تقدير نسبي بين أخطائه وأخطاء غيره إلا إذا نظر إلى أخطائه بمنظار مكبر وإلى أخطاء غيره بمنظار عادي.

86 - يوجد سبعة اشاء تدمر الانسان: السياسة بلا مبادئ - المتعة بلا ضمير - الثروة بلا عمل - المعرفة بلا قيم - التجارة بلا اخلاق - العلم بلا انسانية - العبادة بلا تضحية.

87 - أول الحكمة ان تعرف الحق، واخر الحكمة الا تعرف الخوف.

88 - الغضب والتعصب يعميان الإنسان عن الفهم الصحيح.

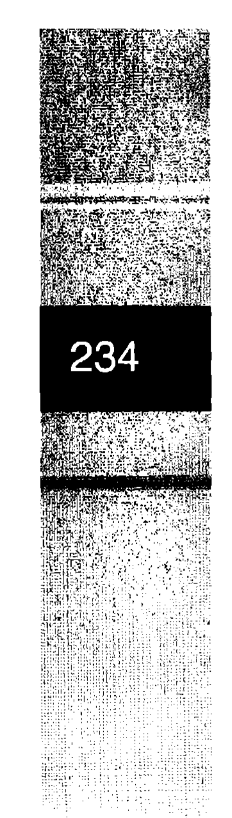
89 - عش كأنك ستموت غدا. تعلم كأنك ستعيش للأبد.

90 - كل شخص يريد أن يكون قوياً ومستقل بذاته لكن لا أحد يريد بذل الجهد اللازم لتحقيق هذه الأهداف.

91 - الرجل هو نتاج أفكاره. فما يفكر فيه، يصبحه.

92 - توفر الأرض ما يكفي لإرضاء حاجة أي رجل - ولكن ليس طمع أي رجل.





93 - يجب أن يعيش الأغنياء ببساطة أكثر حتى يستطيع الفقراء أن يعيشوا.

94 - ليس من الحكمة أن تكون واثقاً من حكمتك الخاصة. فمن الصحي أن تتذكر أن الأقوياء يمكن أن يضعفوا وأن العقلاء يمكن أن يخطؤوا.

95 - هناك أسباب كثيرة أستعد للموت من أجلها، لكن لا يوجد سبب واحد يمكنني أن أُقتل من أجله.

96 - عندما تكون على حق تستطيع ان تتحكم في اعصابك - اما اذا كنت مخطئا فلن تجد غير الكلام الجارح لتفرض رأيك.

97 - القوة لا تأتي من مقدرة جسمانية، بل تأتي بها ارادة لا تقهر.

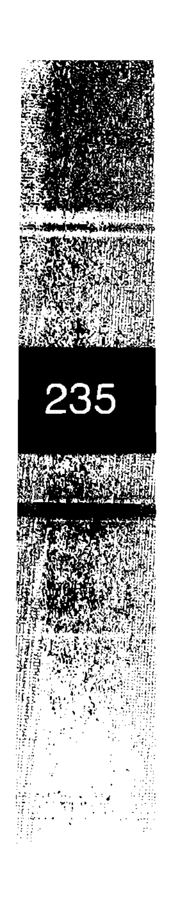
98 - ما أجمل أن تسير بين الناس ويفوح منك عطر أخلاقك.

99 - ليس كل سقوط نهاية - فسقوط المطر أجمل بداية.

100 - الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي إلى العداء - وإلا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء.

101 - في غمرة الموت تستمر الحياة.. في غمرة الكذب تستمر الحقيقة.. في غمرة الظلام يستمر الضوء.

102 - لكي يبلغ المرء الطهارة الكاملة يتعين عليه أن يتحرر من الهوى تحرراً مطلقاً في الفكر والقول والعمل.



103 - الرجل الذي يطمح إلى رؤية روح الحقيقة، لا يستطيع أن يعتزل الحياة، ولذلك قادني تعبّدي للحقيقة إلى حقل السياسة، وأستطيع القول دون تردد أن الذين يزعمون أن الدين لا علاقة له بالسياسة لا يعرفون معنى الدين.

104 - ليس هناك طريق إلى السلام، فالسلام هو الطريق.

105 - قدرة الإنسان على تحمل العذاب هي أكبر من قدرة عدوه على تعذيبه.

106 - لن أندم على أي شخص دخل حياتي ورحل.. فالمخلص أسعدني والسيء منحني التجربة «والأسوأ كان درسا لي» أما الأفضل فلن يتركني أبدا.

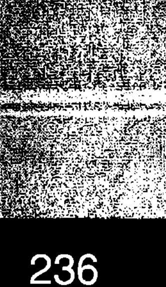
107 - قد لا تعرف أبداً نتيجة أفعالك، لكن إذا لم تفعل شئ فلن يكون هناك أي نتائج.

108 - يجب أن لا تفقدوا الأمل في الإنسانية. أن الإنسانية محيط، وإذا ما كانت بضع قطرات من المحيط قذرة فلا يصبح المحيط بأكمله قذرا.

109 -يجب أن تكون عندنا مقبرة جاهزة لندفن فيها أخطاء الأصدقاء.

110 - الحرية غير ذات قيمة إذا لم تشمل حرية ارتكاب الأخطاء.

111 - إن النصر الناتج عن العنف مساو للهزيمة، إذ انه سريع الانقضاء.



112 - السعادة تحصل لك عندما يكون هناك انسجام بين ما تفكر به (بعقلك)، وما تقوله (بلسانك)، وما تعمله (بجوارحك)

113 - لطالما لم أكن أرغب بتعلم الشطرنج.. لسبب بسيط لم يفهمه أصدقائي سابقاً وفهموه الآن.. وهو أني لا أريد أن أقتل جندياً وكل جيشي وكل من على أرض الشطرنج.. كي يحيا الملك.

114 - لو لديك تفاحة ولدي تفاحة وتبادلناهما سيبقى لكل منا تفاحة واحدة لكن لو كانت لديك فكرة ولدي فكرة وتبادلناهما فسيكون لدى كل منا فكرتان

115 - إن أية جريمة أو إصابة؛ بغَضّ النظر عن القضية، ارتكبت أو سُبِّبَت لشخص آخر هي جريمة ضد الإنسانية.

116 - كثيرون حول السلطة، وقليلون حول الوطن

117 - الإعاقة الحقيقية في العقول المغلقة.

118 - رفضت دائما لعب الشطرنج لأني لا أريد أن أقتل جيشي وجنودي وكل ما هو على أرض الشطرنج لكي يحيا الملك

119 - بما أنني رميت سيفي فإن كأس الحب هو كل ما أستطيع أن أهديه لمن يتعرض لي.

120 - ما يسلب بالعنف لا يحتفظ به إلا بالعنف.

121 - عليك أن تكون أنت التغيير الذي تريده للعالم.

122 - في البدء يتجاهلونك، ثم يسخرون منك، ثم يحاربونك، ثم تنتصر.



123 - حيث يوجد الحب توجد الحياة.

124 - الضعيف لا يغفر، فالمغفرة شيمة القوي. (قائد سياسي وروحي هندي)

125 - إذا تم رد الإساءة بالإساءة فمتى تنتهى الإساءة؟

126 - ليس هناك سياسي هندي شجاع يملك الشجاعة الكافية ليشرح أن لحم الأبقار من الممكن أكله. - أنديرا غاندي

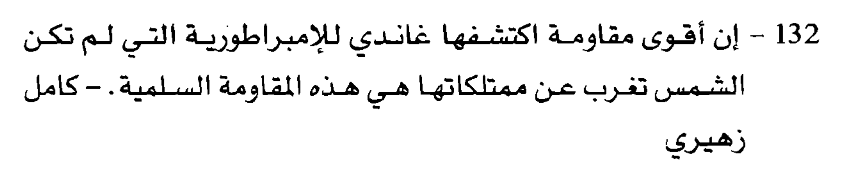
127 - من حسن حظ غاندي أنه لم يولد بين العرب فلو كان هذا الرجل القميء الذي يُشبه القرد يعيش بيننا لأشبعناه لوما وتقريعا.. دأبنا ان ذهاب المترفين ونحترم الجلاوزة الضخام وسوف لن نحصل فى دنيانا على غير هؤلاء ما لم نغير هذه العادة الخبيثة. - علي الوردي

128 - يمكنك أن تهز كل ما في العالم فقط بأسلوب لطيف.

129 - إذا أردنا أن نحقق السلام الحقيقي في العالم.. فعلينا أن نبدأ بتعليم الأطفال.

130 - ذات مرة جدي قال لي بأن هنالك نوعين من الناس: أولئك الذين يقومون بالعمل وأولئك الذين ينسب إليهم.. وأوصاني بأن أحاول أن أكون من ضمن الصنف الأول فالمنافسة هناك أقل. - أنديرا غاندي (سياسية هندية)

131 - فتشت عن الاديان فوجدت عمل الخير ديني.



132 - إن أقوى مقاومة اكتشفها غاندي للإمبراطورية التي لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها هي هذه المقاومة السلمية. - كامل زهيري

133 - لن أسمح لاحد أي كان بأن يخطو بخطوات فوق عقلي بقدميه القذرتين.

134 - الثقافة لا يمكنها أن تعيش إذا ما حاولت أن تكون استثنائية.

135 - خيانة الأمانة: أن تؤمن بشيء ولا تمارسه.

136 - حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه، لا بالسلاح الذي تخشاه أنت.

137 - ما تفعله ليس له أهمية تذكر ولكن من المهم جداً أن تفعله.

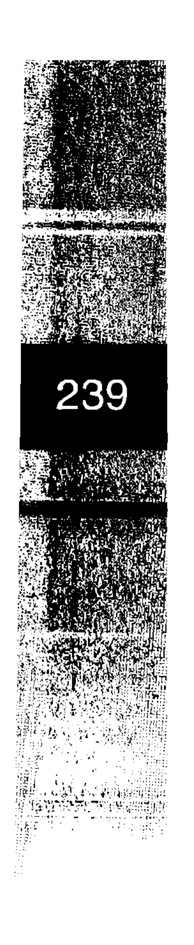
138 - لكي تكون الوحدة حقيقية يجب عليها أن تصمد أمام أقصى أنواع الضغط دون أن تتكسر.

139 - جودة أعمالنا هي ما ترضي الله وليس كميتها.

140 - لا شيء يهدر الجسم مثل القلق « ومن له إيمان بالله يجب أن يخجل من قلقه على أي شيء».

141 - من ظن أنه تعلم فقد بدا جهله « الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا».

142 - أظن أنه في وقت من الأوقات كانت الزعامة تعني العضلات، أما الآن فهي تعني التجاوب مع الناس. - أنديرا غاندي



143 - من الأفضل أن أكون عنيفا إذا كان هنالك عنف في قلوبنا من أن ارتدي رداء اللاعنف لتغطية العجز.

144 - لا تتمادى فِي إغلاق عينيك من الحزن فربما تمر من أمامك فرحة ولا تراها.

145 - لا تندم على نية صادقة منحتها ذات يوم لأحد لم يُقدرها، بل افتخر أنك كنت وما زلت إنساناً يحمل قلباً من ذهب.

146 - الاختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي إلى العداء « وإلا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء».

147 - لن أسمح لاحد أي كان بأن يخطو بخطوات فوق عقلي بقدميه القذرتين.

148 - الثقافة لا يمكنها أن تعيش إذا ما حاولت أن تكون استثنائية.

149 - خيانة الأمانة: أن تؤمن بشيء ولا تمارسه.

150 - حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه، لا بالسلاح الذي تخشاه أنت.

151 - ما تفعله ليس له أهمية تذكر ولكن من المهم جداً أن تفعله.

152 - لكي تكون الوحدة حقيقية يجب عليها أن تصمد أمام أقصى أنواع الضغط دون أن تتكسر.

153 - جودة أعمالنا هي ما ترضي الله وليس كميتها.

154 - لا شيء يهدر الجسم مثل القلق «ومن له إيمان بالله يجب أن يخجل من قلقه على أي شيء».



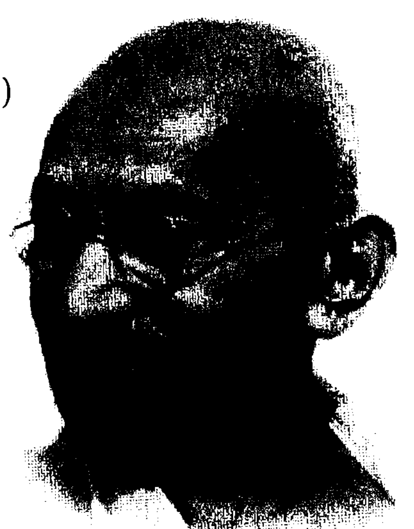
155 - من الأفضل أن أكون عنيفا إذا كان هنالك عنف في قلوبنا من أن ارتدي رداء اللاعنف لتغطية العجز.

156 - لا تتمادى في إغلاق عينيك من الحزن فربما تمر من أمامك فرحة ولا تراها.

157 - لا تندم على نية صادقة منحتها ذات يوم لأحد لم يُقدرها، بل إفتخر أنك كنت ومازلت إنساناً يحمل قلباً من ذهب.

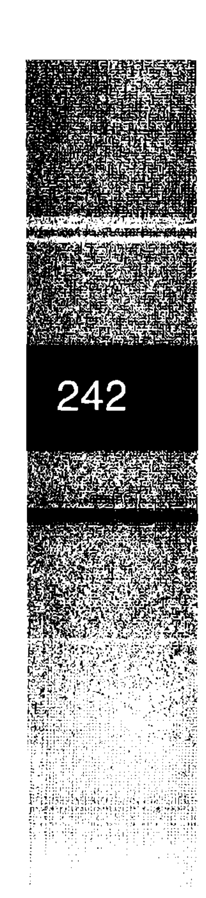
158 - لا ينهي الاستشهاد شيئا، بل هو مجرد بداية. - أنديرا غاندي (سياسية هندية)

159 - الإختلاف في الرأي ينبغي ألا يؤدي إلى العداء وإلا لكنت أنا وزوجتي من ألد الأعداء.




241





المراجع

❖ المهاتما غاندي في الموسوعة الانجليزية

❖ ملف الموقع على الشبكة:

❖ Gandhi Autobiography transl I Mazhar.pd

❖ A Brief History of Mohandas K. Gandhi

❖ Mahatma Gandhi's Life

❖ infoplease Gandhi Mohandas Karamchand

❖ Gandhi and India: A Century in Focus by Sofri Gianni

❖ غاندي، موهندس كرمشاند (المهاتما)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، المجلد الرابع، الطبعة الأولى 1986، 315 - 32.



هو موهانداس كارامشاند غاندي أو المهاتما هو الزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند من بريطانيا اشتهر باسم مهاتما غاندي أي الروح العظيمة زعيم وفيلسوف هندي آمن بمبدأ اللاعنف وعمل كثيرًا من أجل منح الحرية للهنود والتعرف على مشاكل الشعب واحتياجاته، وجعلها أساسًا للنضال الوطني، وبالفعل كان غاندي شخصية عظيمة آمن بقوة الروح أكثر من قوة الجسد والسلاح، وعلى الرغم من رحيله الذي مرت عليه سنوات وسنوات إلا أن التاريخ مازال يتذكره إلى الآن، ولُقب غاندي بالقديس.

كانت وسائل غاندي دائمًا من أجل استعادة حقوق شعبه، لا تنادي بالعنف على الإطلاق ولكن كانت تعتمد على وسائل أخرى كثيرًا ما تؤدي لنتائج أفضل، ومنها المقاطعة والاعتصام والامتناع عن الطعام والعصيان المدني وغيرها من وسائل الضغط السلمي، والتي يجب أن يكون المناضل على اقتناع كامل بها حتى لو أدى هذا إلى موته في سبيل قضيته

ويعتبر غاندي، هو من بعث الحياة في حركة المقاومة الوطنية مرة أخرى بما كان له من دور فعال في جمع شتات الهنود ودفعهم من أجل هدف واحد، ثم قام بتحفيز هممهم من أجل هدف قوي وهو تحرير وطنهم وإيجاد حل لمشاكلهم ومعاناتهم، فذابوا جميعًا في بوتقة واحدة على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم وكان هذا في حد ذاته أول طريق النجاح في مشوار غاندي، أنه حقق الوحدة بين الهنود على الرغم من الاختلافات بينهم

فبدأت هذه الحركة التي تزعمها غاندي، في الانتشار في أنحاء الهند وانتقلت إلى مرحلة جديدة من العمل السياسي الجماهيري وذلك نظرًا لانتشار المبادئ التي تدعو إلى الحرية في العالم بأسره، و نظرًا للفقر والمعاناة التي عايشها الهنود من العمال والفلاحين فبدأت عملية تأسيس لنقابات العمال، وعمل غاندي على الاهتمام بالفلاحين فسعى جاهدًا من أجل محاولة تخفيض الضرائب التي تثقل كاهلهم.

تحقق الاستقلال أخيرًا للهند عام 1947، بعد مقاومة شعبية ونضال قاده غاندي بقوة مع غيره من الهنود.

قتله احدى المتطرفين و عند اغتياله قال مقولته الشهيرة قبل وفاته.. سيتجاهلونك ثم يحاربونك ثم يحاولون قتلك ثم يفاوضونك ثم يتراجعون و في النهاية ستنتصر، واعتبر في الهند غاندي أبو الأمة و أصبح يوم ميلاده عطلة وطنية في الهند و عالميا أصبح هذا اليوم هو اليوم الدولي للاعنف قصة و فكرة إن اللاعنف هو أعظم قوة للبشرية إنها أقوى من أقوى سلاح دمار صنعه الإنسان،، غاندي



دار ابن النفيس